بطولات
في اقبية التحقيق

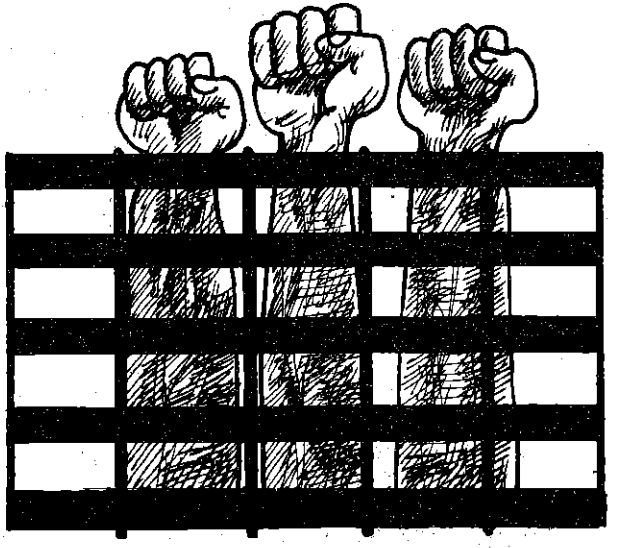

اصدار
دار الشعلة للنشر

بطولات
في اقبية التحقيق

اصدار

المركز العربي للدراسات والنشر

تمهيد

يجد القارىء بين دفتي هذا الكتاب سلسلة تجارب اعتقالية، ابطالها مناضلون شرفاء يعيشون بيننا، خاضوا تجربة الأعتقالات والتحقيق، وكتبوها بمدادهم بأمانه وصدق، بينما كانوا يرزحون داخل جدران السجن، وهي بأقلامهم - فيما عدا ثلاثة تجارب صيغت بالنيابة عنهم وبما نطقت السنتهم - وفضلا عن ذلك يوجد دراسة سريعة حول المستجدات في اساليب المخابرات ، وقراءة مقتضبة لجهاز المخابرات واقسامه.كما ويتقدم الكتاب سيناريو بوحي يعكس مجرى التحقيق.

ان الطريق الثوري الذي يشكل مادة الكتاب ، انما يعبد الطريق لجعل الاستثناء قاعدة ، والاقلية اغلبية ، وهو بداهة مجرد نموذج وعينة من قائمة طويلة من ابطال فلسطين على مدار عقدين من ملحمة المجابهة والتحدي ، وهو يؤسس لنزعة استشهادية تؤثر الاستشهاد على الاعتراف والتفريط. وحينما تعم هذه النزعة وتتسيد تسقط تلقائيا نظرية التحقيق بكافة وسائلها الوحشية بما ينهي ظاهرة الاعتقالات الجماعية المتسلسلة . والاستشهاد هو من البداهة قل ضررا على الحركة الثورية من الاعتقال الجماعي ، بل انه عامل محرض للجماهير ضد الفاشيست المحتلين.

انه لكتاب ذا نكهة خاصة ، نظرا لان كل كلمة فيه ، كل حرف فيه ، كل فاصلة فيه ، انما كتب بالدم والاعصاب والسهر القسري والمعاناة المتحدية . انه كتاب غني ومتنوع الابعاد بحيث يكاد يعرض طائفة تجارب مميزة ، لكادرات واعضاء قاعديين ، كل تجربة منها لها خصوصيتها التي تميزها عن غيرها .

الحركة الاسيرة

اواسط نيسان عام ٨٨

مقدمة

يوما بعد يوم يتعاظم دور الحركة الوطنية الفلسطينية بشكل عام ودور القوى الاكثر جذرية وكفاحية بشكل خاص ومع تعاظم دور وفعالية الحركة الوطنية الفلسطينية داخل الوطن المحتل فمن الطبيعي ان تعمل اجهزة العدو الصهيوني المختلفة وعلى رأسها اجهزة الامن على تطوير دورها ونجاعتها في ضرب واجتثاث اية قوى وطنية منظمة بهدف انهاء دورها السياسي والتنظيمي المناهض للاحتلال ومخططاته الاستراتيجية والتكتيكية ... ومع اشتداد نشاط معسكر الاعداء الامبريالي الصهيوني الرجعي الهادف الى تصفية الحركة الوطنية لشعبنا العربي الفلسطيني فمن المفروغ منه ان تبادر الاجهزة السياسية العليا في الكيان الصهيوني بالايعاز الى الاجهزة الامنية لاطلاق يدها والعمل بكل طاقاتها لاجتثاث اية قوى سياسية وحتى اجتماعية من الممكن لها ان تقف في وجه التوجهات السياسية المنوي تنفيذها من قبل القياده السياسية . وكما جاء على لسان اكثر من مسؤول عسكري وامني وصهيوني (ان المنطقه مقبله على نشاط سياسي يستوجب غياب اية قوة مناهضه له) وهذا يعني انه لا بد من اجراء عملية "تنظيف "للشارع السياسي من هذه القوى المعادية لتوجهات القيادة السياسية ... ان مثل هذا الحديث انما يضعنا امام فهم يقول بأن جهاز مخابرات العدو الصهيوني يملك قرارا سياسيا له ترجماته الامنية التي تقوم على اساس مطاردة وملاحقة كل ما هو وطني بشكل عام وكل ما هو جذري في عدائه لمشاريع معسكر الاعداء بشكل خاص .ان فهم كهذا انما يعني من جملة ما يعنيه بأن جهاز مخابرات العدو يعمل بأقصى طاقاته وكل امكانياته لضرب وتصفية اية قوى وطنية

منظمة متواجده داخل الارض المحتله وليس هذا فحسب بل انه يعمل ايضا على ان يمنع تبلور او انتظام اية قوى من خلال ما يسميه بسياسة الضربات الوقائية اي الاستباقية حتى تبقى الحركة الوطنية في حالة دفاع متواصل عن النفس يحول دون انتقالها الى وضع تتمكن فيه من مهاجمة المشاريع المعاديه على مختلف انواعها. ان هذا الفهم يفرض على القوى الوطنية الجذرية ان تبقى يقظه دوما وان تعمل باستمرار على ان تبقي مستوى تعاطيها مع المسألة الامنية متطورا دوما ، بحيث يتم استيعاب وتمثل اية مستجدات وتطورات في اساليب وافانين عمل جهاز مخابرات العدو لا من اجل ان يتم الافلات منها وتجاوزها فحسب بل من اجل وضع الطرائق التي تربك عمل اجهزة العدو الامنية وتضليلها ، بحيث تحول دون تمكين جهاز العدو من تحقيق اهدافه التكتيكية والاستراتيجية المتمثلة بضرب الوجود التنظيمي للحركة الوطنية الفلسطينية كخطوه ضرورية على طريق تصفية القضية الفلسطينية للشعب العربي الفلسطيني برمتها. ولعل احد اهداف هذه "الموضوعة" الرئيسي هو معاجة بعض المستجدات على الصعيد الامني والتي تم رصدها وتفحصها خلال الفترة المنصرمة والني شهدت ما يمكن تسميته بحالة واسعة من الاشتباك ما بين فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية بشكل عام واحد الفصائل الجذرية بشكل خاص الا وهو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي كان لها حصة الاسد من هجمة مخابرات العدو ، حيث تم توجيه ضربات اعتقالية لها في كافة مدن الضفة الغربية وقطاع غزة بحيث تمكن جهاز مخابرات العدو من زج العشرات من المناضلين في السجون ، واستطاع ان يكشف العديد من الانشطه السياسية والعسكرية والجماهيرية، والاكثر من هذا كله انه تمكن من التعرف على جانب من طرائق التفكير واساليب العمل التي كانت تعمل وفقها الفصائل اضافة لمعارفة السابقة التي جمعها عبر سنوات الاحتلال المنصرمة ... وكما اشرنا سابقا فان العدو واجهزته يحرصا على تطوير طرائق عملهه وتحسينها من خلال تعامله مع الجسم التنظيمي لفصائل هي بدورها يجب ان تتفاعل مع اجهزة الامن هذه وتتعرف على طرائقها الجديد منها والقديم ... اي ان العملية متبادلة وجدلية ... فلا يستطيع جهاز مخابرات العدو ان يكشف انشطه وطرائق تفكير اي فصيل الا من خلال الاحتكاك به وكذلك فأن الاحتكاك بين هذا الفصيل وجهاز مخابرات العدو يساعد الفصيل هذا او ذاك على التعرف والالمام بطرق واساليب ومستجدات جهاز مخابرات العدو ، وهذه

العملية الضرورية والجدلية يمكن لمن يعيها ويتمثلها ان يسجل نقاط فوز لصالحه على حساب نقيضه الذي يناضل ضده . فبم نبدأ .

اولا:- ان النقطة التي يمكن البدء منها تتمثل بتوجيه السؤال التالي :- بماذا يمكن تفسير الحجم الواسع للضربات الامنية التي وجهت لفصيل جذري في الساحة وهو الجبهة الشعبية ؟ اذ من المعروف ان كساحة الوطن المحتل شهدت حملة واسعة شنتها اجهزة مخابرات العدو ... وهذا الامر من البديهي ان يقود الى طرح السؤال التالي:- كيف ولماذا استطاع جهاز مخابرات العدو النجاح في توجيه هذه الضربة الواسعة الى الجبهة الشعبية ؟ وطالما ان هذا السؤال قد طرح ، فمن الطبيعي ان تتم الاجابه عليه ، وبعد الدراسة امكن تحديد العديد من الاسباب يمكن ابداء اهمها وهي :-

١- طرائق التنظيم :- ثمة وجهة نظر تقول ان طريقة تنظيم الهيكلية التنظيمية للجسم التنظيمي مثل (نظام الخلايا والروابط / التداخل بين العمل السياسي والعسكري / كثرة التنقلات) هذه الامور الفنية هي التي كانت السبب الرئيسي وراء اتساع الضربات وشموليتها

٢- الكم والكيف: والمقصود بوجهة النظر هذه ان الجبهة الشعبية ركزت على عملية توسيع صفوفها وزيادة كمها التنظيمي على حساب النوعية من حيث اختيار النوعيات الجيدة والطليعية والواعية وذلك خلافا للمبدأ القاضي بضرورة ايجاد توازن بين التوسع الكمي والارتقاء الكيفي لدى مجمل اعضاء التنظيم .

٣- الزمن : المقصود بهذه النقطة ان عامل الزمن لم يسعف ويساعد المنظمات الحزبية على اخذ الوقت الكافي كي تتمكن من بصليب عودها وترسيخ اقدامها ... ذلك ان توفير الوقت الكافي لاي منظمة بحيث تتاح لها الفرصة من التعبئة والتحشيد وتقليص الثغرات سيساعدها بالتأكيد على تصليب عودها وزيادة قدرة تحملها ووقوفها في وجهة الضربات الامنية .

٤- استهدافية المخابرات : المقصود بهذه النقطة ان جهاز مخابرات العدو ركز كثيرا على الوجود التنظيمي للجبهة الشعبية في الاونة الاخيرة وذلك لاستشعاره بخطورة دورها السياسي والعسكري على الساحة انطلاقا من حساباته بأن التحركات السياسية المقبلة تستوجب الغاء اي دور للقوى المناهضة لهذه التحركات وقد لخص هذا الموقف بما كان

يردده المحققون (بأن عام ٨٥ هو عام بصفية الجبهة الشعبية).

وفي الحقيقة ان هذه النقاط جميعها على درجة متفاوته من الصحة ومع ذلك يمكن القول ان هذه العوامل سواء مجتمعة او منفردة لم تكن اسبابا للضربات الواسعة الحجم التي شهدتها الارض المحتلة ذلك ان هذه الاسباب قد تكون وراء بدء الضربة لكنها لم تكن بشكل اساسي وراء اتساعها وشموليتها ذلك ان العامل الرئيسي لاتساع الضربة الامنية يتمثل ب:

اولا:- الاعترافات: ان الاعترافات والتفريط بشرف الحزب وعدم صون هذا الشرف مهما كانت الظروف هو السبب الاساسي الكامن وراء اتساع وتعمق وشمولية كافة الضربات الامنية التي شهدتها مدن الضفة والقطاع ، هذا السبب هو وحده الذي يفسر لنا هذا الحجم الواسع من الاعتقالات. وكما يعرف الجميع ان الحزب قلعة لا يقتحم الا من الداخل (فالاعترافات هي حصان طروادة) الذي ساعد اجهزة مخابرات العدو الدخول الى "قلعة الحزب" واقتحامها ومعرفة محتوياتها ... ان الانظار يجب ان تتجه جميعها نحو "الاعترافات" فهي بيت القصيد ، وهي "كلمة السر" التي استعملتها المخابرات للنفاذ الى قلعة الحزب وبالتالي فعلى الاعترافات وحدها يجب ان ينصب الغضب والسخط واللعنه اما لماذا تتم الاعترافات فهذه مسألة اخرى عالجها كراس (فلسفة المواجهة) بشكل معمق كما ان هذه "الموضوعة" ستعالجها من زاوية بعض المستجدات والمفاهيم التي تم استحداثها من خلال الضربات الامنية الاخيرة .

ثانيا:- حتى لا يتسم التشخيص بالعمومية، لاننا ضد التشخيص الذي لا يتناول الامور من جذورها وضد التشخيص الذي يتناول الامور بطريقة غير مباشرة، يمكن القول ان التجربة العملية الملموسة والناجمة عن عملية المواجهة الواسعة التي حدثت بين جهاز مخابرات العدو وبين المنظمات الحزبية المختلفة التابعة للجبهة الشعبية قد افرزت ثلاثة انماط من المناضلين:-

النمط الاول :- وهو عضو الحزب المبتدأ ، حيث ان السمه الاساسية لمجموع الأعضاء الحزبيين المبتدئين الذين تعرضوا للاعتقال قد ادلوا باعترافات سواء عن انفسهم او على غيرهم ولم يصونوا شرف الانتماء الحزبي عندهم، وبغض النظر عن الاسباب الفرديه او الجماعية لعملية الاعتراف لدى هؤلاء ، مع العلم ان ثمة تفسير علمي لهذه المسأله ويتمثل

في ان معظم الاعضاء الجدد لا يكون عامل الزمن والتحزيب قد فعل فعله في صقلهم وتشذيبهم الامر الذى يسهم في دفعهم للاعتراف ، لكن هذا لا يعني مطلقا ان كل عضو مستجد على التنظيم سيعترف حتما ، بل ان الواقع قد اعطى نماذج عديده لاعضاء مستجدين صمدوا صمودا مشرفا وصانوا شرفهم الحزبي ، وهذا انعكاس لنوعياتهم الطليعية .

النمط الثاني :- ويمثله الكادر والاعضاء المتقدمين نسبيا : لقد اتسم موقف الكادر الحزبي بما يمكن تسميته " الاصلاحية "• فالبنيه الاساسيه من الكادر لم تصن شرفها الحزبي وادلت باعترافات .. صحيح ان قسم منها لم يعط ما هو جديد واكتفى بتأكيد ما هو عليه ولكن هذا لا يعفيه من كونه قد خرقّ الموقف المبدئي القائل (لا للاعتراف ولا للتفريط بشرف الحزب) .

النمط الثالث :- وقد مثله الكادر المتقدم وصاحب المسؤوليات : هذا النمط هو اتخذ من المجابهة ، والصمود خطا وحيدا ، صحيح ان مجموع ما يوصف بالكادر المتقدم ليس كبيرا ، ولكن هذه القلة قد عكست نمطا صداميا مجابها قطع على العدو الطريق ونغص عليه فرحته التي اعتقد انه سيحققها كامله• ولكن ماذا يمكن لنا ان نستخلص من هذا التشخيص ؟؟ ان الاستخلاص الاساسي من هذا التشخيص هو : ان وجود حالات كثيره من المعترفين تدل على عدم تبلور موقف الصمود بالشكل اللائق• هذا من جهة، ومن جهة ثانية فان النقاط المضيئه التي مثلتها حالات الصمود انما تعكس ان هناك سياقا جديدا آخذ بالتطور والتشكل وهذا الادراك يدلل ان على المنظمات الحزبية التابعه للجبهة الشعبية انما تمر مرحلة انتقاليه : مرحلة ما بين كون الاعترافات هي القاعدة والصود هو استثناء الى مرحلة الصمود هو القاعده والاعتراف هو الاستثناء ، وبالطبع فان هذا التحول النوعي لن يتم بضربه سحرية ولا بقرار بيروقراطي بل عبر نضال دؤوب ومتصل من التحشيد والتعبئه .

ثالثا :- حزب من طراز جديد :

كما سبقت الاشارة،فان كلا من القضيتين اى الحركة الوطنية وسلطات الاحتلال يشتبك كلاهما مع الاخر ومن خلال عملية الاشتباك هذه يحرص كل نقيض على دراسة النقيض الاخر ومعرفة اماكن قوته وضعفه ومن خلال عملية المعرفه هذه يحرص كل نقيض على

تطوير قدرته على المجابهه ومقارعة النقيض الاخر، والجبهة الشعبيه بصفتها فصيلة طليعية متقدمة حرصت على تطوير ذاتها من خلال انخراطها في معمان النضال وعلى ارض الواقع وهذا ما يمكن لمسه بوضوح من خلال التطور النوعي الذى حصل على طريقة اداء الجبهة الشعبية التي يمكن القول انها مرت بثلاثة مراحل متعاقبه :

المرحلة الاولى ١٩٦٧ - ١٩٧٥ وهي المرحلة التي تلت انطلاقة الجبهة الشعبيه مباشرة ، منذ عام ١٩٦٧ والتي كان فيها حال الجبهة الشعبية نفس حال الفصائل الاخرى في ذلك الحين، كانت تعتمد على الارتجال والعفويه والتركيز على العمل العسكري وحده على حساب البناء التنظيمي والايدولوجي والتعبئه الجماهريه ... وفي ذلك الحين كان اعضاء الجبهة حالهم حال باقي اعضاء الفصائل الاخرى يعترفون حال اعتقالهم على ايدي سلطات الاحتلال بكل ما عندهم غير آبهين الى عواقب ذلك من سجن ونسف بيوت ... وذلك اعتقادا من ان الثورة سرعان ما تنتصر على الصهاينه وان السجن لن يطول واعادة بناء البيوت هو امر قريب• ونحن نذكر ان ثمة عرف غير مكتوب كان دارجا في ذلك الحين لدى الاعضاء الملتحقين بالفصائل حيث يكون الاتفاق بان على من يعتقل ان يصمد لمدة ٢٤ ساعة فقط يمكن ان تبدأ هذه الساعات بالنقصان التدريجي من ٢٤ ساعة الى ١٢ ثم الى ٦ ساعات وربما قد يصل الامر الى اقل من ذلك ... ان جذر الموضوع هنا هو الاستعداد للاعتراف وليس للصمود واغلاق الفم ، هذه العقليه وسمتها وتفاعلاتها هي التي سادت وصبغت اسلوب التعامل بين فصائل الحركة الوطنية وبين السلطات الاحتلال بالفترة الزمنية المشار اليها .

المرحلة الثانية ١٩٧٥ - ١٩٨٠ : مع تعميق التجربه وازدياد الامور وضوحا اخذت آلية عمل الجبهة بالتطور والارتقاء في مختلف المجالات ... وفيما يتعلق بالمسألة الامنية فقد بدأ مفهوم الصمود وعدم افشاء الاسرار وجلب الرفاق الى اقبية التحقيق بالتبلور التدريجي حيث ان مسألة اللجوء الى المخارج الامنية كالاعتراف على شخص واحد او على نقطة ميته هي سقف عملية المواجهة في التحقيق ، ولكن يبقى في البال دوما حالتان مضيئتان ومشرفتان انتصرتا في معركة التحقيق بهذه الفترة الزمنية هما موقف المناضل " علي الجمال " عام ١٩٧٥ حيث صمد صمودا فوق العادة جعل منه رائدا ونموذجا يحتذى به . اما الموقف الاخر فهو موقف الرفيق الشهيد " محمد الخوجا " عام ١٩٧٦ الذى قدم روحه

ودماءه صونا لشرف الحزب وحماية للرفاق الذين احبهم وشكل عنوانا ومنارة توهجت وحفرت نورها في قلوب رفاق الخواجا واعادت معادلة الصراع الى حقيقتها .

المرحلة الثالثة :- ١٩٨٠ - ١٩٨٥ : وهي المرحلة التي طورت فيها الجبهة الشعبية مفاهيمها وطرائق عملها بشكل ملموس ، بما فيها موقفها من المسألة الامنية وموضوعة الاعتقالات والتحقيق، وقد توجت ذلك من خلال طرحها وتبينها لكراس "فلسفة المواجهة" الذى عبر عن موقفا طليعيا لائقا بفصيلة طليعية متقدمه وكما انها احكمت الشعارات " نعم لشرف الحزب وصونه " ، "الاعتراف خيانه " و لا لكشف اسرار الحزب واسماء الرفاق "، وقد رافق تبلور طرح كراس "فلسفة المواجهة" ورفع شعارات الصمود بعملية تعبئة وتحشيد وحث مستمر على الصمود وقد اعطت هذه العملية نتائج ايجابية ، صحيح انها لم تصل الى المدى المطلوب ولكن مردوداتها الايجابية يمكن تلمسها بوضوح وعلى كافة المستويات . ان المسافة بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٨٥ طويله نسبيا وهي كما هو واضح مليئه بالتجارب وغنيه بالدروس ، وكما ان جهاز المخابرات قد طور من طرائق عمله فان فصائل المقاومه قد طورت هي الاخرى من طرائق عملها، ولعل تجربة الجبهة الشعبية تعتبر مثالا على عملية التطور هذه، فمن حالة عامة من الاعترافات ، الى حالات صمود مشرفه، كما ان عملية التعليم والتعلم لم تقف عند هذا الحد بل ستستمر بالتطور والصعود شيئا فشيئا حتى تصبح اكثر وضوحا وتعمقا حتى يتم الوصول الى المرحله التي تمت الاشارة اليها القائمة على اساس جعل الصمود هو القاعده والاعتراف هو الاستثناء ولعل اكبر دليل على هذا القول هو ذلك الهجوم المحموم من قبل ضباط المخابرات الصهاينه على كراس فلسفة المواجهة ومحاولاتهم الاستخفاف منه وتبهيته وهذا ان يعني شيء فانما يعكس حجم الضغط الكبير عليهم من هذا الكراس وانتزعاجهم من انعكاساته على عملية صمود المناضلين وكسرهم لهيبة المخابرات ورفضهم للتفريط بشرفهم الوطني والحزبي وهذا امر يليق حقا بحزب من طراز جديد .

مستجدات في اساليب التحقيق :-

من البداية من التنويه الى مسألة اساسية وهي ان عنوان " مستجدات في اساليب التحقيق " لا ينطوي على مستجدات نوعية تختلف عما هو وارد في كراس فلسفة المواجهة وذلك ان كافة التشخيصات الوارده في كراس حول اساليب التحقيق ما زالت قائمة ومعمولا بها ولكن جهاز المخابرات ادخل بعض التحسينات على تلك الاساليب بهدف جعلها اكثر نجاعة وتأثير ولا سيما على ضوء المام المناضلين بتلك الاساليب وتوفير الاستعدادالعملي لتجاوزها وان التطويرات التي تم ادخالها لا تخرج عن دائرة الاساليب العصبية والنفسية التي عاجها كراس فلسفة المواجهة.

اولا : اسلوب الهيبة والاخضاع : المقصود بهذا الاسلوب هو انطلاق المحقق من فريضة تقوم على اساس ضرورة فرض اجواء الهيبة والاخضاع على المناضل اى اشعار المناضل بأنه أمام خصم قوي قادر على فعل كل شيء وأى شيء ، خصم يملك كل المعارف والمعلومات عن المناضل وعن غيره ، ... بحيث يقف المناضل امام المحقق عاري تماما وهو لديه المعلومات والاعترافات وتقارير المراقبة للبيوت والتلفونات ، وتواريخ مغادرتك او عودتك من المطار والجسر ، ولون سيارتك ورقمها ، وطالما انهم يعرفون كل هذه المعلومات وطالما انهم هم السلطة والقوة .. فما عليك الا ان تكون حاضرا لهم ولرغباتهم واهمها الاعتراف وتفريغ ما في جعبتك ، ولنعلم ان مبدأ الاخضاع والهيبة لا يمكن له ان يتحقق الا اذا كان لدى المناضل استعداد لهذا الاخضاع والرضوخ لهذه الهيبة المزعومة والصحيح ان اشكال وطرق فرض الهيبة وعملية الاخضاع قد تختلف من محقق لاخر او من مركز تحقيق لاخر لكن المبدأ واحد والسياق العام واحد ايضا لهذه العملية وفيما يلي جمله من الامثله الحسية الملموسه والتي مارسها المحققون مع العديد من المعتقلين وكلها تعكس محاولات هؤلاء المحققين لرفض هيبتهم وسلطتهم على المعتقلين بهدف اخضاعهم وتطويعهم :-

١- البصاق المستمر على الوجه : اذ من المعروف اجتماعيا ان عملية البصاق تعكس موقفا معينا فهي بالمختصر تعكس روح الاحتقار والازدراء وتسفيه الانسان الذى يتم البصاق عليه .. وبالتالي فان المحققين حينما يبدأون اللحظات الاولى بممارسة عملية البصاق على المعتقل انما يهدفون الى اشعاره بضعفه ودونيته وقلة حيلته امام قوة وجبروت المحقق ،

وهذا جزء من عملية فرض الهيبة والاخضاع والتي يراهن المحققون عليها بشكل حاسم وبالطبع يمكن القول ان المناضل الذى يحترم نفسه لا يتأثر من هكذا امر بل انه يشعر ان بصاقهم على وجهه انما يزيد من كراهيته لهم وسموه عليهم .

٢- استعراض الامكانيات الجباره لجهاز المخابرات ولدولة " اسرائيل " فهم يقولون نحن وصلنا الى " عنتيبي " في اوغندا وحررنا الرهائن لقد وصلنا الى المفاعل النووي بالعراق ولقد وصلنا الى " فراش ياسر عرفات " في تونس وقصفناه .

٣- الحرص الدائم على تذكيرك بأنك معتقل وفي موضع التحقيق والاستجواب : ذلك ان حالة التحقيق والاستجواب مرتبطه في ذهن المعتقل بأنه في حالة دفاع عن النفس ومن هنا فان كلمات وتصرفات رجال التحقيق تحرص دوما على تأكيد هذا الامر ويتم ذلك من خلال ان يطلب منك المحقق / انظر الى عيني حيث اتحدث اليك / لا تقاطعني حين اتحدث / حين اوجه لك السؤال عليك ان تعطيني الجواب / حين اسألك سؤال لا ترد علي بسؤال /لاترمي الكره في ملعبي / انا هنا الذي يسأل / والدليل على هذا الكلام يمكن ايراد عدة حوادث تعكس هذا التوجه وسنكتفي بايراد حادثين حصلتا مع اثنين من المعتقلين ، فبعد ان دخل عليه احد المحققين والذى يحقق مع المعتقل الاول قال له ذات مرة : الان الساعة الخامسة بعد الظهر انني معك ولن اتحرك من مكاني وسأبقى طوال هذه الليله حتى انتزع منك اعترافا ... ثم اخذ يسهب بالحديث من مقدرته وقدرات جهاز المخابرات التي تحيي وتميت / وتكسر الرأس / وتشل الاطراف / وتصل الى معرفة كل الحقائق ... وفي اثناء الحديث هذا كان المعتقل يفكر بالليله الطويله التي سيقضيها مع هذا المحقق اللئيم واثناء انهماك المعتقل بتفكيره هذا قام المحقق باستجماع ما في فمه من بصاق وقذفها في وجه المعتقل ... فما كان من هذا المعتقل الا ان تنهد تنهيده عميقة كانعكاس لراحته الداخلية الناجمه عن كسر الهيبه التي حاول المحقق فرضها على المعتقل ... وقد ادرك المحقق هذا الخطأ الذى وقع فيه فارتبكت كلماته وبعد دقائق قال سأخرج وادعك تفكر وسأعود اليك مرة ثانية نم خرج من الغرفة ولم يعد اليها ثانية لانه ادرك ان لا فائده ترجى من عودته لكونه لم يتمكن من فرض هيبته على المعتقل وبالتالي لم يتمكن من اخضاعه وها هو المحقق صاحب الحول والقوه والذى هدد بليله سوداء قد غادر غرفة التحقيق بعد نصف ساعة فقط وهو يجر اذيال الخيبة .. والحادثة الثانية : فبعد ان ادخل

اثنان من المحققين على المناضل وبعد اسداء النصائح بضرورة الاعتراف واختصار المشاق والمعانيات ... قال احدهم سوف نرسلك للسجن العسكري ونحن غير مسؤولين عما سيحدث معك هناك واضاف الاخر : في السجن العسكري لا يحقق معك وفق سياسة منظمة بل ما يهمهم هو الحصول على معلومات ثم تدخل الاول قائلا : باختصار ان جنازتك ستخرج من هناك ... وحنها اجابهم المعتقل اني مستعد لكل الاحتمالات بما فيها الاستعداد للاستشهاد والموت ... ولان المحقق لم يتوقع هذه الاجابه ولأنهما ادركا ان هذه التهديدات لم تؤدي غرضها الهادف الى فرض الهيبة والاخضاع بدأوا بالتراجع المنتظم فأخذوا يتحدثون عن السلامه الشخصية ، والصحة والعمر المديد .

ثانيا اسلوب صنع جسر العبور :-

المقصود بهذا الاسلوب هو حرص المحققين على انتزاع اعتراف اولي عن انشطة غير خطيرة كالقيام بعمل او نشاط اجتماعي جماهيري ونقابي وتوظيف هذا الاعتراف للدخول الى ما هو اكثر خطورة وجدية ، وفي الاونة الاخيرة وبعد الضربات الكثيرة الواسعة واطلاع المخابرات على طرائق عمل الحركة الوطنية بما فيه امساكها بالصلة التي تربط العمل النقابي والجماهيري بالعمل التنظيمي وأحيانا الفكري ...فان المخابرات لم تولي فقط اهتماما بهذه الانشطه بل اخذت تستعملها كجسر العبور من الاعتراف على نشاط جماهيري ونقابي الى نشاط تنظيمي وعسكري ... ومن هنا فان بيت القصد هنا يمكن في مبدأ التجاوب مع مطالب المخابرات ذلك ان من يتساهل في اعطاء معلمات قد يعتقد انها ليست ذات اهمية فانها سوف تصبح ذات اهمية حينما تم تحويلها رأسا الى جسر لاستعمالها لمزيد من الضغط باتجاه انتزاع المزيد من المعلمات الاكثر اهمية وفي النهاية يمكن القول ان الصمود كل مترابط وليس هناك ربع او نصف اعتراف ، ومن ينكر عضويته الحزبية عليه ان ينكر عضويته في الاطار الديمقراطي والجماهيري سواء بسواء

ثالثا : اسلوب تسفيه المبادىء :

كما تمت الاشارة في اكثر من مكان فان جهاز مخابرات العدو يعمل على تطوير طرائق عله كلما استطاع الى ذلك سبيلا ... وبالتالي فقد اخذ هذا الجهاز يشعر بان الافواج الجديده من المناضلين اصبحت لديها معارف وقيم اكثر وضوحا وتبلور من الافواج القدية ... ولذلك فان اى جهاز مخابرات العدو ادخل تحسينا على طريقة عمله وذلك من خلال عمله على

تسفيه وتبهيت المبادىء والقيم التي يتمسك ويعتز بها المناضل .. وتسفيه ايمانه بان الثورة حق ومصدر للسعادة الانسانية وبهذا الصدد لا بد من التعرض على الهجوم الواسع الذى يشنه المحققون جميعهم على كراس " فلسفة المواجهة " وذلك ان دل على ما حواه هذا الكراس من مفاهيم اساسية تساعد على الصمود والحفاظ على الشرف الوطني والحزبي ، وهناك اكثر من المعتقلين سمعوا عبارات مختلفه تعكس انزعاج المحققين من هذا الكراس وهذه بعض امثله على هذا الامر :

× قال احد المحققين لاحد المعتقلين : لماذا كتبتم فلسفة المواجهة ، فاجاب المعتقل لتوعية المناضلين باساليب التحقيق وحثهم على الصمود . المحقق : لا تتوقعوا انكم سوف تهزموننا بهذا الكراس ، فاجاب المعتقل : هذه مسألة سيجيب عليها التاريخ .

× بعد ان رفض احد المعتقلين شرب كأس من الشاى قدمت له من قبل احد المحققين بادر المحقق الاخر بالقول ساخرا : الا تشرب الشاى مع العدو الصهيوني ، هذا يوصي به " فلسفة المواجهة " .

× دخل احد المحققين على احد المعتقلين وبدأ بالقول : " حرام عليكم " فاستفسر المعتقل ما هو الحرام علينا ؟ فقال المحقق : ما تفعلونه بأنفسكم بشكل عام وتفعلونه بالشباب صغار السن بشكل خاص ، فقال المعتقل : وماذا نفعل بالشباب صغار السن ؟

قال المحقق : تدخلونهم للانتحار ... وكيف ذلك ؟ قال : انظر اني احقق مع ثلاثة اشبال، اثنان منهما اعترفا منذ اليوم الاول على ضرب حجارة ورفع الاعلام ، اما الثالث فله عشرة ايام " صامد " رغم انه في غاية الانهاك ... الا انه لا بد من اعترافه بالنهاية ... اتعرف لماذا ؟ لأنه قرأ فلسفة المواجهة وهي تقول له " الاعتراف خيانة " واضاف " تعال واتطلع عليه قاتل حاله " حرام عليكم " على الاقل اعطوهم حد ادنى " هل هذه ثورية منكم ؟؟ " انتم تعملون ضد انفسكم"

الى ماذا يمكن ان نخلص من هذه الامثلة ، نستطيع ان نخلص الى حقيقة مفادها بأن جهاز المخابرات قد لمس الاهمية الخاصة لعملية التعبئة والتحشيد التي تمارسها الجبهة الشعبية بشكل عام وكراس فلسفة المواجهة بشكل خاص ومن هنا فنها ادخلت تحسينا على طريقة عملها يتمثل بمحاولة تسفيه ونبهيت المبادىء وايجاد ثغرات بهذه المبادىء كخطوه على طريق كسر صمود المناضلين وانتزاع اعترافات منهم . ونحن من جهتنا

تستبدل من هذه الامثله على ان القيم والمبادىء التي نعتز بها من نمط " الاعتراف خيانة " لا اعتراف " نعم لصوت شرف الحزب " لا لكشف اسرار الحزب واسماء الرفاق ان هذه القيم صحيحة واثبتت جذواها وجدارتها على ارض الواقع ، وما حالة الضغط والاستياء التي عبر عنها معظم المحققين انما تدل على اننا سائرون بالاتجاه الصحيح والمسأله مسألة وقت لا اكثر ، وبالتالي فان اسلوب تسفيه المبادىء يجب ان يقودنا الى التمسك بهذه المبادىء اكثر فاكثر .

رابعا : اسلوب التشكيك بمن صمدوا :

بقدر ما تعاظم غيظ المخابرات من كراس فلسفة المواجهة فانهم ايضا مستشيطون غيظا من النماذج التي صمدت وسجلت موقفا ثوريا ... وضمن نفس الاهداف فانهم يعملون على تشكيك بالمناذج التي صمدت عبر احدى طريقتين :- فمن جهة اذا كان المعتقل حسب اعتقادهم عضوا عاديا فهم يقولون له " لن تكون اصلبَ من فلان او فلان ... فهم اكبر منك واعلى رتبة ومكانه ومع ذلك جاؤوا وتفاهموا على الكل " و " ستذهب الى السجن وستعرف ذلك " ومن جهة اخرى اذا كان المعتقل متقدما فهم يقولون له " لن تكون اشطر من فلان وفلان لم يعطوا كل شيء ونحن نعرف ذلك فغلان اعطى ٣٠ وفلان ٤٠ ونحن كنا نحرص على اخذ الكل لكننا اكتفينا بهذا القدر ... وبالتالي فانت لن تكون اكثر ذكاء وشطارة .. فعلى الاقل افعل كما فعلوا ... " ومثال الاخر ضمن نفس الاتجاه بأن يقول المحقق " الصحيح ان محمود فنون لم يعترف بكلمه ... ولكن فلان وفلان صمدوا عدة ايام ثم تفاهموا ربما لم يتفاهموا على الكل ... ولكنهم في النهاية تفاهموا ... " " اذا اردت ان تفعل كما فعل فنون فقل لنا ، لأن فنون قالها بكل صراحة " انتم تعرفون ان عندي اشياء ولكنني لا اريد قولها " فقل ان عندك اشياء ولا تريد قولها .. " او " قل ان عندي اشياء ولن اعطي الا ما هو محدود كما فعل فلان وفلان " .

ان هذه الطرية انما تهدف الى هز مبدأ الصمود وازالته كقيمة من نفسسة المناضل كما انه يستعمل كطعم لسبرغور المناضل ومعرفة اتجاه تفكيره : هل لديه شيء ام لا يريد ان يعترف بكل شيء ام ببعض ما عنده واما مسألة صمود فلان من المناضليم فان اثباتها ليس عند المحققين بل على ارض الواقع وكما يقول المثل الدراج والى تستعمله المخابرات ايضا " ان المية تكذب الغطاس " .

خامسا : اسلوب التماثل الشخصي :

في كراس فلسفة المواجهة تم الحديث عن اسلوب الصديق والوحش ، الصديق هو من يظهر بمظهر بأنه اقل قمعية وعسف من الاخرين وظالما انه لين فلا بأس من التجاوب معه ... وقد ادخلت المخابرات تطويرا على اسلوبها هذا اذ حولت المحقق الصديق الى " محقق متماثل " مع المعتقل والمقصود بالتماثل هو : اشعار المعتقل من قبل هذا المحقق ان هناك الكثير من النقاط المتشابهة ما بين شخصة " اى المحقق " وانت كمعتقل وان هذا الامر عابر وطارىء وهذا الاسلوب يعتمد على اطالة امد جلسات التحقيق وعددها والدخول في احاديث لا علاقة لها بالتحقيق سواء كانت الاحاديث سياسية او اجتماعية او اقتصادية ... وفي المحصلة فهذا الاسلوب خطير وخبيث ويمكن معالجته عن طريق التنبيه له + الحرص دوما على ابقاء الحواجز بين المعتقل والمحقق ، وفي احد الامثلة على هذا الاسلوب فقد قام المحقق بالحديث مع احد المناضلين عن والده (والد المحقق) بأنه كان في الحرس الوطني الصهيوني ايام الانتداب البريطاني ، وعندما اعتقله الانجليز في نهاية ثلاثينات قال لهم انا في الحارس الوطني " ولكني لن اعترف لكم بشيء " فافعل مثلما فعل ابي اي قل انت جبهة شعبية ولكنك لا تريد ان تقول لنا شيئا من جوهر بشاطاتك فيها ... ان هدف المحقق هو ابتزاز المناضل للاعتراف .

سادسا : اسلوب النطق :

المعنى بهذا الاسلوب هو اقناع المعتقل بأن موقفه لا يتسم بالمنطق وبالتالي يفتقد الى المصداقية ... وحتى يثبت انه صادق يجب ان يكون كلامه منطقيا ، ومعنى ان تكون منطقيا هو ان تعترف ، فالمنطقية حسب ما يريد المحقق هو ان تفسر وترتب الاحداث كما يريد هو وهذا يعني بأن تعترف بما عندك ، ويجب الحذر من اسلوب مجاراة المحقق كما يريد وذلك بأن تقوم بترتيب وتفسير الامور كما يرغب هو فالمعتقل ليس ملزما بأن يكون منطقيا او صادقا مع المحقق ... فهذا المحقق هو عدوك الذى يريد زجك بالسجن وجلب رفاقك وتصفية وجودك التنظيمي والسياسي وهذه الامور لا تنطوي على اية منطق فكيف يكون مطلوبا منك ان تكون منطقيا معه ؟؟ وفي المحصلة على المحقق ان يقنع بما يقوله المعتقل وليس العكس ، ولنا في سلوك الرفيق " محمود فنون " في التحقيق نموذجا رائعا في رفضه لتفسير الامور للمخابرات منطقيا ، حيث قال لضابط المخابرات

حين طالبه باقناعه " لست معنيا باقناعك " و " ان لكل منا منطقه الخاص ، منطقك ادانتي فأنت مثل الاحتلال ، ومنطقي يرفض هذا المنطق الذى يستهدف الايقاع بي وايذائي " .

سابعا : أسلوب الاهمال والتظاهر بنسيان المعتقل :

ان جهاز المخابرات حين يقوم باعتقال احد المناضلين يكون متلهف على بدأ التحقيق معه وحتى في الغالب يبادر الى التحقيق معه مباشرة ومن اليوم الاول ولكنها اذا لمست ان المعتقل انسان صلب من السهل كسر شوكته فهي تضع في حسابها ان التحقيق معه سيطول وبالتالي تمارس معه سياسة الاهمال بأن ترسله للشبح وربما تضعه في الزنازين وتتركه لمدة طويلة من ٤٠ ـ ٥٠ يوم وحتى ٧٠ يوم بدون تحقيق وحتى لا تتم مراجعته الا ما ندر ... وهي تهدف من ذلك الى خلق انطباع في داخله ان التحقيق معه سيستمر الى ما لا نهاية ، ولذا فمن الافضل له ان يبادر هو الى انهاء التحقيق من خلال الاعتراف ، وضمن نفس المنطق يمارس المحققون عملهم من خلال التظاهر بنسيان المعتقل مدة يوم او يومين وربما ثلاثة بدون طعام وشراب ومعظم مسلابسه منزوعه عنه وحتى عملية السماح باستعمال المرحاض تكون ضمن حسابات محدده فكثير من المناضلين يعتقدون ان " الشاويش " المناوب هو الذى نسي جلب الطعام او الشاي للمعتقل او ان الشاويش لا يرغب باعادة الكنزة او القميص للمعتقل رغم انه يراه مقددا من البرد او انه لا يرغب باخذه للمرحاض ... ولكن كل هذه الحسابات خاطئه ، ذلك ان كل خطوة يخطوها " الشاويش " تكون وفق عملية مبرمجه يضعها المحققون في جدول زمني يقومون بتنفيذه بدقة تخدم مسار التحقيق ، فهذا المعتقل لديهم يدخل من الشبح الى الزنزانة وذلك المعتقل من الزنزانة يعود للشبح ، وهذا يسمح له بالمرحاض او ارتداء الملابس وذلك لا مرحاض ولا ملابس وهكذا كل شيء يكون ضمن برنامج يتماشى ويخدم مسار التحقيق فلا شيء يترك للصدفة او لرغبات الشاويش المناوب ، وهذا مثال يوضح ما نصبر اليه : احد المناضلين كان مشبوحا مدة يومين متتاليين بلا طعام او شراب او مرحاض وملابسه الخارجية منزوعه ... وحدث ان الشاويش المناوب اراد التغيب امدة من الوقت فاحضر شاويش وطلب منه ان يقوم باطعام المعتقلين وارسالهم الى الزنازين للمرحاض والبعض الاخر لا يسمح لهم " وبعد اعطاء الايضاحات غادر الشاويش المناوب ، فجاء البديل الى

احد المشبوحين وقام بفكه واخذه الى زنزانة ليأكل ويشرب ويستعمل المُرحاض ثم اعاده للشبح ... وفعل مع آخرين نفس الشيء ... وحين عاد الشاويش المناوب اخذ البديل يشرح له من ذهب الى الزنزانة ومن لم يذهب وحين تحدث عن المناضل المعني اخذ المناوب بالضحك وقال بالعبرية " لوزي " وتابع فقال بما معناه ان هذا غير مسموح له بألاكل قبل غدا صباحا ، ان هذا المثال يوضح ان عملية الاهمال والتناسي انما هي عملية مقصوده ومحسوبه ومبرمجه وفق برنامج محدد من قبل المحققين انفسهم ، طالما اننا قيد التَحقيق فما علينا الا ان نعي هذه الاسلوب ونعي اهدافه بان نتسلح بالنفس الطويل دوما ولا يهزنا او يضعفنا هذا الاهمال وبالأصح هذا التناسي المقصود .

ثامنا : اسلوب الطلب المتواصل والالحاح :-

هذا الاسلوب على العكس تماما من الاسلوب السابق ، فان المخابرات تمارس اسلوبا يعتمد على انهاك المناضل بسرعة على امل تستحلب ما لديه من معلومات وهي بالعادة تمارس هذا الاسلوب حين تكون متلهفه للحصول على معلومات تعتقد انها ستفتح امامها ابواب كثيرة واسرار كثيرة حيث تتابع جولات التحقيق بشكل متواصل (جولة تحقيق ثم ارسال للشبح فجولة تحقيق ثم ارسال للدش البارد ثم الى الشبح ثم جولة جديدة هكذا) جولات متواصلة واسئلة متواصلة يتخللها اجراءات محدده (شبح ، ضرب ، دش بارد ، جولة تهديد وضغط) ويترافق معها منع الطعام والشراب والنوم واستعمال المرحاض لفترات متباعدة فالطعام قد منع لمدة (٤- ٦) ايام وعدم النوم قد يصل الى اسبوعين ، اما المرحاض فمعدل المنع يصل الى يومين واثناء ذلك كله تستمر جولات التحقيق والاسئله - والمحققون يستعملون كلمات تخدم هذا الجو من نوع (يللا احكي ، وبعدين وايش كمان ...) وكل ما يضع المناضل في جو الضغط والالحاح وحين يبدأ هجومهم بالتكسير شيئا فشيئا يحاولون تغيير اسلوبهم الى الاسلوب السابق اى الاهمال والتناسي المتعمد .

تاسعا: المداخل المتنوعة لتحقيق هدف واحد :

كما وسبقت الاشارة في اماكن اخرى فان الاساليب الاساسية (العصبية والنفسية) ما زالت هي العناوين الاساسية لعملية التحقيق - كما ان الاساليب التي ذكرت في هذه الموضوعه انما تتناول ما تم تطويره من طرائق واساليب وفي هذه النقطة سيتم التعرض الى مداخل ضرورية على طريق دفعة نحو الاعتراف .

١- حين تقوم المخابرات بعمليات اعتقال المناضلين فانها تقوم بتفتيش بيوتهم وفي بعض الاحيان فانها تجد لدى بعض المناضلين اوراق او ادبيات تخص التنظيم الذي ينتمي اليه هذا المناضل او ذاك ، وهي لا تأخذ موقفا سلبيا ازاء هذه الادبيات بل تحرص على الاطلاع عليها والافادة منها بهدف اكسابها معارف تساعدها في عملية التحقيق من حيث التعرف على طرائط التفكير والعمل وعلى سبيل المثال فان ادبية مثل النظام الداخلي للجبهة الشعبية فقد حصلت المخابرات عليها وحاولت الافادة منها ... وهي ان قامت باعتقال مناضل يشتبه ان له علاقة بالجبهة الشعبية او في حالة حدوث اعترافات محدده فانها تأخذ بالتحدث عن حلقة والرابطة والقطاع وقيادة المنطقه ، او تطلب منك ان تحدد موقعك في التنظيم او اذا افترضت انك عضو رابطة تسألك من باقي اعضاء الرابطه الذين تعمل معهم وهكذا ... وبالتالي فعلينا ان لا نستهجن او نرتبك اذا ما اخذ ضابط المخابرات بالحديث عن حلقة والخلية والرابطة ... وغيرها فنندفع للاعتقاد بأنه يعرف اشياء اخرى هي في الحقيقة غير معروفة لديه .

٢- الظهور بمظهر المنفعل : ان المحقق مهما كان مخلصا لمهنته كمحقق فهو في نهاية الامر موظف يتقاضى راتبا وامتيازات من الجهاز الحكومي وصحيح ان المحقق يربط نفسه بجهاز الدولة الحكومي لكنه كما قلنا يبقى في النهاية موظفا له راتب يتقاضاه يصرف منه على اموره الخاصة " اسرة ، ومتع شخصية " وصحيح ان المحقق يكون دوما لديه حافز بتحقيق مزيد من النجاح ... ولكنه يدرك انه موظفا في جهاز المخابرات ولو ان جهاز قطع عنه الراتب لخرج باحثا عن مهنة بديلة ولهذا فانه يحرص على عدم تكدير نفسه وارهاقها حين يشعر ان التحقيق لا يسير كما يريد وفي نفس الوقت فهذا لا يعني ان لا يحاول ضابط التحقيق الظهور بمظهر المنفعل والمتضايق والمتكدر والمستشيط غضبا وان يتكلم ويتحرك بعصبيه ونرفزة ... كل هذا يخدم توجها واحدا وهو انتزاع الاعتراف ومن الامثلة المتكرره في هذا المجال (ان يقف ضابط ويقول سأطلق زوجتي او استقيل اذا لم يحصل كذا وكذا) ولأن المحقق يعرف ان المعتقل يدرك اهمية الوظيفة بالنسبة لضابط التحقيق ويدرك مدى اهتمام وحرص المحقق على زوجته وابنته فهذا يعني ان الامر عظيم ولا مفر امام المعتقل الا الاعتراف والادلاء بما عنده تجنبا لما هذا المحقق " الرهيب " الذي وصل به الامر الى حد الاستقالة والتفريط بالشرف ان مثل هذه المداخل يجب ان لا تنطلي على

اي مناضل لانه عليه ان يدرك هذا كله ما هو الا ادعاءات فارغه .

٣- مدخل استثمار الضربات الواسعة واعترافات بعض الرموز :-

بين الحين والاخر تحصل ضربات واسعة او محددة او انهيار بعض اسماء التي كان يعتقد انها رموز نضالية فيستغل رجال المخابرات ذلك من اجل تثبيت معنويات المناضلين الصامدين ، اى انهم يقومون بتوظيف الضربات السابقة لاحداث ضربات لاحقه ومحاولة اقناع المعتقل الجديد انهم سيضربون التنظيم باستمرار ويضعفون الاوضاع التنظيمية دوما وهم قادرون على ذلك ولسان حالهم يقول للمناضل (الكل اعترف لم يصمد احد صفينا وجودكم التنظيمي لم يبقى شيء يستحق الدفاع عنه والمعاناه من اجله فالكل انهار ...) وهكذا ... بهدف بث روح الاستسلام والخنوع واليأس داخل المعتقل كخطوه ضرورية على طريق دفعة للنهيار والاعتراف .

٤- قانون تأمير ان هدف جهاز المخابرات هو ضرب وتفكيك اى وجود تنظيمي لفصائل المقاومة وزج اكبر عدد ممكن من المناضلين في السجون لاطول فترة ممكنة وبالتالي لا يوجد انفصام بين جهاز المخابرات وبين جهاز المحاكم والسجون رغم اختلاف ادوار كل منهما فكلاهما يكمل الاخر .. ومن هنا يمكن ان نفهم كيف اخذ جهاز المخابرات بتوظيف قانون " تامير " والذى يقضي بمحاكمة كل مناضل وردت عليه اعترافات من الغير رغم انه لم يعترف بها ... حيث يحاول المحقق افهام المناضل بأنه سيزج بالسجن وسيحاكم سواء اعترف ام لم يعترف وان المعناه التي يعيشها المعتقل اثناء التحقيق هي معاناة اضافية وبلا جدوى وما الى ذلك ، وفي الحقيقة ان الحديث عن قانون تامير ما هو الا وسيلة لارباك المناضل وتثبيط افكاره بهدف جعله يتخبط بالاتجاه وتتعثر خطاه ويبدأ بالاعتراف ، فصحيح ان من يكون عليه اعتراف من الغير سيقدم للمحاكمة الصهيونية ولكن الصحيح ايضا ان هناك فرق شاسع بين من ذهب للمحكمة والسجن وهو معترف على نفسه وعلى غيره وبين من يذهب للمحكمة وهو صامد ومرفوع الرأس ... ومن ناحية اخرى فان اقدام المخابرات على تقديم المناضل للمحكمة والزج به في السجن لا يمكن ان نكافئها على هذا الامر بتزويدها بالمعلومات والاسرار واسماء المناضلين ... ولو ان المحقق هدفه الزج بالمناضل في السجن فقط لاكتفى المحقق بما على الصامد من اعترافات واراح نفسه من عناء التحقيق ... ولكن استمرار التحقيق والتهديد بقانون "تامير" انما يدلل ان

لجهاز المخابرات هدفين متلازمين هما زج المناضلين في السجون ، ومن ناحية اخرى هتك الاسرار والانشطه التي يقوم بها المناضلون ومن يشاركونهم بها ، وبالتالي فان التلويح بقانون (تامير) اثناء التحقيق انما هو شكل من اشكال التحقيق والضغط على المناضل بهدف دفعة للاعتراف والتفريط بما لديه من اسرار واسماء وانشطه وهذا ما تبغيه المخابرات .

٥ - مدخل تركيب المعلومات المتفرقة وتوظيفها:

المقصود بهذه النقطة ان المخابرات جهاز منظم ويسعى للافادة القصوى من هذه الخاصية فهو جهاز منظم يملك الامكانيات الواسعة وبالتالي فان امتلاك جهاز المخابرات لميزة التنظيم والامكانيات الواسعة يساعد على القيام بدورها بشكل لائق ولتوضيح هذه النقطة يمكن ايراد هذا المثل: لدى اعتقال احد المناضلين يبادر جهاز المخابرات الى استثمار الجوانب التالية (سلطة الجسور لمعرفة مواعيد سفر وعودة المعتقل /سلطة السير لمعرفة رقم ونوع ولون سيارة المناضل المعني / مراجعة ملفات قديمه بها عنوان او رقم تلفون جرى الاعتراف عليه في وقت سابق من مناضل سابق قد لا تربطه رابطة مباشرة بالمعتقل الجديد اللهم ان المعتقل الجديد يشتبه ان له صلة مع نفس التنظيم / الحصول على صور فوتوغرافية سواء لدى تفتيش بيت المناضل المعني او مناضل اخر اعتقل سابقا بحيث يتم مصادرة صور لحفلة زواج او عيد ميلاد او تخرج جامعي وما شابه) ان المحقق يمكنه من خلال مجهود محدد واجراء مكالمات تلفونية مع المطار والجسر ودائرة السير واحضار ملفات قديمة وبعض الصور المصادرة يمكنه ان يكون ملف اولي لهذا المعتقل الجديد بحيث يركب هذه المعلومات المتفرقة مع بعضها البعض ويخرج منها بتصور معين يساعده على البدء في التحقيق ... لهذا فيجب علينا ان لا نصاب بمفاجأة حين نلمس ان المحقق يعرف عن صداقة فلان مع فلان او اين يقع مكتب الجبهة الشعبية في دمشق او ما رقم تلفون مجلة الهدف ، ومتى سافرنا الى الاردن او قبرص ومتى عدنا منها . ان مثل هذه المعلومات لا تعني مطلقا ان المخابرات تعرف كل شيء ومتمكنه من كل شيء وفقط من يكون لديه استعدادا مسبقا للاعتراف هو من يأخذ من معرفة المخابرات لهذه المعلومات مبررا للاعتراف ... ومبدأ الصمود مترابط بحيث ان المناضل الصامد سيصمد سواء كان لدى المحقق معلومات اولية او معلومات كثيرة واعترافات فهذا كله لا ينال من روح

الصمود ومن قوى الصمود لا يربك مهما كانت المعلومات التي امام رجل المخابرات ، ولا يربك الا من كان لديه استعداد مسبق للارتباك ، والى من اصيب بالارتباك حين واجهته المخابرات ببعض المعلومات يمكن القول ، وماذا كنت تتوقع ؟ هل كنت تتوقع ان يكون لدى المحقق بعض المعلومات عنك ولا يبادر الى توظيفها ؟ واذا كان ملفك خاليا من اية اشارة فهل كانت المخابرات قد اعتقلتك ؟

عاشرا: اسلوب الاكثار من الامثال العربية واستعمال كلمات محدده ذات مدلول محدد:-

كما هو واضح ان المحقق لا يترك اية ثغرة او منفذ يساعده في الوصول الى هدفه وهو انتزاع الاعتراف الا ويستعملها ومن ضمن هذه المنافذ ممارسة اسلوب تدريبك على الامثلة العربية التي لها مدلولات سلبية تساعد على تثبيط همة المناضل ومعنوياته ، ونفس الشيء باستعمال كلمات لها مدلولات تثبيطية ومحبطه للروح المعنوية للمناضل وهذه وتلك انما تهدف الى وضع المناضل في اجواء ومناخات احباطية في مدلولاتها تسهم في دفع المناضل الى منزلق الفردية والذاتية وبالتالي الاستعداد للاعتراف فالاعتراف ، فما اكثر ما نسمع هذا المحقق او ذاك يقول (احنا بدنا العنب بدناش نقاتل الناطور) ويقول طيب وبعدين نشوف ان (المبه بتكذب الغطاس) والكثير والكثير من الامثلة فاذا اسعفنا النظر بهذه الامثلة لوجدنا انه تم استعمالها بهدف واحد وهو التركيز على مبدأ فرض الهيبة للمخابرات ومبدأ السلامة الشخصية للمعتقل وكلاهما يخدم عملية دفع المعتقل للاعتراف ... وكلنا يعرف ان تراثنا العربي يحوي على الكثير من الامثلة التي يمكن استعمالها لنفس الاغراض هذه ، اما على صعيد استعمال كلمات محدده لها اعراض محدده فهي غالبا ما يسمعها المناضلون تتردد من كل المحققين الذي يلتقي بهم اثناء التحقيق فهم حقا كما يقول مثلنا العربي " انهم قاريين على شيخ واحد " فهم جميعا خريجوا مدرسة واحدة ومنهاج واحد ، فكلهم يبدأون بترديد كلمات (قول القصة من الالف الى الياء/ هات غيرها القصة / بدك نتفاهم / شو تختار الانسانية ولا الضرب ، هذا موجود وهذا موجود / وايش كمان / رايحين نعصرك مثل الليمونه / مش حالين عنك ...) فهذه عبارات حالها حال الامثال التي تمت الاشارة اليها فهي تهدف الى تحقيق هدف واحد وهو فرض الهيبة والاخضاع والتركيز على السلامة الفردية والذاتية ..ز وبالمحصلة النهائية

الاعتراف والانهيار والتجاوب مع اهداف المحققين.

حادي عشرة: غرف العار والعملاء:-

١ - ان الدافع الرئيسي للتعرض الى هذا الاسلوب رغم انه معروف ومكشوف يعود لكونه ومع الاسف ما زال اسلوبا ناجعا وفعالا ، بل يمكن القول وبدون تردد ان ما يزيد عن ٥٠٪ من اعترافات مجمل اللذين تزرعهم المخابرات داخل الزنازين او الذين يتواجدون في اقسام العار الموجوده في مراكز مختلفة مثل جنين ، نابلس ، رام الله ، الخليل ، كفار يونا ، ومع ذلك يمكن القول بهذا الصدد : ان التحسين والتطوير في الاداء وطرائق العمل لهؤلاء العملاء يتبع من العملية نفسها "خداع المناضلين وسحب المعلومات منهم " وبكلمات اخرى يمكن القول ان جهاز المخابرات قد حرص على تطوير طرق اداء عمل هؤلاء العملاء رغم ان دورهم واهدافهم بقيت كما هي ان التغيير طرأ على الشكل وليس على المضمون بهذا المعنى او ذاك ، فما هي ابرز المستجدات التي ادخلتها لايلاء عناية خاصة لبعض هؤلاء العملاء ثم ذلك من خلال اعطائهم دورات تأهيل تساعدهم على ممارسة دورهم شكل لائق ومن هذه الدورات ما يختص باوضاع الفصائل المختلفة والخط السياسي لكل فصيل وبما يختلف هذا الفصيل عن الاخر ... اي تحويل بعض هؤلاء العملاء الى مثقفين

٢ - لقد حرص جهاز المخابرات على دراسة الحياة الاعتقالية للسجون التي يعيش فيها : اسرى الثورة الفلسطينية وقد وظفت تلك الدراسة بطريقة تساعد عملائها على الايقاع بالمناضلين قليلي الحرص ... حيث تم ترتيب اوضاع اقسام العار "غرف العار" بطريقة مشابهة لاوضاع الاقسام الحقيقية التي يعيش بها الاسرى ، فمثلا حين يدخل المناضل الى قسم العار يقف جميع الموجودين ويسلموا عليه واحدا واحدا / ثم يجلس معه اشخاص بصفتهم ممثلون للفصائل / ثم يطلبون منه تقرير اعتقالي / وهنالك من يسمى نفسه مسؤول التثقيف واخر مسؤول عام والثالث مسؤول الامن "الموجه الامني" وتبدأ عملية شرح الحياة الاعتقالية للقادم الجديد ... وغيرها اي تكون "التمثيلية محبكة" جيدا حتى يمكن حداع المناضلين .

٣ - يحرص جهاز المخابرات على انخراط هؤلاء الحثالة اكثر فاكثر وربطهم في الجهاز اكثر فاكثر وذلك من خلال ارسالهم بين الحين والاخر الى" معبار الرملة " حيث يعيشون هناك مع المساجين المدنيين من العرب واليهود الذين يعيشون في اوساط المخدرات

والجنس ، والسرقة والشذوذ الجنسي ... والهدف من ذلك ربطهم اكثر فاكثر بقيم المجتمع الصهيوني وتعريفهم على انماط جديده من الناس وكل ذلك بهدف زيادة فعاليتهم ودورهم في انتزاع المعلومات وتوريط المناضلين .

خلاصة:- ان المخابرات تزرع عملاء لها في الزنازين باستمرار وكما انها ترسل ٩٠٪ من المعتقلين الى غرف العار بهدف التغرير بهم ، وكما ان بعض هؤلاء العملاء وبحكم استمرار ممارستهم لهذا الدور القذر وبفعل العناية الخاصة التي يحصلون عليها من المخابرات والدورات التأهيلية التي يأخذونها لم يعودوا يعكسون الصورة السابقة للعملاء من كونهم متخلفين وبدائيين وساذجين ... بل ان بعضهم يكون مثقف وذكي وملم بالخطوط السياسية للفصائل ربما اكثر من بعض الملتحقين حديثا بالفصائل ، كما انهم يمارسون اساليب مختلفه منها التفاهم ومنها التهديد ولكنهم لا يصلون الى مرحلة ايذاء المعتقل الذي يرفض التجاوب معهم وهم قد يضربون بعض المعتقلين بهدف الضغط عليهم ، لكن المناضل الذي يجابههم بروح التحدي وبموقف صلب كأن يشتم عليهم ويلوح بقبضته لهم فأنهم سرعان ما يتراجعون امامه ويطلبوا اخراجه من عندهم .

نماذج لتجاوب مختلفه مع العملاء

النوذج الاول : احد العملاء ادخل الى زنزانة احد المناضلين بحجة انه متهم بحيازة سلاح ، العميل لم يبادر الى فتح اي موضوع مع المناضل بل اكتفى بالاحاديث العادية جدا ولم يلامس القضية التي تم اعتقال المناضل عليها اطلاقا واستمر العميل بالاقامة مع المناضل لمدة تجاوز العشرين يوما ... وبعد مرور هذه المده اخذ المناضل بالوثوق بالمعتقل " العميل " وكاد ان يتورط معه في بعض الامور ... حيث ادرك المناضل الموقف متأخرا بعض الشيء لكنه استطاع تدارك هذا الخطأ بمزيد من الصمود ، والدرس الاساسي هنا هو ان استمرار اقامة العميل مع المناضلين لفترة طويلة قد شكل عامل ثقة وبالتالي خداع لهذا المناضل ولكون العميل مكث فترة طويلة وكونه لم يحاول فتح اية مواضيع تثير حساسية المناضل فهذا لم يكن يعني انه ليس عميلا مزروعا ... ولكنه ذكي وهكذا المخابرات .

النموذج الثاني :- احد الخريجين العائدين من الخارج وضعوه مع احد العملاء في زنزانة لكنه لم يتجاوب معه فما كان من المخابرات الا ان ارسلوه الى غرف العار ، ولعدم

معرفته المسبقة ولسذاجة اعتقد انه نزل الى السجن ... وقد تورط عند هؤلاء العملاء وحين سأله المناضلون فيما بعد "لماذا سكت عند العميل في الزنازين وتحدثت عند العملاء في الغرفة؟؟ اجاب : كنت اعتقد ان اصادف عميلاو عميلين ولكني لم اتخيل غرفة من شخص او اكثر كلهم من العملاء ..."

النموذج الثالث :- احد المناضلين ارسل الى اقسام العار وحين جلس مع احد العملاء "المتقدمين" اخذ يتحدث معه عن الحرب العالمية الاولى والثانية ... ودور العمليات خلف خطوط العدو وانواع الالغام الشرقية والغربية والقى محاضرة طويلة عن الفن العسكري ... وما ان انتهى هذا العميل المدرب جيدا من محاضرته حتى بدأ المناضل بالتململ ثم اخذ بتفريغ ما في جعبته من معلومات كاشفا بذلك عن مجموعة عسكرية نشطه في مجال زراعة الالغام امام اليات العدو ، وقد انتهى الامر نهايته الطبيعية حيث عاد هذا المناضل في اليوم الثاني الى غرف التحقيق يشاهد امامه التقرير الذي كتبه بنفسه في غرف العار يوم امس وانتهى الموقف نهايته الطبيعية في هكذا احوال.

النموذج الرابع :- قامت المخابرات بنقل اثنين من المعتقلين من احد مراكز التحقيق الى اقسام العار ، ولدى دخول المعتقلين الى الغرفة بادر العملاء لاستقبال المعتقلين الاثنين وبعد لحظات طلب المسؤول الامني من الاثنين قصة اعتقالهم كل واحد على حده ، وجرت محاولات استدراج مختلفه لكليهما لكن دون جدوى وبعد ذلك تم اعادتها الى زنازين المخابرات حيث بادر المناضل الحقيقي بكشف اسراره الى الشخص الاخر الذى كان في حقيقة الامر عميلا مزروعا وجزءا من التمثلية التي حبكتها المخابرات .

النموذج الخامس :- شاب مثقف تم ارساله الى سجن فيه عدة غرف عار ، نزل الى احدى الغرف فأكتشف بانها غرفة العار ، وفي اليوم التالي نقلته الادارة الى غرفة اخرى ، فبادر الموجود في الغرفة بألسؤال : اين انت ؟ فوصف لهم الغرفة التي كان فيها ، فقالوا له : " هذه هي صفات غرفة العار ، هل تكلمت شيئا ؟" فقال لهم " لا " .. وباسلوب كهذا كسبوا ثقته فكتب لهم تقريرا عن ارتباطاطه التنظيميه ، وجده امامه في المخابرات في اليوم التالي ، فقد ظن صاحبنا انه يمكن ان يكون هنالك غرفة عار واحده اما ان يكون هنالك عدة غرف او قسم كامل للعملاء فهذا ما لم يخطر له ببال .

النموذج السادس :- شاب تم وضع عميل عنده في الزنزانه لمدة ١٢ يوما ، وقد وثق

الشاب العميل ولم يستطيع كشف عمالته ، وبعد هذه الفترة نقل الاثنان معا من زنازين المخابرات الى سجن آخر ، وهنالك نزلا لغرف العار ، فقام احد الاشخاص من غرف العار بالتسليم على العميل المرافق للشاب فقام العميل المرافق بعد ذلك بطمأنة الشاب وقال له ان هؤلاء انقياء وانا اعرف بعضهم ، فوثق الشاب بهم وكتب تقريرا عن ارتباطاته التنظيمية .

النموذج السابع :- شاب نزل لغرف العار ، وكان متهما بالتنظيم والتدريب ، وبعد ما وصل للغرف بقليل جلس بالقرب منه عميلان وراحا يقرئان في كراس يتحدث عن كيفية تصنيع المتفجرات الشعبية ، ويتعمدان الخطأ اثناء القراءة ، فسكت الشاب عند اول خطأ ، وثاني خطأ وثالث خطأ ، وعندما اخطئا للمرة الرابعة ثارت بداخله الحمية ، فراح يصحح الاخطاء ، ثم انطلق يشرح لهؤلاء "الاغرار" اساليب صناعة المتفجرات الشعبية ، فاستمعوا له حتى النهاية من الاكلام ، ثم طلبوا منه ان يكتب ما يعرفه في كراس فكتب ثم طرز ما كتب بتوقيعه ليجد كل ذلك امامه عند المخابرات في اليوم التالي .

النوذج الثامن: شاب قالت له المخابرات :- سنأخذك الى الة الكذب في سجن آخر وعندما وصل للسجن الاخر ، قابله ضابط الادارة هناك وسأله عما اذا كان قد اكل ام لا ، فقال له انه اكل ، فقال الضابط : ان الوقوف امام الالة يفترض عدم الاكل ، لذلك سننزلك للسجن هذه الليلة على ان لا تأكل وتخرج صباحا لالة الكذب - فنزل الشاب مصدقا نفسه بأنه نزل للسجن ، وفي حقيقة الامر انه نزل لغرف العار .

المموذج الثامن : هذا النموذج يمكن ان يواظب العملاء على عملهم للايقاع بالمناضل لمدة طويلة يتم خلالها استخدام خدع وحيل عديدة متميزة بالايقاع واصطياده . فاحد المناضلين صمد لمدة ثلاثة اسابيع بدون اعتراف ، وحينها بدأت المخابرات تخطط للايقاع به عن طريق الخدعة ، فوضعت الى جانبه عميلا في الزنزانة ، دخل عليه هذا العميل وقال له " لا تسألني عن قضيتي ، ففي الزنازين يجب الحذر فهي مزروعة بالعملاء " ، قال العميل هذا الكلام للتمويه ، ثم صارت المخابرات تشبح هذا العميل مع المناضل وتحقق معه بحيث يرى المناضل المخابرات اثناء ضربهم له ، وكان العميل يقوم بتحذير المناضل من غرف العار ، ويحثه على الصبر والصمود ، وعندما نقل المناضل من عند هذا العميل الى سجن اخر جلس فيه مع شخص حدثه عن الماركسية بتوسع ، فقد عاد المناضل بعد

ذلك الى زنازين السجن الاول ليحدث العميل عن ذلك الشخص الماركسي بانه عميل وبأنه اكتشف ذلك عندما قام وذلك الشخص بمسح حذائه ليتبين له انه حذاءه يلمع وليس حذاءا مناسبا لسخص له ٥٠ يوما في التحقيق كما كان قد حدثه: ونقل العميل انطباعات المناضل للمخابرات ، وبعدها نقل الاثنان معا الى غرف العار ، فقال العميل للمناضل : احذر هذه غرف العار ، ورفض الاثنان كتابة تقارير ، وخرجا من هذه الغرفه على هذا الاساس ، وبعد الخروج قام المناضل بسؤال العميل : كيف عرفت انهم عملاء ، فقال العميل : ان معظمهم كبار في السن ، وكلماتهم نابية ووجوههم مشوّهه " "... بعد ذلك نقل الاثنان معا لغرف في سجن اخر ، وهناك وجدوا اسخاصا كبارا وصغار استقبلوا المناضل استقبال الابطال كصامد وبدأوا يحدثونه عن الجلسات والبرامج الثقافية وقراءة الكتابة ، فاطمئن شيئا ، وزاد اطمئنانه عندما اتاه "صديقه" العميل وقال له :- ان هؤلاء سجناء وطنيون وقد كتبت لهم تقريرا منذ ثلاثة ايام فاكتب لهم ، فكتب تقريرا ضمنه علاقاته وعاد بعدها للتحقيق ليجد التقرير امامه وهنا لاحظوا انه ابقى في غرف العملاء عدة ايام وليس يوما واحد فقط.

النموذج التاسع:- احدهم نزل لغرف العملاء ، ورفض ان يكتب تقريرا فقال له المخول الامني "انت حر ولكنك لن تجلس اية جلسة ثقافية او ترفيهية الا بعد ان تكتب ، وراحوا يجلسون جلساتهم لوحدهم وتركوه جانبا ، فبدأت تتنامى عنده احساسات بالوحدة وبأنهم يشكون فيه ، وبعد اسبوع ذهب للمخول الامني ، وقال له : "انتم خائفون مني وانا لست عميلا " وحدثه عن ارتباطاته وعلاقاته ، ثم كتب ، ليرى لاحقا ما كتبه امامه في المخابرات . وفيما بعد قال المناضل نفسه ان طريقة العملاء الديمقراطية في التعامل معه هي التي خدعته وفي حالة مشابهة لحالة هذا المناضل قام مناضل اخر بكتابة تقريره للعملاء في صباح اليوم التالي لنزوله عندهم .

النموذج العاشر :- شاب قادم من الخارج ، واعتقل عن الجسر ، نزل الغرف العار بعد اسبوع من اعتقاله ، فحدثوه عن اخيه الذي كان ينام على نفس الدش قبل عامين لخلق الالفة بينهم وبينه وحدثوه بعض القصص والطرائف عن اخيه ، وعندما طلبوا منه تقريرا عن علاقاته كتبه ظنا منه ان هذا تقليد وطني داخل السجون ، فيما بعد وجد تقريره امامه عند المخابرات .

النموذج الحادي عشر :

احدهم ارسل لغرف العار ، وعند باب احدى غرف العار احتج نزلاء الغرفة وقالوا انه ليس لديهم متسع له ، فعندهم ازدحام ، فراح الضباط وحراس السجن يصرخون ويشتمون ، وادخلوه للغرفة بعد سلسلة حركات مسرحية وحوارات اتفق خلالها الضابط الكبير مع شاويش الغرفة على ادخال القادم الجديد مقابل ان تقدم الادارة يوم الاحد القادم بنقل قسم من نزلاء الغرفة الى قسم المحاكيم ، وقد اقنعت هذه المسرحية المناضل القادم بأنه هؤلاء وطنيون منهم يتصدون للادارة ويهددونها بالاضراب .. الخ ، فدخل عندهم وبقي حتى يوم الاحد حيث كتب تقريره وتحدث عن قضيته ، ثم عاد لزنازين ليجد تقريره امامه .

ان النماذج الموجوده في غرف العار متعددة ومتنوعة ، وعلاجها لا يكون بمعرفتها كلها ، بل بالتزام مبدء التكتم ورفض البوح بما يوجد في الصدر لاي كان وغرف العار اليوم قد ينزل المناضل اليها مرات متتالية بدون ان تجابهه المخابرات باعترافاته التي كتبها هناك سوى بعد المرة الاخيرة .. وهدف الارسال المتكرر لغرف العار هو تحصيل اعترافات متتالية من المناضل . ومن جهة اخرى فقد يبقى المناضل في غرف العار لايام وليس لديه واحدة فقط كما كان عليه الحال في السابق ، وذلك حتى يشعر المناضل بالاطمئنان وبأنه في السجن ... ان الحل مرة اخرى هو التكتم واغلاق الفم نهائيا عن البوح بأي كلمة لأي كان ومهما كانت درجة الثقة به .

العملاء خارج السجون :

ان التطرق للتطورات على دور العملاء داخل السجون ، لا بد من اكماله بالتطرق الى التطورات في دور العملاء خارج السجون ، وعنوان هذه التطورات اليوم هو تنظيم العملاء في شبكات يقوم رؤوسها بالاتصال بالمخابرات فقط ، اما باقي اعضاء الشبكة فيتصلون برؤوس الشبكة وليس بالمخابرات ، وتتسم شبكات العملاء بالسمات التالية :-

١ - وجود قيادة ثابته لكل شبكة مما يسمح بتراكم الخبرة وتنظيم العمل وتوزيع المهمات والتخصصات ، تكون هذه القيادة من العملاء الاكثر عراقة والاكثر ذكاء وحنكة في العمل .

٢ - على صعيد الاعضاء (اعضاء الشبكة) يلتقون مع بعضهم في مهمات ميدانية ، وعلاقاتهم غير ثابته ، بمعنى ان العميلان المرتبطين في مهمة ميدانية اليوم لا يصبحان مرتبطان غدا ، وتسمح هذه الطريقة بتشغيل العميل الواحد مع عملاء عديدين وكثيرين لايصاله لنتيجة منطقية بان قسما كبيرا من الناس ساقطون ، ليتم بذلك تخليصة من نوبات تأنيب او صحوة الضمير .

٣ - كل شبكة يوجد في داخلها مجموعة من العملاء المدربين سواء تدريبا عسكريا او امنيا ، ويشمل التدريب الامني على تعليمهم كيفية المتابعة وكيفية كتابة التقارير، وكيفية الافلات من المراقبة ، وكيفية جمع المعلومات ... الخ .

٤ - يقوم اعضاء الشبكة برفع تقارير منتظمة وثابته لمسؤوليهم في الشبكة او غالبا ما تكون التقارير اسبوعية وتتضمن التقارير شرحا عن كافة الاحداث التي مرت خلال الاسبوع ومعلومات عن النشطاء الوطنيين خلال هذه الفترة ونشاطاتهم وغالبا ما يتم عقد اجتماعات من اجل نقاش هذه التقارير .

٥ - تستعمل شبكات العملاء عمليات الاسقاط على نطاق واسع ، والاسلوب الرئيسي المستخدم للاسقاط هو الجنس ، مع تصوير العملية الجنسية التي تتم من جانب عميل مع فتاة يراد اسقاطها او بالعكس ، وبعد التصوير يتم تهديد الفتاة او الشاب الممارس معه بالتعامل او الفضيحة اذا لم يتعامل ... ولا يعني استخدام الجنس كعامل للاسقاط تغييب الطرق الاخرى للاسقاط ومنها استغلال الضائقة الاقتصادية والحاجة والخوف من الاعتقال الطويل ... الخ ، بل ان الجنس قد اصبح يمثل الاسلوب الرئيسي بين مجموع هذه الاساليب ان نشر الشبكات وتشكيلها بهذه الطريقة هو جزء من عملية احتلالية مدروسة ومبرمجة ومخططه لافساد مجتمعنا ولاجهاض ثورتنا من الداخل ، خاصة وانه يتم التركيز في عمليات الاسقاط على الجيل الشاب وهو الجيل المتقد حيوية وحماسا والمفعم بروح الاستعداد للنضال والتضحية ، وفيما يلي نسرد ما ورد في اعترافات بعض العملاء حول الدورات الامنية والعسكرية التي حصلوا عليها ، وكذلك امثلة ونماذج عن عمليات الاسقاط:-

- يكون المشاركون في الدورات الامنية والعسكرية حوالي خمسة اشخاص عملاء .
- تعطى الدورات الامنية من قبل اساتذة متخصصين في علم النفس والاجتماع .
- يتم في الدورات الامنية تعليم اساليب اسقاط اشخاص وجرهم للتعامل ،سواء باستخدام

الاسلوب البسيط ، او الاسلوب المركب ، والاسلوب البسيط يكون بقيام المخابرات باستدعاء شخص ساذج بناء على تقارير العملاء عنه ، ويقولون له : ما رأيك ان تصبح غنيا وعندك سيارة ومتزوج من فتاة جميلة ؟ ... الخ ويفتح امامه حقيبة فلوس ، ثم يطلب منه ان يبلغ المخابرات عن كل من يمارس عملا وطنيا .

اما الاسلوب المركب فله عدة اشكال منها :

١ - جمع معلومات عن اشخاص يمرون بضائقة مالية ، ثم العمل على تأزيم هذه الضائقة عبر اقراضهم فلوسا ثم التشدد وبمطالبتهم بدفع كمبيالات التسديد حتى يغرقوا في الديون ويضطرون للتعامل .

٢ - اقناع الشخص بالتعامل مقابل الحصول على تصريح زيارة لاحد الاهل او السماح بسفره بعد منعه ، او لجمع الشمل اناس قريبين له كأن يكون شابا متزوجا فتاة تسكن الضفة الشرقية ويريد جمع شملها او بالعكس .

٣ - ربط الفتيات عن طريق التصوير الجنسي في غرف فيها كاميرات دقيقة ، وقيام عميل ثان بتصوير الفعلية ، او التصوير اثناء الغيار في محلات النوفوتيهات ، ويتم احيانا استخدام المومسات والمخدرات لانجاز هذا الغرض ، ويتم تقديم عن طريق الشابي .

يتم في الدورات الامنية تعليم كيفية القيام بإعمال الاختطاف والقتل ابتداء من مرحلة جمع المعلومات واختيار الاشخاص المناسبين للتنفيذ ووضع خطة الخطف وتنفيذه ، ثم القتل واخفاء الجثة .

- يتم في الدورات الامنية تعليم كيفية المراقبة للنشطاء الوطنيين ، وهي تتخذ اشكال:-

أ- المراقبة الثابتة: من محل لمحل ، او بيت لبيت .

ب- المراقبة من خلال سيارة : ويشترط فيها منع المراقب (بفتح القاف) من الافلات من الرقابه وعدم احساسه بها في آن معا .

ج- المتابعة على الاقدام ، ويفضل هنا ان يقوم عميلان بالمتابعة ، احدهما عن قرب والثاني عن بعد .

- اخيرا يتم في الدورات الامنية تعليم العملاء على كشف اذا ما كانوا هم مراقبين ، وكيفية الافلات من المراقبة :-

اما المعرفة اذا كان مراقبا ام لا فيتم عبر دخول العميل الى اقرب منطقة فيها تجمع

ناس كثيف وسيرة بينهم ، وفي هذه الحالة يضطر من يراقبه لمراقبته عن قرب وبهذه الطريقة يقوم العميل بعملية كشف ومعرفة خلال مدة لا تتجاوز العشرة دقائق ويتم ذلك عن طريق الخروج فجأة من مكان الاكتظاظ الى شارع فرعي ، وحينها سيضطر من يتابع العميل للحاق به وحينها ينكشف هذا المتابع (بكسر الباء).

- اما بالنسبة للافلات من المراقبة فيتم عن طريق التمهل والوقوف امام البترينات لمدة طويلة لكي يمل المتابع ويذهب او يحمل العميل مسبحه او علاقة مفاتيح ويتركها تسقط بين الحين والاخر ويتطلع اثناء التقاطه لها خلفة للتأكد الذا كان لا يزال متابعا ام لا .

طريق الاسقاط :

من اعترافات العملاء السابقة تتضح بعض الطرق التي يستخدمها العملاء لجر ضحايا للوقوع في شباكهم ودفعها للتعامل . وفيما يلي توضيحات اضافية :-

١ - الاسقاط عن طريق الجنس : - قيام عميل باسقاط فتاة بعد تهديدها بصور الممارسة الجنسية ، او قيام عميل باقامة صلة عاطفية مع فتاة لجرها بالتدريج للعماله ، او بالعكس ، وتقوم العميلات المنتشرات في المجتمع بدفع صديقاتهن للاهتمام بمظهرهن ولترغيبهن باقامة علاقات عاطفية مع شباب عملاء وتمهيدا لاسقاطهن ، وتتم احيانا متابعة حبيبين من اجل تصويرهما في وضع غير طبيعي وجرهما للعمالة ، وفي السجون تقوم المخابرات بدفع عملائها لممارسة اللواط مع الفتيان لدفعهم للعمالة ، وكذلك تجلب مومسات لبعض ضعاف النفوس على الزنازين وغرف التحقيق لاسقاطهن ، وتلعب الحفلات الجنسية دورا في اسقاط العديدين ، كذلك ينبغي الاشارة لدور المحلات الموجودة مثل النوفوتيهات وصالونات التجميل والمحلات التجارية التي يملكها عملاء ، ففي المحلات جميعا تتم ممارسة التصوير للفتيات اثناء الغيار ، كما يتم استخدام المخدرات والمنومات في الشراب لانجاز الممارسة اثناء ذلك على "السده" او في غرفة خلفية من المحل .

٢ - الاسقاط على طريق دعوات المقابلة والاعتقالات القصيرة : فدعوات المقابلة اليوم تتم من اجل استخراج العديدين للتعامل ، ويحدد العملاء للمخابرات الاشخاص الضعاف الذين تقوم بطلبهم ، والذين يعانون من ضائقة مالية ، او اجتماعية لاستغلالها لابتزازهم واسقاطهم .

٣ - الاسقاط اثناء التحقيق : ويتم اما عن طريق اللواط واحضار الممارسات او الترغيب

باطلاق سراح المعتقل او تخفيف حكمه ، او انزاله لغرف العار اكثر من مرة ليأخذ السجناء العاديون عنه انطباع بأنه ساقط ، او ابقاؤه لفترة طويلة في الزنازين لابتزازه ، او انزاله بعد انتهاء التحقيق معه الى زنازين الادارة بدل السجن ، او جعل عميل يرافقه لفترة طويلة في الزنازين لكسب ثقته واسقاطه ، او تسميم غذائه ، واستخدام كل اشكال الضغط النفسي والجسدي لاسقاطه .

الاسقاط داخل السجن : ويتم عن طريق ايصال خبر للشخص عبر عميل او عبر المحكمة بأن تنظيمه يريد التحقيق معه ، مما قد يدفعه لتسليم نفسة للادارة والتحول الى عميل ، او استخدام المخدر معه اثناء وجودة في العيادة لاسقاطه اثناء عملية التخدير .. الخ .

ان اساليب الاسقاط هذه يمكن الرد عليها عبر التزامنا بالاخلاق الثورية ، والابتعاد عن المتع الانانية الرخيصة ، وتعزيز قيمة الانتماء الوطني والمبدئي ، وعزل العملاء ومقاطعتهم وانتهاج اشد اساليب التحريض ضدهم .

(السرية الداخلية هي المبدء الوحيد)

ان سلاح السرية هو افتك وانجع سلاح تمتلكه اية حركة ثورية تعيش في ظروف القمع والقهر .. ومن خلال اتقان العمل السري وافانينه استطاعت الحركات السرية الصمود في وجه عمليات القمع ، ومن ثم استمرار قيامها بدورها السياسي والجماهيري .. اذن فالسرية هي كلمة السر التي تفتح الابواب وتغلقها فما هي السرية ؟؟

(السرية هي ضرب سياج متين من الكتمان على اسرار الحزب ، وعدم تسريب اية معلومة عن حياة الحزب وانشطته الداخلية لأيا كان وفي أي ظرف من الظروف وضمن اي اعتبار من الاعتبارات انها السرية التامة على اسرار الحزب ...) .

ان السرية تعني ان اسرار الحزب هي ملك الحزب وحده ، (والحزب) هنا هو القناة الحزبية او الدائرة الحزبية التي يرتبط بها هذا العضو او ذاك ، وهذا هو المعنى الدقيق للسرية ، وكل من لا يفهمها ويتعامل معها على هذا النحو فهو مناضل غير سري او يسيء الى العمل السري في احسن الاحوال . ولتوضيح هذا الامر ، اكثر فأكثر نقول : احد الاشخاص التحق بتنظيم وهو سيصبح تلقائيا عضوا في خلية لها مسؤول وفيها اعضاء

اخرين وتمارس مهاما معينه توكل لها ، فمن هي الجهة التي من حقها ان تعرف عن هذا الشخص الذى التحق بالتنظيم وعن خليته ؟ .. هل هي زوجته او صديقه ؟ هل هم اصدقاء غير منظمين والذين يربط معهم بعلاقة اجتماعية ؟ هل اقاربه وعائلته ؟ ام جهاز المخابرات والعملاء ؟؟ لو سألنا الانسان المنظم هذا السؤال ووضعنا امامه هذه الخيارات فماذا نعتقد انه سيجيبنا على هذا السؤال وهذه الخيارات ؟؟ يمكن القول بكل ثقة بأنه سيجيب بهدوء وببساطه كأنه يجيب على بديهيه بأنه (لا يجوز ان يعرف عن الانسان المنتمي الى التنظيم لا الزوجه ولا الصديق ولا الاهل ولا الاقارب ولا الاصدقاء ولا جهاز المخابرات ولا العملاء ... وسوف يضيف فقط الجهة المسؤوله عن الخليه وحدها التي تمتلك حتى الاطلاع والمعرفه ...) هذه هي الاجابة الهادئه والواثقه من نفسها لماذا لا يتم التقيد بها عند اول امتحان ؟؟ لماذا يقوم هذا الانسان المنتمي بكسر مبدأ السريه عند اول منعطف ومحطة اختيار ؟ لماذا يتنكر هذا الحريص على السريه لهذا المبدأ الحاسم في غرف التحقيق ويبدأ بالاجابه على اسئلة المحقق ؟ ولماذا يتناسى هذا الحريص على السريه هذا المبدأ الحاسم مجرد ان يلتقي بشخص مجهول وكل ما يجمعه معه ان المخابرات قامت بوضعه داخل الزنزانه الى غرف السجن من هذا المناضل ؟ ولماذا يتنكر هذا الحريص على السريه لهذا المبدأ الحاسم لمجرد انه نزل الى غرف السجن واجتمع مع عدد من الاشخاص هيأ لنفسه او اقنع نفسه انهم اسرى حقيقيون ومناضلون نظيفون وطاهرون ؟؟ اين هي السريه في الاعتراف امام المخابرات ؟ واين هي السريه في افراغ ما في الجعبه مع شخص صفته الاساسيه انه يترك معك في زنزانة واحده ؟ واين هي السريه في فتح ما في الصدور والبوح بها لمجموعة من الاشخاص كل ما يميزهم انهم يشبهون الاسرى الحقيقيون ؟؟ هل هذه هي السريه الداخليه ؟ ايم ذهب السياج المتين من الكتمان ؟ واين ذهب " عدم تسريب اية معلومات عن حياة الحزب وانشطته الداخليه لأيا كان .. " السريه سلاح خطير حين يحسن المناضلون استعماله وصونه ، وهو سلاح باهت حين يصبح مجرد شعارات نتسلى بها وندعي اننا نعيها على اكمل وجه . ان المبدأ الإساسي الوحيد في العمل السري يمكن بما يلي : ان كل مناضل عليه ان يدرك بأن الجهة المسؤوله عنه وعن معرفة ومناقشة اسراره التنظيميه هي المسؤوله المباشر في التنظيم وهي همزة الوصل الوحيده بينه وبين التنظيم وبالتالي فان اية جهات اخرى لا تملك الحق بمراجعة

اي عضو منظم ومطالبته بالايضاح لها عما يمتلك من اسرار ... فلا الموجه العام ، ولا المسؤول الامني ، ولا اعضاء لجنة التنسيق "ولا اي مخلوق اخر يمتلك حتى مطالبتك بما عندك او يمتلك حق ايصال اخبارك من زنازين التحقيق او غرف السجن وفقط مسؤولك التنظيمي الذي ترتبط به مباشرة وتعرفه جيدا هو الوحيد الذي يمكنك التحدث معه او الاتصال بالحزب من خلاله وغير ذلك فهو باطل مئة بالمئة اذن فالمبدأ الوحيد هو عدم البوح بالاسرار شفاهة او كتابة لأيا كان ... مهما انتحل لنفسه من اسماء او صفات ... وبلغة محددة انه حتى لو التقيت مع اكبر زعيم في الزنازين او داخل احد الاقسام في السجن فمحظور عليك ان تكشف له اي سر من الاسرار مهما كان صغيرا وان لا تطلب منه اي طلب مهما كان صغيرا وان لا تطلب منه اي طلب مهما بدى تافها وتبريرات من نوع "وثقت به " او "اعتقدت انه ثقه" او "كنت بحاجة لايصال المعلومات او" اعتقدت اني ملزم بكتابة تقرير عند نزول السجن او "كان اسلوبه مقنع بدرجة كبيرة ، الاحمق وحده هو الذي يكسر مبدأ السرية في الزنازين او حين ارساله الى احد اقسام السجن ، انه ليس احمق فحسب بل ثرثار ومهذار ولا يستحق الا السخط واللعنه ولا نبالغ اذا قلنا الازدراء ... لأنه مهما تلونت الاساليب " فالعبره بالنتيجه " والنتيجه واضحه وهي ان مبدأ السريه قد انكر وان اسرار الحزب " قد استبيحت وان امن الحزب قد هدد ، وقد يقول قائل لماذا لا يقوم التنظيم بتوعيتنا وتنويرنا بالاساليب المختلفه التى تمارسها المخبرات بهدف الايقاع بنا من خلال العملاء ؟؟ ولمثل هذا المتسائل يمكن القول : ان مجاراه حيل المخابرات ليس امرا مستحيلا ولكنه صعب كذلك لانهم يحرصون بين الحين والاخر على تبديل افانينهم وتحسينها وادخال تجديدات عليها فبالامس كان العملاء يوضعون فى الزنازين للأستماع الى الاحاديث التى تدور بين المناضلين ونقلها الى المخبارات واليوم اصبح العملاء يشاركون المناضل نفس الزنزانه واحيانا يمكث العميل مع المناضل يوم او يومين واحيانا قد يمكث عشره وعشرون يوما واحيانا ترسل المخابرات المناضل الى اقسام العار فى جنين واحيانا الى نابلس احيانا يقولوا لك : المحامى يريد رؤيتك ونحن نرسلك اليه فتجد نفسك قد نزلت الى اقسام العار واحيانا يقولون يريد الصليب الاحمر رؤيتك ، واحيانا يقولون اننا سنرسلك الى فحص ماكنه الكذب وحين تصل الى المكان

المقصود يقولون لك الطبيب غير موجود اليوم سنرسلك للسجن غدا سنطلبك للفحص باله الكذب ثم يتم ارسالك الى قسم العار احيانا يقولون لك لقد زهقنا منك لا تريد الاعتراف حسنا سنرسلك للسجن نرتاح منك ثم تجد نفسك عند " العصافير " وبالأمس كان فى غرف العار عددا من الساقطين ما بين ٧ -١٠ والان قد يرسلونك الى قسم به اكثر من غرفه كما هو حاصل فى قسم جنين حيث يتواجد فى القسم قرابه ٣٠ ساقط رخيص .. وبالامس كان معظم سكان اقسام العار من الشباب واليوم قد تجد بينهم اشخاص كبيرون فى السن " ٧٠ - ٨٠ عام " ، واشبال صغار السن (١٥ - ١٦) وقائمه الاقانين والحيل قد تطول وتطول ... وبالتالى لا نستطيع القول ان اوصاف كذا وكذا تنطبق على عملاء الزنازين او اقسام العار ... فهذه الاوصاف متغيره متحركه ومتبدله ... اذن فالسبيل الوحيد للتغلب على هذه الحيل تكون بالتمسك الحازم والمتين بمبدأالسريه اى ان تبقى على ما لديك من اسرار فى صدرك ولا تفتحه لأيا كان او فى أى مكان او ظرف تواجدت به ، لأن التنظيم لا يطالبك بتقديم تقرير عن اسرارك وهو لا يهمه ان ترسل له معلومات من الزنازين حتى لو كانت لطمأنته .. فهو سيكون مطمئنا طالماانك حافظت على لسانك وفمك مغلقا ولم تبوح لاحد بكلمه واحده فالحذر هو المبدأالوحيد الا وهو ضرب سياج متين من السريه على اسرار الحزب طيلة فتره التحقيق مهمما طالت واستطالت .

اخطاء شائعه

كما تحدثنا عن الافانين المختلفه التى تبتكرها المخابرات للتحايل على المناضلين من خلال العملاء سواء فى الزنازين او فى اقسام العار وكما قلنا ان جوهرالرد على تلك الافانين لا يكمن بملاحقه تطوراتها ومعرفه تلك التطورات بل يكمن فى التمسك بالمبدأ الوحيد وهو السريه اولا واخرا ... فان الحديث عن بعض الحيل والافانين التى تمارسها المخابرات والتى تؤدى الى وقوع فى اخطاء اثناء التحقيق ينطبق عليه نفس الفهم بمعنى ان الخروج من تجربه التحقيق بصوره مشرفه لا يكون فى التعرف على الحيل والافانين بل يكمن فى الاصرار على الصمود وعدم الوقوع تحت تأثير اى حيله او محاولات خداع والتأثير والتشويش على المناضل ومع ذلك لا بأس من ايراد جمله من الحيل والافانين

واساليب الخداع والاخطاء التى قد يتعرض لها المناضل فى تكوين صوره اوضح عما قد يحدث معه فى حاله اعتقاله .

١- الخطأ الاول يكمن فى اعتقاد البعض ان اقرارهم بالانتماء او النشاط الى احد الاطر الجماهيريه او النقابيه يؤدى الى تضليل المحققين وابعادهم عن امور اكثر جوهريه واهميه ، وفى الحقيقه ان هذا الخطأ واضح ذلك انه وكما تمت الشاره اليه فى مكان سابق بأن جهاز المخابرات ونتيجه لجمع المعلومات من العملاء ونتيجه للاعترافات من قبل بعض المناضلين اصبحت تدرك الصله التى تربط بين الاطر النقابيه والجماهريه وبين الفصائل الفلسطينيه المختلفه فهم يعرفون ان جبهة العمل النقابى تؤيد الجبهة الشعبيه وكتله الوحده تؤيد الجبهة الديموقرطيه ... وهكذا وبالتالى فان الذى يحدث هو ان المخابرات تقوم بتوظيف هذه الاعترافات الجماهريه والنقابيه للوصول الى احتمال من ثلاثة (تبقى كما هي) وهى ان هذا المعتقل وطالما انه فى كتله جبهة العمل النقابى فهناك احتمال انه عضو في الجبهة الشعبية ، وان تستند الى اعترافه النقابي لتقديمه الى المحكمة والزج به بالسجن وهذا ما حدث مع بعض الطلبة حيث حوكموا بتهمة عضوية كتلة جبهة العمل الطلابي حيث اضافت المخابرات لها عبارة "التابعة للجبهة الشعبية " والاحتمال الثالث يكمن في ان اقرار المعتقل بعضوية هذا الاطار النقابي والجماهيري سيؤدي الى تصنيف توجهات هذا المناضلوهذا ينقله من دائرة المتقل "الصدفي" الى دائرة المتقل على اساس الاشتباه بالانتماء وفي هذا كشف عن اسرار من الاسرار التي يجب ان يحرص المناضل على صونها.

٢- خطأ الانخداع ببعض ما تبرزة المخابرات: المقصود بهذه النقطة ان المخابرات في بعض الاحيان تؤكدانها عثرت اثناء حملة الاعتقالات على "الارشيف" التابع للتنظيم وفيه هيكليات واسماء، وانها عثرت على اسم المناضل "من ضمن هذا الارشيف ثم تحاول ان تبرز له بعض الاوراق والادبيات وربما افادات بعض اللذين اعترفوا بهدف اقناعه انها صادقه بما تدعيه. ان المخابرات قد تعثر على اوراق تخص التنظيم وربما على رسالة ولكنها لن تعثر على ارشيف لسبب اساسي وهو ان هذا الارشيف غير موجود اصلا، اما عن حصولها على هيكلية محددة فمصدرها دوما هو الاعتراف و مسألة مجابهة الاعترافات ومسألة اخرى علينا ان نجابهها على هذا الاساس، وبالتالي من الخطأ ان يربك المناضل

وتتشتت افكاره اذا ما اراه المحقق بعض الاوراق ، حتى لو كانت صحيحة ونفس الشيء ينطبق على " الصور الفوتغرافيه " ففى بعض الاحيان قد تحصل المخابراتعلى بعض الصور التى تضم اشخاصا مجتمعين فى حفله او رحله ... وهذا الامر يجب ان لايربك المعتقل ويدفعه للوقوع فى الخطأ بأن يؤكد ما قد نفاه من معرفته بفلان او بفلانه او انه قد ذهب الى مكان كان قد نفى ذهابه اليه ان الرد على هذا الامر يكون من خلال الحرص على عدم الاحتفاظ بالصور الفوتغرافيه والتى تحوى اشخاص نحرص على عدم اظهار صلتنا بهم او اماكن نحرص على عدم تأكيد وجودنا فيها ، ومن ناحيه ثانيه فبامكان المناضل ان يشكك بصدق هذه الصور على انها ليست له او انها اخذت دون ان يعرف ... وبالمحصله فان الصور الفوتغرافيه يجب ان لا تشكل مدخلا للخطأ او الارباك ، كما من الافضل عدم وقوع مثل هذه الصور فى ايدي المخابرات .

٣- خطأ الانخداع بحيله اعتقال الزوجه او انسان قريب جدا من المعتقل :- من المعروف ان جهاز المخابرات يمتلك الامكانيات كما انه يمتلك الاستعداد لتنفيذ كافه حيله وذلك بهدف الوصول الى اهدافه المبتغاه الا وهى انتزاع اعترافات من المناضلين ، واحد الحيل التى يمارسها جهاز المخابرات هى الايحاء للمعتقل بأنه تم اعتقال زوجته وهى قيد التحقيق ... قد تبادر المخابرات الى احضار الزوجه فعلا ولكن ليس للاعتقال بل تطلب لاستجواب عادى ثم تحرص على جعل المناضل يرى زوجته فى غرفه التحقيق فيما يجعله يعتقد انه تم اعتقالها بالفعل وبالتالى يرتبك ويتعثر ويقع بالخطأ ... بهذا الصدد يمكن القول : لو افترضنا حقا ان المخابرات اقدمت على اعتقال زوجه المناضل فهل هذا يجب ان يدفعه للاعتراف ؟؟ ان من يعترف لانه اعتقد انهم عتقلوا زوجته انما يكون لديه الاستعداد المسبق للاعتراف وكان يبحث فقط عن حجه شكليه يبرر فيها اعترافه ، وقد دلت التجربه ان المخابرات لا تقوم باعتقال زوجه اى مناضل ما لم تكون عليها قضايا تستوجب التحقيق ، وهذا ما يجب ادراكه والتفاعل معه .

٤- احد المناضلين قامت المخابرات بادخال فتاه لا تربطه بها صله الى نفس الزنزانة التى يتواجد هو بها وتركتهم مده من الزمن ، ثم تظاهرت المخابرات بأن هذا حدث بطريق الخطأ .. وفى الحقيقه ان ما حدث لا خطأ ولا يحزنون ذلك ان المخابرات ارادت من هذه الحيله التأكد من بعض الحسابات التى لديها واحدها هو التيقن من اذا كان المناضل يعرف

تلك الفتاه ام لا ، ولهذا يمكن القول انه من السذاجه الاعتقاد ان هكذا امر يحدث بطريق الخطأ ، بل يجب التيقن انها عمليه محسوبه مئه بالمئه .

٥- اعتقلت المخابرات اثنين من المناضلين وبعد التحقيق معهما اعترفا بالعضويه لاحد التنظيمات وتدريب على الاسلحه وقد بدأ التحقيق يوشك على الانتهاء .. وكانت المخابرات قد حرصت على عدم السماح بأى اتصال بين الاثنين للافاده من ايه تناقضات وقد تنشأ بين اقوالهما ، ومن المعروف ان كل مراكز التحقيق يوجد بها زنازين لها ترتيب خاص ، بحيث توجد زنازين يشعر المعتقلون فى نفس القضيه ان باستطاعتهم تبادل الاحاديث ... وقد قامت المخابرات بوضع المناضلين المعنيين فى زنزانتين متقابلتين وزرعت عند احدهما عميل لم يفطنا اليه ... فبادر احدهما وقد اعتبر ان " غباء المخابرات قد وفر له فرصه ذهبيه لا تعوض بالحديث مع معتقل الاخر فى نفس قضيته فقال له : " عضويه وتدريب وبس " اما ال ... فلا وحين قال كلمه " " أل " اشار بيده يشبه من يطلق النار من المسدس ، وبعد ساعتين وجد الاثنان نفسيهما وقد عادا للتحقيق واخذ المحققون يتحدثون عن اسلحه وزاد التحقيق عنفا بالرغم انه كان قد قارب على الانتهاء ،وبعد يومين من التحقيق الشديد قام الذى تحدث فى الزنزانه بالاعتراف على مسدس وقنبله وسلمها للخابرات ... نستخلص من هذا المثال ان الذى اتسم " بالغباء" ليس المخابرات ... وان الذى استفاد من الفرصه الذهبيه ليس المعتقل بل " المخابرات " وان هذه " الفرصه " لم تكن صدفه عابره وسوء تقدير ... بل ان وضعهما فى زنزانتين متقابلتين كانت خطوه محسوبه ومدروسه ومخطط لها جيدا ، وما حدث مع هذين المناضلين حدث مع غيرهما مرات ومرات ... وفى كل مره كان المناضلون المعنيون ان غباء المخابرات هو الذى وفر لهم الفرصه فاغلاق الفم فى الزنازين كما الحال فى غرف التحقيق هى الكلمه الفصل .

٦- الاشرطه التى عليها اصوات مختلفة الاهداف : المقصود بهذه النقطه ان المحققين يقومون بتسجيل اصوات مختلفه على اشرطه تسجيل - ثم يقومون بتشغيل هذه الاشرطه تبعا للحاله التى يتم التحقيق معها ... حيث يتم اداره شريط سجل عليه صوت احد العملاء وهو يقول (خلص تعبت بدى ارتاح مش قادر اتحمل يا شاويش وين المحققين رايح انجن ...) ثم يبادر المحقق بالقول الى المعتقل : انظر اليه حاول الصمود والانكار ... وهذه هى النتيجه ، انه هو يطلب منا ان نستدعيه للتحقيق قبل ان يصبح مجنونا ...

والطبع معروف تماما الهدف من هذه الحيله ، وهو هز معنويات المناضل وارباكه. وهذا مثل آخر : اعتقلت الخابرات مناضل ومناضله واعتقدت ان بينهما صله تنظيميه وقد لاحظت ان المناضل يعانى من مرض معوى ، فأحضر المحققون شريط وعليه اصوات شخص يئن صارخا بسبب الم فى معدته ... وظلت تكرر هذا الصراخ مره تلو الاخرى حتى اثرت على المناضله بحيث اخذت تصرخ على المحققين بأن يحضروا له الطبيب ، اعتقادا منها انه فى حاله سيئه جدا ... وبالتالى يمكن القول ان المخابرات قد نجحت فى بعض هذه الحيل مستفيده من الاجواء النفسيه التى تخللت عمليه التحقيق واجواء الزنازين .

٧- خطأ الرغبه بتقصير امد التحقيق : ان اجواء التحقيق والشبح والزنازين والعملاء ليست بالاجواء الطبيعيه وليست بالاجواء التى يرغب الانسان العادى العيش فيها ، ولهذا السبب يقال ان تجربه التحقيق هى " تجربه نوعيه " اى لا يعيشها الانسان او المناضل كل يوم ... وبالتالى فالرغبه بتقصير امد التحقيق هى رغبه طبيعيه وانسانيه والمحققون يدركون هذا الامر ويحاولون توظيفه لصالح انتزاع اعترافات من المناضلين ، وما اكثر ما يرددون اسطوانه يحفظونها جيدا وهي (اننا أوقفناك ١٨ يوما وبعدها ٣٠ يوم ثم ٤٥ حتى ٧٨، وحتى اذا انتهيت ال ٧٨ سنوقفك اداريا ونستمر بالتحقيق معك٠٠٠) وهذه الاسطوانة التي تدور دوما انما تعكس ادراك المحققين لرغبة للمناضل بالتخلص من اجواء التحقيق باقصى سرعة، ان الرغبة بالصمود وعدم التفريط بالشرف الحزبي ولا تنسجم مع الرغبة بانهاء التحقيق بسرعة وباقصر فترة ممكنة٠٠٠ فطالما انك صامد فهذا يعني ان التحقيق معك سيستمر وان المحققين سيحاولون بكل الطرق الممكنة التي تؤدي الى انتزاع الاعتراف٠٠٠ وهذا يعني ان امد التحقيق سيطول وهكذا فهذه العملية تعكس وحدة الضدين "الصمود وقصر امد التحقيق " ان المناضل الذي حسم امره على الصمود عليه ان يفرض ان امد التحقيق معه سوف يطول ، وان العبرة ليست بطول او قصر امد التحقيق... بل العبرة بنتائج التحقيق صون شرف الحزب واسراره ام التفريط والخيانة ؟

٨- خطأ التجاوب مع الاستفزاز :- ان امتلاك نفس التحدي والقوةهو عامل هام من عوامل مكونات الانسان الصلب ... ان روح مجابهة المخابرات بنفسية متحدية هي غاية نحرص ان يدركها كل مناضل ... وذلك لان روح التحدي تجعل المناضل في موقع الهجوم وليس الدفاع الذي يسعى المحقق على وضع المناضل فيه دوما، ان اقوال المناضل انكم فاشيون

وانكم محتلون ومعتدون على شعبي وكرامتي ... هي من عوامل القوة ... ولكن الاستجابة للاستفزازات من نمط "سنخضر امك ونشبحها/ سننزع ثياب زوجتك ونجعل الجنود يغتصبونها/ او قولهم انت قول انك عندك اشياء ولكن لا تريد الاعتراف... ان التجاوب مع هذه الاستفزازات المعتمدة والتي تهدف الى دفع المناضل ان يقول ما لا يرغب بقوله: كأن يرد على المحقق: نعم عندي اشياء ولا اريد الاعتراف، فهذا يجعلهم يعتقدون ان لديك اسرارا كثيرة تخفيها عنهم، وبالتالي يجب التنبيه لهذه الحيلة وعدم الخلط بين روح التحدي والمجابهة وبين الاستجابة الى الاستفزازات من قبل المحققين .

هذه امثلة مختلفة على اخطاء شائعة يقع فيها المناضلون، وهي ليست كلها ان الاخطاء دائما تشكل نماذجا تعطي انطباعا عن الاجواء التي يمكن ان يعيشها الم المناضل اثناء الاعتقال ، وبالتالي فان ايرادها يساعد المناضلين على تجنب الوقوع بها ، او بما يشابهها من اخطاء.

القسم الثاني

كما راينا فقد حوى القسم الاول من هذه الموضوعة على بعض المستجدات في اساليب التحقيق وعلى معالجات تتعلق بجوانب مختلفة من المسألة الامنية، فهل من الصحيح ان نقف عند هذا الحد ؟؟ ومن خلال ما تناوله وشخصه القسم الاول نرى بأن السبب الرئيسي الذي يقف وراء الضربات الواسعة التي لحقت بالجسم التنظيمي للفصائل المختلفة كان "الاعترافات " فهل نكتفي بهذا التشخيص ؟ الجواب هو بالطبع لا بل من الضروري جدا استكمال الموضوعة من خلال طرح النقاط الرئيسية التي تساعد على بلورة موقف "الصمود" النقيض المباشر "للاعتراف والانهيار".. فكيف نتناول هذه المسألة:

مدخل:- ان المنطلق الذي يجب ان ننطلق منه هو الادراك الواضح بطبيعة العلاقة التي تحكم كل من المناضل الفلسطيني وضابط المخابرات الصهيوني، ان العلاقة بينهما علاقة تناحرية بالمعنى العام للكلمة اي بمعنى ما يمثله كل من النقيضين، فالمناضل الفلسطيني يمثل الثورة الفلسطينية وما تمثله من ظاهرة ذات مضمون تقدمي وانساني ، وضابط المخابرات وما يمثله من تعبير عن قوى الاحتلال والقمع والاضطهاد ، وبالتالي فان العلاقة بين ظاهرة ذات مضمون تقدمي وانساني وظاهرة ذات مضمون قمعي ولا انساني انما تكون عدائيه بل سافرة في عدائيتها بين النقيضين فهذا يعني ان كل طرف يحرص

على الحاق الاذى المطلق بالطرف الاخر، وقد علمتنا التجربة ان رجال المخابرات يعلمون على التدمير المعنوي للمناضلين من خلال انتزاع الاعتراف منهم، ووضعهم في مواقع الخائن والواشي الذي فرط بحزبه ورفاقه ، فالمحققين حين يقومون بالتحقيق مع المناضل انما يضعون نصب اعينهم هدفين متلازمين هما:- أ- انتزاع وكشف اكبر قدر ممكن من الاسرار وطرائق العمل والتفكير ب:- ضرب الروح المعنوية للمناضل ، واجهاض الروح الكفاحية والوطنية المتأججة بداخله، اي تحويله من مناضل متوهج معطاء مكافح الى كائن مهزوم بائس لا يثق بنفسه وبمكانته ، ان المخابرات تحرص وباستمرار على تحقيق هذين الهدفين المتلازمين ،و في احسن الاحوال واحدا منهما ... ومن يمعن النظر بهذين الهدفين يرى مدى سفور العداء بين جهاز المخابرات وبين المناضلين ، نعم ان جهاز المخابرات يحرص على تحطيم البنى التنظيمية للحركة الوطنية وعلى تحطيم اهم عنصر من مكونات هذه البنى الا وهي "المناضل نفسه الملحق بهذه البنى التنظيمية ، ومثل هذا التشخيص يفرض علينا ان نكون متنبهين دوما الى جهاز المخابرات بحيث مهما تلونت اساليب التحقيق سواء كانت عنيفة او هادئة، سواء مثلها رجل المخابرات الوحش او الصديق " فيجب ان يظل واضحا في اذهاننا انه مهما تعددت الاساليب فالهدف دائما واحدا ... وواجبنا منع المحققين من تحقيق هذا الهدف ... فلا نكشف اسرارا واسماء ... ولا نتحول الى خونة وواشين واكياس رمايه يتدرب عليها المحققون ... فما هو السلاح الذي يجب علينا ان نتسلح به بحيث نكون بمستوى معركة بهذا المدى من العدائية وذلك لأن معركة جدية لا يجابهها الا من كان مهيئا لها ومستعدا لخوضها ومجابهتها.

اولا: المتانة المعنوية:-

ان الحزب الثورى وحتى يحافظ على ثوريته يجب ان يضم العناصر الاكثر وعيا والاكثر طليعيه والاكثر استعدادا للتضحيه والمعروف ان الحزب الثورى يحرص على الارتقاء برجل الشارع العادى الى مستوى مقاييسه ومفاهيمه ، وليس الهبوط بمقاييس الحزب لمستوى رجل الشارع العادى ... ان الحزب وعلاقاته الداخليه انما هي صوره مصغره عن المجتمع الذى نناضل من اجل الوصول اليه وتشييده ... المجتمع الاكثر عمقا وانسانيه الاكثر صفاءا ونقاوه وشفافيه المجتمع الذى تكون القيم الانسانيه الصحيحه هي القيم السائده فيه وبالتالي فان معاني المحبه والوفاء والايثاريه هي التي يجب ان تشكل اللحم

الذى يكسو عظم المناضل كما تكتمل ملامحه الانسانيه والكفاحيه .. فالانسان يرتقي بنفسه ويصبح اكثر عمقا وارتقاء كلما ازال من نفسه اوساخ وقذاره المجتمع الطبقي الاستغلالي المجتمع الذى يزرع بذور الانانيه والفرديه وحب الذات .. وهى الجذور الماديه للاعترافات والانهيارات ، ان المناضل الثورى يجب ان يتسلح بمفاهيم ثورية عميقه تكون بمثابه الزاد المعنوي الذى يتزود به المناضل فى مسيرته الطويله ويتغذى منها ، ان كلمات (الحب الوفاء ، الايثاريه ، الرفاقيه ، الاخلاص ...) تتحول الى قوه معنويه هائله فى الاوقات العصبيه والقاسيه ، وظروف التحقيق هى من الاوقات العصبيه والقاسيه التى يحتاج فيها المناضل الى قوه معنويه لمجابهتها ، ان كلمات من نوع " الرفاق الذين احببتهم هل يمكن ان اخونهم " و "الحزب الذى رعاني واولاني كل العنايه هل ممكن ان لا اكون مخلصا له ؟ " و " ورفيقي فى الحزب هل يمكن الا اكون وفيا لها ؟؟ " ان هذه الاسئله التي تتبادر للذهن في الاوقات العصبيه لا يمكن الاجابه عليها الا اجابه واحده ومحدده وهي " لا " لن اخون حزبي ورفاقي مهما كان الثمن . ان الفرديه والانانيه هي الارضيه التي تنشأ عليها روح الاعترافات .. المناضل المعترف انما يفعل ذلك لانه فكر بذاته وسلامته الشخصيه مديرا ظهره للجماعه وحب الجماعه والاخلاص للجماعه ، واستنادا الى ذلك كله يمكن القول ان المناضل الثورى يجب ان يتمتع بمتانه معنويه عاليه وبمفاهيم انسانيه عميقه تنمو وتنصقل في سياق الاندماج بالنضال الثورى ان المناضل حين يكون فى غرفه التحقيق واثناء الشبح وزنزانه عليه ان يمتلك ويتفاعل دوما مع كلمات " الوفاء " الاخلاص ، الايثاريه ، الرفاقيه الصادقه ... " فهذه الكلمات تشحنه بطاقه معنويه هائله تسهم في انتشاله من حاله الهبوط المعنوى التى يحاول المحققون بثها فى نفسه ... وهذه الكلمات تجعل منه صخره صلده ... وان تربيه النفس وتنشئتها على " الاستعداد المسبق للمعاناه " من اجل المبادىء ستجعل من كل مناضل قيد التحقيق بطلا حقيقيا ... ان على المناضل ان يصارح نفسه بأن معانيات عميقه وقويه جسديه ونفسيه تنتظره في التحقيق .وان محبته لحزبه، لرفيقته، واخلاصه لمبادئه... ستجعله قادرا على تحمل كل المعانيات المادية والمعنوية وتجعل منه بطلا حقيقيا ، لان البطل وكما يقول فوتشيك "هو الرجل الذي يكون على استعداد في اللحظة الحاسمة للقيام بكل ما يجب ان يفعله لمصلحة المجتمع"، والمناضل اثناء التحقيق يكون متوجبا عليه ان يفعل شيئا

واحدا في هذه اللحظات الحاسمه هو الصمود والابقاء على الفم مغلقا لا ينبس ببنت شفه ... علينا ان نعد انفسنا اعدادا مسبقا لتحمل المعاناة ... علينا ان ندرك ان المعاناة والالم المادي والمعنوي ينتظرنا لدى اعتقالنا.

ولكن الرفلقيه / الايثاريه / الوفاء /. الاخلاص / ... كل هذه المفاهيم ستغذينا من اجل اجل تجاوز الالم المادي والمعنوي -

ثانيا : النزعه الاستشهاديه

استمرارا لمسأله المتانه المعنويه ولكن بشكل ارقى يمكن القول ان امتلاك المناضل لنزعه الاستعداد للاستشهاد مقابل عدم التفريط بالشرف الحزبي ، انما تعكس صوره راقيه من صور الانسان الكفاحي الملتزم ، ان امتلاك المناضل لقيم الوفاء والاخلاص والرفاقيه ... انما تشكل الارضيه التى تنشأ عليها النزعه الاستشهاديه من باب الدقه نقول ان النزعه الاستشهاديه مطلوبه من كل مناضل ولكنها تكون مطلوبه بشكل خاص من كادرات الحزب ، واعضاء المجموعات العسكريه ، اما الوفاء والاخلاص والرفاقيه فهي قيم مطلوبه من الجميع دونما استثناء . ان من يخوض تجربه صعبه كتجربه التحقيق وهو يمتلك نزعه استشهاديه سيتمكن حتما من تجاوز هذه التجربه ويخرج منها مرفوع الرأس معتمدا بنفسه واثقا بها الى ابعد الحدود ... اثناء حصار بيروت وحينما كان القصف العنيف من الجو البر والبحر وبالقنابل الانشطاريه والفراغيه وفى ظل انعدام الماء والغذاء والرعايه الصحيه ...عاشت قياده المقاومه التى كانت متواجده داخل الحصار تجربه نوعيه صعبه ، واثناء تلك التجربه النوعيه لمسنا مدى عمق المتانه المعنويه ... فمن طالب بالانسحاب الفوري عكس مناضلا ضعيف النزعه الاستشهاديه وضعيفا فى متانته المعنويه ، فى حين من طالب باستمرار القتال ورفض الانسحاب وتسليم السلاح فقد عكس متانه معنويه عاليه ونزعه استشهاديه عاليه ... وقد كشفت ظروف الحصار عن هذه النوعيات وفرزتها عن بعضها وتجربه التحقيق هي تجربه مشابهة لحد كبير فالمناضل الذى يكون دوما واثقا من نفسه وواثقا بما كان يقوم به ويعمله انما يعكس مناضلا ممتلكا متانه معنويه عاليه تصل لمرحله امتلاك النزعه الاستشهاديه ، والتي هي قوه هائله لا يمكن قهرها تحت اى ظرف من الظروف ... ان عباره " كنت مستعدا للموت على ان افرط بشرفي وحزبي واخون رفاقي " ان عباره من هذا النوع وحين تكون صادقه وصادره من القلب انما توضح ايه قوه

معنويه يمتلكها صاحب هذه العباره .

ثالثا: عوامل التحشيد والصمود:

يجب ان لا يفهم من هذه العباره ان هنالك وصفه سحريه يمكن وصفها وبالتالى نحصل على مقومات الصمود ... فهذا يعكس فهما فجاميكانيكيا ، فى حين ان عمليه التحشيد هي عمليه جدليه فيها نقاط مختلفه وتنصهر مع بعضها البعض بحيث تشكل سياقا ومنهاجا عاما يصقل شخصيه المناضل ، فما هى ابرز نقاط التحشيد وبلوره الشخصيه الصداميه الصامدة الكفاحية؟

العامل الاول : التحزيب :-

المقصود بهذه الكلمه هو مستوى روح الانتماء للحزب ومدى الالتمام به ، لانه بمقدارتحزيب المناضل اى التحامه واندماجه بحزبه بمقدار ما تكون روح الصمود والصداميه عاليه فى اوجها ، والعكس صحيح ، اى بمقدار ضحاله روح الانتماء والولاء للحزب بمقدارما يكون الاستعداد للاعتراف والتفريط اكبر ... واما روح الانتماء والتحزب يمكن تلمسها من خلال النقاط التاليه : أ- مدى وعي المناضل لاهداف المخابرات واساليبها ب - مدى وعي المناضل لقضيته وانتمائه وعما يدافع عنه ج - مدى تعمق روح الوفاء والاخلاص عند المناضل ازاء حزبه ورفاقه د- مدى الالتمام بهموم ومعانيات الحزب ، بحيث تكون الهموم الشخصيه هي الهموم الحزبيه

العامل الثاني : التحشيد الداخلي :

والمقصود بهذه النقطه ان امناضل الذى يمارس عمليه تعبئه نفسيه داخليا يوم بعد يوم ، شهرا بعد شهر وسنه بعد سنه بروح الاصرار بحيث كتتم عمليه التعبئه والتحشيد هذه وفق قانون التراكمات مما يجعل من التراكمات الكميه البسيطه والصغيره والتى تكون فى البدايه غير ذات بال تتحول مع مرور الووقت وفعل الزمن الى تغير كيفي يطرأ على نفسيه المناضل فما ان تحل لحظه المجابهه حتى تكون عمليه التحشيد قد فعلت فعلها فى نفسيته وتحولت الى نفسيه صابه وصداميه عصيه على الكسر.

العامل الثالث : الطبيعه الشخصيه :-

والمقصود بهذه النقطه هو ان المناضل الحقيقي هو الذى يتسم بسمات طليعيه متقدمه كروح الانضباط والالتزام وروح الجماعه ، وروح الصدام والمجابهه ، وروح المبادره

والشجاعه والثقه العاليه بالنفس والاستعداد الدائم للتضحيه ... الخ ان هذه الصفات الطليعيه التى يحملها المناضل لا يمكن لها الا ان تجعل منه انسانا صلبا متماسكا ، عصيا على الانكسار والتفريط فى احلك الظروف واشدها قهرا ... ومن المعروف ان الحزب هو طليعه الطبقه وليس الطبقه بحد ذاتها ... وهذا يعني ان الحزب يجند فى صفوفه العناصر الطليعيه من الطبقه ، لأن الحزب ليس فندقا شعبيا يفتح ابوابه لكل طارق بل للحزب شروطا خاصه يضعها على كل من يود ان يلتحق فى صفوفه ، اى لا بد للانسان الحزبي ان يمتلك صفات الطليعيه مميزه تميزه عن الانسان العادى ، وهذه السمات الطليعه الخاصه بعد ان تندمج فى النضال الثورى وتنصقل وتتشذب من شأنها ان تؤدى الى خلق مناضل ثورى من طراز جديد قادر على مجابهه مهمات المرحله بكافه اشكالها وبالتالي يمكن القول ان اجتماع " السمات الطليعيه الشخصيه مع عمليه التحزيب والانتماء الحاسم للحزب ، اضافه لعمليه التحشيد النفسي داخليا على مبدأ الصمود بشكل تدريجي " ان اجتماع هذه العوامل مع بعضها البعض من شأنه ان يخلق مناضلا قادرا على كسر هيبه المخابرات والحاق الهزيمه بها وبأهدافها الاساسيه القائمه على تحطيم الروح الكفاحيه لدى المناضلين من جهه وعلى تفكيك البنى التنظيميه وشل فعاليتها لكافه فصائل الحركه الوطنيه . ويوما بعد يوم سيتم الاثبات لجهاز المخابرات ان هنالك مناضلين صلبين قادرين على افشال اهدافه.

رابعا : دور القائد المزيف :-

قد يبدو ان وضع هذه العنوان بطريقه الخطأ وذلك اننا نتحدث عن عوامل الصمود ... وفى الحقيقه ان التجربه العمليه الملموسه قد اثبتت ان نسبه عاليه من حالات الاعتراف قد حصلت لدى الاعضاء المنظمين بعد ان قام " المسؤول " عن اولئك الاعضاء بالاعتراف والشهاده عليهم امام المحققين رغم انه كان بمقدورهم الصمود ، وهذا الامر يدعونا للقول ان بلوره موقف من عمليه اعتراف المسؤول او ما يمكن تسميته " بالقائد المزيف " يعتبر ضروريا لبلوره عوامل الصمود ، وان الموقف العلمي بهذا الخصوص يقول ان (القائد يبقى قائدا ومصدرا للاحترام والطاعه طالما انه يحترم نفسه كقائد من خلال محافظته المطلقه على شرفه الحزبي والنضالي وصونه لاسرار الحزب ... ، وهو يكف عن كونه قائدا وكمصدر للاحترام والطاعه فى اللحظه التى يسقط فيها ويبدأ بالاعتراف وخيانه شرفه الحزبي

والنضالي ...) ان المسؤول الحزبي يستمد بقوته وهيبته من خلال كونه يمثل الحزب بطريقه صادقه ، فالحزب يعني مجابهه المخابرات وتحديهم والصمود فى وجههم ... والحزب يعني الابقاء على الرؤوس مرفوعه وعدم اخفاء الهامات والحزب يعني التضحيه بالنفس صونا لاسرار الحزب واسماء الرفاق . المسؤول او القائد عليه ان يمثل كل هذا .. وبالتالي فانه حين يكتشف عن " قائد مزيف فهو يكف عن كونه يمثل الحزب بالطريقه الصحيحه .. وحينها يصبح العضو البسيط الصامد هو الممثل الحقيقي للحزب وليس ذلك " القائدالمزيف " وعلى كل عضو ان يدرك هذه الحقيقه وان لا يجعل من سقوط هذا القائد المزيف حجه ليسقط هو الاخر ، فالانتماء يكون اولا واخيرا للحزب ولاهدافه ومبادئه وليس الى هذا المسؤول او ذاك ... وليس لهذا القائد المزيف او ذاك ... بل ان العضو الحزبي الحقيقي هو من يحفزه سقوط القائد المزيف لكي يصمد اكثر ويصمد اكثر على تمثيل الحزب بالطريقه اللائقه ، وفى الحقيقه ان هنالك العشرات من الامثله التى توضح هذه النقطه ولكن يمكن الاكتفاء بهذا المثل : تم سؤال بعض المناضلين ، لماذا اعترفت فاجاب " تياسه " وكيف ذلك ؟ اجاب تم التحقيق معي يوم واثنان واربعة ولم ادلي بكلمه واحده وكان بامكاني ان ابقي اربعين يوما اخرى وانا محافظا على شرفي الحزبي ولكن في اليوم الرابع ادخلوا "مسؤولي " الى الغرفة وطلبوا منه ان يتحدث، فقال لي : اعترف فهذا افضل لك ولي ، وكل شيء انتهى ... ثم خرج، وحينها فكرت ان "مسؤولي هذا الذي كنت اعتقد انه لا يعترف قد اعترف عن عمد وتخطيط ... ولولا ان له اهدافا معينه لما اعترف على نفسه ولما طلب مني الاعتراف ... وهنا قررت الاعتراف ... واعترفت ... وبعد عدة ايام اخذت اكتشف الحماقة التي اقدمت عليها ... حين ادركت ان هذا "القائدالمزيف" قد اعترف لانه لم يقوى على الصمود ، وهو يطلب مني الاعتراف خدمه لأهدافه الذاتية المحضة الا وهي اراحة نفسه من التحقيق وتبعاته ... وهنا تمنيت لو ان الزمن يعود للوراء ... ولكن هيهات ان هذا المثال يوضح لنا كم هو حجم الخطأ الذي وقع به هذا العضو حين سمح لنفسه بالاعتراف ، رغم اقراره انه كان بمقدوره الصمود وفقط لأن مسؤوله السابق تحول الى "قائد مزيف" صحيح ان عملية الصمود من حيث المبدأ ليست قضية شخصية تخص المناضل وحده بل هي قضية عامة تخص الحزب ولكنها في نفس الوقت قضية خاصة من زاوية محدده ، اي من زاوية ان على المناضل ان يحرص على ان يبقي ثوريا منسجما مع

نفسه ومع مبادئه في كل الظروف والاحوال ، بما فيها حين يقدم مسؤوله السابق او "القائد المزيف " على الاعتراف والشهاده عليه ، وان يبقى شعاره دوما اني ملتزم بالحزب وبالمسؤول طالما ان هذا المسؤول ملتزما وصامدا ومعبرا عن مواقف الحزب الحقيقية وسوف اصبح في حل من التزامي نحو هذا المسؤول في اللحظة التي يحل هو التزامه بالموقف الحزبي القائل بأن "الاعتراف خيانه".

خامسا: الانكسار المعنوي:-

"الجبان يخسر اكثر من حياته نفسها" هذا ما علمنا اياه وكشفه بوضوح يوليوس فوتشيك ذلك ان هذا الجبان "حتى وان كان حيا فانه ما عاد حيا". ما اقسى هذه الكلمات انها كشفره حاده تقطع في لحم انسان حي ... فهل هناك اكثر من ان يكون الانسان حيا ولكنه ليس بحي، هل هناك اقسى من ان يتحول المناضل الى مجرد كائن حي مهزوم من داخله؟ ولقد ورد في اكثر من مكان ان لجهاز المخابرات هدفين متلازمين هما تصفية البنى التنظيمية للفصائل وشل فاعليتها،ومن جانب اخر ضرب اهم عنصر من عناصر هذه البنى التنظيمية الا وهو الانسان المناضل ... وتفريغه من محتواه الوطني وتحويله الى كائن حي مهزوم بلا حيله ولا اراده ... ان هذا الامر يحدث مع المنهارين الذين وشوا برفاقهم وهتكوا اسرار حزبهم وقدموها للمحققين . ان الانسان يستطيع ان يتحسس روح الانهزام في الشخص النهار من خلال النظر في عينيه فذلك ان نظرات عدوانيه تبين وبوضوح الهزيمة والخضوع والانكسار المنوى ، ان الشعور بالالم الناجم عن تأنيب الضمير بسبب الانهيار والوشايه بالغير لهو الم رهيب يضرب في اعماق النفس ويعتصرها عصرا ... فالواشي المنهار يشعر ان كل نظره من نظرات رفاقه تنطوي على اتهام ... والواشي المنهار يشعر بأن كل همسه او عبوس او حتى ابتسامه انما هي نوع من الاتهام له... فما اصعب بل وما اقسى ان يعيش الانسان في مثل هذه الحاله النفسية ... بأن يشعر انه مطاردا متهما مشككا بامكاناته دوما ... انها القسوة بعينها لمن يختار لنفسه هذا الوضع وهل حقا بضعة ايام من الشبح والحرمان من النوم والطعام. كما قال فوتشيك: هل تكفي حزمة من العصي لأن تدفع المناضل للاعتراف والوشاية برفاقه ومن ثم التحول الى مجرد هيكل عظمي متحرك وبقايا انسان؟ حقا ان الموت والاستشهاد افضل مليون مره من العيش حياة مليئة بالمرارة والمعاناة والمهانة والانكسار المعنوي ... او لم يعلمنا فوتشيك ان "الحياة الذليلة

" هي وجود بائس لا يليق بالانسان ... " وحتى تتضح هذه الفكرة اكثر يمكن ايراد هذا المثال : وهو عباره عن حديث دار بين احد المناضلين واحد المنهارين والمصابين بالانكسار المعنوي ، "لماذا اعترفت؟؟" بعد ارتباك وتلعثم اجاب: انا لا ادري ... كيف لا تدري؟ لا ادري اعترفت و"خلص" ما رأيك بنفسك الان ؟ ارتبك مجددا وتلعثم مجددا... وبعد ان استجمع افكاره المشتتة قال: اني انسان لا استحق ان اكون عضوا في الجبهة الشعبية ... انا لا استحق شرف العضوية والانتماء لها ، انها اكبر بكثير... ان الجبهة ... سورحالي جدا وانا شخص ذو امكانيات محدودة ... ان مكاني خارج الجبهة الشعبية ... انا لا استحقها... رغم حبي الشديد لها - لو عدت للتحقيق مره اخرى ماذا ستفعل ؟ اعتقد اني سأصمد ، ولكني لا انوي العودة للتحقيق، ولن اكرر هذه التجربة - وماذا عن علاقاتك الاجتماعية بالرفاق، قال: اعلم اني لست موضع ترحاب اجتماعي والانزواء والانغلاق سيكونان السمة العامة لحياتي الاجتماعية ... ان هذا الحوار يكشف "عن مدى الانسحاق المعنوي " الذي وصل اليه هذا المعترف والمنهار والذي يعبر بوضوح عن من هم امثاله... فيا ترى من يختار هذا الخيار لنفسه؟

وعلى النقيض من الثال السابق يمكن ايراد مثال آخر لمناضل دخل اقبينة التحقيق وخرج مرفوع الهامة منتصرا... قال هذا المناضل... اني سعيد وفخور بنفسي ، سؤال ما هي العوامل التي دفعتك للصمود اجاب اولا: لم افكر ولا مرة واحدة بالاعتراف ، وثانيا: معرفتي المسبقه عن بعض اساليب التحقيق ودور المحققين وممارساتهم ثالثا : محبتي للانسانية التي ارتبطت بها وعدم استعدادي لخذلانها وحرصي بالابقاء على رأسها مرفوعا ... ورابعا : روح الانتماء لحزبي الذي اعتز به واعلم ان حزبا قويا قادرا على هزيمة المخابرات وخامسا اخيرا: اني كنت جزءا من اطار صديق للحزب وفيه اعداد كبيره من الاصدقاء وكنت حريصا على عدم خذلان هذا المجموع الذي كنت احس انهم ينتظرونني بعيون مفتوحة... لكل هذا حزمت امري على الصمود واجتزت كافة مراحل التحقيق وخرجت منتصرا... كما يقال ان كلا المثالين يتحدثان عن نفسهما ... والفرق واضح لكل من له عينين ويرى ... فالاول مصاب بحاله انكسار معنوي واحباط ... والثاني يعيش حاله من النشوه والاعتداد بالنفس والمتانة المنوية ... فأي من الحالتين تختار ؟؟ (في كل انسان نقاط ضعف وقوة، شجاعه وجبن ، صمود واستسلام ، نقاوه وقذاره ، فالمخلص

يقاوم ، والغادر يخون، والضعيف يتهاوى تحت اليأس - والبطل يقاتل...) ومن الواضح ان هذا المقولة لفوتشيك تحكي لنا وبشكل مكثف ما حاولنا في المثالين المذكورين توضيحه فكل منهما نقيضا للاخر.

سادسا : موقف من طراز جديد :

تم الحديث في بداية موضوعنا عن المراحل المختلفة التي مرت بها الجبهة الشعبية في تطويرها لموقفها ومفهومها من المسألة الامنية ... وكيف انها انتقلت من معالجة عامة وغير واضحة الى معالجة محدده واضحه المعالم عبرت عنها بشعار " الاعتراف خيانه" وانسجاما مع مسيرتها القاضية بضرورة ربط النظرية بالتطبيق اقدمت الجبهة على اجراء عملية محاسبات واسعه النطاق لاعضائها الذين تم اعتقالهم في الضربات التي لحقت بالجبهة خلال المدة المنصرمة حيث تم الوقوف امام كل حالة بحالتها من حيث كونها فرطت بشفها الحزبي او من حيث حجم الضرر الذي الحقته بالحزب او حيث من كونها شكلت صورة ناصعة "تليق بالعضو الطليعي في حزب طليعي، والنقطة الهامة التي يتوجب ذكرها بهذا الصدد هي ان عملية المحاسبة هذه تحدث لاول مرة في تاريخ الجبهة الشعبية بهذا الشكل وبهذه السعة بل وفي الحقيقة انها تحدث لاول مرة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ، الامر الذي يعتبر سابقة تستحق امعان النظر فيها ، فقد جرت العاده ان تحدث الاعتقالات والضربات الامنية، فيتم اعتقال العشرات ، ويتم تسليم الاسلحة ، وعمليات يتم كشفها ... ولا احد يقف ويقول من المسؤول، بل انكى من ذلك ان الاشخاص المسؤولين عن الضربات الواسعة كانوا يتبوأون مراكز مسؤولة داخل السجون ... وكأنهم لم يقترفوا ذنوبا بحق التنظيم وبحق الاعضاء الذين جلبوهم للسجن ... ومن هنا فان عملية اجراء محاسبات واسعة النطاق بحيث طالت العضو العادي مرورا بالكادر وانتهاء " بمن كانوا مسؤولين عن حدوث الضربات الامنية تعتبر عملية تطور نوعي في طريقة التعاطي مع المسألة الامنية ، والدليل على ذلك الاثار النفسية التي تركتها عملية المحاسبة والمراجعة ... ذلك ان حالة الاستهجان والذهول التي امكن ملاحظاتها على وجوه ونفسيات الرفاق الذين اعترفوا والحالة العامة من الشعور بالذنب والجرم العظيم الذي ارتكبوه بحق انفسهم وبحق الحزب وبحق المبادىء التي تم تشريبها لهم والقائلة بأن "الاعتراف خيانه " ان هذه الحاله قد امكن تلمسها بوضوح لدى كل رفيق ادلى باعتراف ... ومن ناحية ثانية

فان حالة المعاناه النفسية والارباك التي عاشها اولئك "الرفاق المعترفين" حين كانوا قيد المحاسبة وبانتظار القرار الذي سيتخذ بحقهم قد حفرت عميقا في نفوسهم وقلوبهم بحيث انها شكلت لدى بعضهم بأنها لحظات لا تنسى وانها لحظات اقسى بكثير من وطأة التحقيق والزنازين والمخابرات ، ان هذه الوقفة الحازمة والجاده من قبل الجبهة الشعبية ازاء موضوع الاعترافات والتفريط بالشرف الحزبي وعلى الرغم من انها انطوت على بعض الثغرات الا انها شكلت ارضية صلبة يمكن الانطلاق منها ... وبكلمات اخرى يمكن القول ان انجاز عملية المحاسبة الواسعة النطاق قد اكدت للجميع ان رفع شعار " الاعتراف خيانه" لم يكن للاستهلاك والدعاية ونوعا من رفع الشعارات الطنانة... بل لقد شهد الواقع ان قرارالمحاسبة قد تحول الى ممارسة عملية على ارض الواقع... حيث عاش الاعضاء الذين هم قيد المحاسبة ايام صعبة وهم قيد المحاسبة وبانتظار القرار الذي سيتخذ بحقهم بناء على ما اقترفوه من جرائم بحق الحزب، ان سؤال "ما هي الجريمة التي ارتكبتها بحق الحزب " قد طال كل المعترفين وطارردهم وارهقهم، وقد اقر الجميع ان مجابهة هذا السؤال كان اصعب من مجابهة اسئلة المحققين ... وفي الحقيقة ان النماذج على انعكاسات وانفعالات عملية المحاسبة كثيرة ولكن يمكن الاكتفاء ببعض الامثلة فهي تؤدي الغرض:

١)سألوا : هل حقا سنتحاسب من قبل الحزب؟ - جواب : نعم ستحاسبون ، قالوا : ولكن نحن اشبال ، وماذا يعني ذلك او لم تعترفوا ؟ - نعم اذن لماذا اعترفتم، قالوا: لم نتوقع انهيار مسؤولنا ... فاعترفنا... ويجب ان يتم اخذ ذلك بعين الاعتبار، - سيتم اخذ ذلك بعين الاعتبار لكن هذا لا يعفيكم من المحاسبة.

٢) ارسل احد المعترفين رسالة قال فيها: " الرفاق الاعزاء" ارجوا ان تسرعوا في محاسبتي ومعاقبتي لأن كل يوم يمر دون اتخاذ عقوبة يزيد من المي الداخلي ... وان العقوبة مهما كانت ستكون افضل من هذه الحالة التي اعيشها ...

٣) بعد ان امتقع وجهة بضعة ايام اثر تلقيه العقوبة ، قال المعاقب: ان عقوبتي في غاية القسوة ولا استحقها ، لأن حجم خطأي بسيط جدا، وارجوا ان يتم اعادة النظر بالعقوبة.

٤) قيل لاحد المعترفين : سيتم محاسبتك، فما هو تعليقك ؟- ضرب بيده على الحائط ،واطلق يشتم ضد الذات الالهية - واضاف "اني حمار"

٥) واحد المعترفين قال "اصارحكم ايها الرفاق ، ان عذاب نصف ساعه بعد الاعترف يساوي ٧٨ يوم عذابا وحشيا.

٦) اثناء احدى الجلسات التثقيفيه - والتي كان يشارك بها احد المنهارين، ولدى تدخله بشرح قضية نظرية ، رد عليه احد المشاركين: بأن لا داعي لمشاركتك فنحن لا نريد منظرين يلوكون الكلمات والشعارات بل نريد رفاقا مكافحين .

٧) سؤل احدالمنهارين هل: هل عوقبت بسبب تفريطك نعم عوقبت - بماذا عوقبت؟ بالتجميد المفتوح ، اتعرف ماذا يعني ذلك؟ قال: نعم ، انها تعني "الفصل " ، - وما هو رأيك؟ قال "بستاهل"

٨) كلف داخل المعتقل احد المعترفين بمهمة قيادة حلقة تثقيفية ، فعلق " لن اقودها " لماذا ؟ ، لاني معاقب نتيجة لتفريطي بشرفي الحزبي، نعم ، ولكن عقوبتك تسمح بقيامك بهذه المهمه، قال: اعرف ذلك ... ولكني نفسيا اشعراني عاجز عن، قيادة هذه الحلقة.

هذه الامثلة توضح بالملموس الانعكاسات والاجواء النفسية التي عاشها كل المعترفين والمنهارين ... والسؤال الذي يطرح نفسه هو من يريد لنفسه ان يقف هذا الموقف... علما أن الانسان هو بنفسه يختار بين ان يكون من بين الصامدين اصحاب الهامات المرفوعة ، ام بين المفرطين ، اصحاب الرؤوس المحنيه... واخيرا يبقى سؤال يطرح نفسه وهو : طالما ان هناك مناضلين دخلوا تجربة التحقيق وخاضوها بطولها وعرضها وخرجوا منها منتصرين ، فلماذا يطأطأ البعض رأسه ويسلم اموره للمحققين ؟ لماذا يهون ويضعف ؟؟ لقد اجاب فوتشيك على هذا السؤال وحدد من خلاله جذور السقوط وجذور الانهيار ، لقد قال عن المنهار (لقد كان هو وسط الاخرين حين كان محاطا بالرفاق الذين يفكرون مثله كان قويا لانه يفكر بهم ، اما الان وهو معزول ووحيد يضغط عليه العدو بشده، فقد انهارت كل مقاومة لديه ، لقد اضاع كل شيء لانه اخذ يفكر بنفسه وضحى برفاقه لينقذ جلده...).

ان الانانيه والفردية وحب الذات هي مفاتيح السقوط اثناء التحقيق ... والتعيس هو من يفكر بانقاذ جلده على حساب الاخرين وعلى حساب معاناتهم وشقائهم ... انه يخون نفسه ويخون رفاقه لانه يكون بذلك قد تخلى عن الجيش المجيد وتخلى عن الذين احبهم واحبوه... وتخلى عن الذين ربط احلامه بأحلامهم ومصيره بمصيرهم، وما اقسى وما اشنع

ان تصبح واشيا لان المنهار يكون قد تحول الى جبان... ومن جبان الى خائن ... فماذا تختار ان تكون: معترفا... منهارا... جبانا... واشيا... فخائن ؟ ام تكون وفيا... مخلصا صادقا... ممتلىء قلبك بعشق الاخرين ومحبتهم لقد تعلمنا من القديس فوتشيك دروسا غاية في العمق وغاية في القوه، ففي آخر كلماته وقبل ان يضع النازيون حدا لروحه الطاهره والرائعة تذكر ان مصيره مرتبط برباط ابدي لا ينفصم بالجماعة ، فقال لرفاقه ولزوجته التي احبها من الاعماق لكل المناضلين ضد هذا الوحش النازي (ايها الناس ... لقد احببتكم ... كونوا يقظين...).

سيناريو تمهيدي

ما نسوقه ادناه هو سيناريو حقيقي ، مستمد من تجربه التحقيق ، وليس من خيال او تأليف أحد ، بل انه من تأليف ملحمه التحقيق كما سطرت في أقبيه التعذيب . وهي تعكس النموذج الايجابي الذي يتحدى الفاشيست الصهاينه ولا يحني رأسه لهم .

والسيناريو هو على شكل اسئله من الضابط الاستخبارات ، واجوبه من المناضل المعتقل منذ لحظه الاستجواب الاول الى نهايته .

× س١: اهلا بالبطل ، كيف حالك ؟

ج: زي الزفت .

× س٢: لماذا هل أحد اغضبك ؟

ج: رؤيتي لكم تغضبني .

× س٣: طيب : شو اسمك ؟

ج: في الهويه لديكم .

× س٤: ما اسم اخوتك وخواتك ؟

ج: وما شأنكم بعائلتي .

× س٤: ستبقى هنا شهور والافضل ان تجيب

ج: ان لم احضر من تلقاء نفسي لاتبرع لكم على الاسئله ؟ باجابات .

× س٥: نحن احضرناك لانك خطير

ج: خطير على من .

× س٦: على أمن دوله اسرائل

ج: انتم تحكمونا بالحديد والنار ، فمن الخطير على امن الاخر.

× س٧: بدناش نحكي سياسه ، بدنا تحكي

ج: لست راويا ولا اديبا وليست لدي قصص .

القصه بس .

وهنا هاجمه ضابطان باللكمات والركلات والصفعات ، فشعر انه استدرجهم وقطع عليهم

سياق خطتهم التي تعتمد في البدايه على خلق التجاوب لديه من خلال الاجابه على اسئله بسيطه لا خطوره فيها من طراز كيف الحال وما اسمك . كما وانه اجبرهم على حرق المراحل .... بحيث دفعهم لضربه ، أي أنه جعلهم يلجأون للاسلوب الذى يستخدمونه عاده في اطوار لاحقه . فاختصر المرحل والوقت . والانتصار في التحقيق هو الانتصار على كل مراحل واطوار التحقيق ، طورا تلو الاخر ، ولا بد من ذلك لبلوغ شاطىء الامان .

× س٨: اسمع يا فلان نعصرك مثل الليمونه

ج: لكني ليست ليمونه.

× س٩: بدك انسانيه ولا بدك ضرب وفي الاخير سوف تعترف

ج: هات ما عندك وانسانيتكم عرفتها منذ لحظات حينما هاجمتموني كالمسعورين. وصفعه احدهم وهجم عليه يضرب رأسه بالطاوله .

ج: هذا ما تجيدونه كجلادين ، انني اشفق لحالكم .

× س١٠: بالمنيح ، بالعاطل بدك تحط اللي عندك

ج: وهل حط محمود فنون وعدنان منصور ومئات الابرياء الذين خرجوا من الزنازين .

× س١١: اننا لا نعتقل ابرياء وعليك الاعترافات

ج: هل اخذت مني هذه الاعترافات فلا يهمني لا ما أنطق به .

× س١٢: اذن فانت غير منطقي وتنكر البراهين

ج: لكل واحد منا منطقه . انت سجان وتريد ادانتي ، وأنا سجين واريد حمايه نفسي.

× س١٣: ولكننا نعرف انك مسؤول وكابتن

ج: طيب ما هي رتبتك انت .

× س١٤: أقل قليلا

ج:اذن ارسل لي من يعلوني رتبه للتحقيق معي .

يا ابن ..... وهل تسخر مني وهجم عليه بعنف وكال له ضربات عديده بعصا غليظه كان يحملها.

اذن فقد استفزه وافقده مره ثانيه خطته التي اعتمدت على الصدمه(وجود اعترافات) وعلى مخاطبه المنطق لديه . وهذا نجاح اخر يسجله المناضل.

× س١٥: لا تعمل حالك بطل لقد حققنا مع فلان وعلان من الزعامات واعترفوا

ج: ولكن هناك من لم يركع امامكم . وركعوا امامنا .

× س١٦: اذن سوف نريك نجوم الظهر وستتعفن في الزنازين

ج: لقد قتلتم الكثير من شعبي وان يزيد ذلك واحد فهذا شرف لي .

× س١٧: اذن تريد ان نقتلك

ج: هذا يجعلني خالدا في ذاكره شعبي مثل قاسم ابو عكر ومحمد الخواجا وغيرهم . وكان مصمما على الاستشهاد فعلا . وقد اعد نفسه لذلك قبل اعتقاله . فقد استشهد الكثيرين في لبنان ومجازر ايلول وفي الداخل . وعلينا ان نضاعف رقم الشهداء في الزنازين لما لذلك من عامل تحريضي للشعب واغلاق لملف التحقيق . فبالاستشهاد نحيا ونقوى ونقطع الطريق على اعتقال المزيد من المناضلين . ولما اننا اخترنا درب النضال . فهذا الدرب شأنك وأمر الاستشهاد فيه أمر مألوف . وان نسقط شهداء في الزنازين يكون لذلك قيمه اكبر من اي استشهاد اخر . هذا ما كان يؤمن به .

× س١٨: ولكننا لا نريد قتلك . نريد فقط اخراجك من دائره الخطر علينا

ج: هذا قتل معنوي اسوأ من الاول لانني لا يمكن ان اكون الا جزء من شعبي الذي يكرهكم ويريد التخلص منكم

× س١٩: أذن فانت تعترف على انك خطر على أمننا

ج: بل انتم خطر على شعبي فتقتلون وتصادرون الارض وتقصفون بطائراتكم المخيمات.

× س٢٠: لدينا وقت طويل وسوف نعلمك كيف يتساقط هذا الكلام كورق

ج: انا لا احسب المسأله بالوقت ، بل بالكرامه . الشجر .

× س٢١: شو تقصد

ج: اقصد يشرفني ان اموت بكرامتي في زنازينكم يا قتله .

× س٢٢: انتم رعاع وارهابيين سنقضي عليكم

ج: نحن شعب عدد دول العالم التي تعترف بنا اكثر من عدد الدول التي تعترف بكم .

× س٢٣: ولكننا هزمناكم وهزمنا مئه مليون عربي وقصفنا مفاعل بغداد ومقر عرفات وقتلنا ابو جهاد .

ج: لكنكم لم تهزموا عين الحلوه وجنرالاتكم ضربوا التحيه لاطفال الار بي جي كما كتبت صحافتكم .

× س٢٤: ولكننا طردناكم من بيروت

ج: لم تقتحموا الا بعد انسحابنا وقد عدنا اليها ثانيه .

× س٢٥: وهل تنكر اننا هزمناكم عام ٨٢ وحتللنا لبنان

ج: الحرب كر وفر وثورتنا لا تخوض حرب مواقع لتعتبر ذلك هزيمه . بل انكم والقوه المتعدده الجنسيات قد هربتم من لبنان الذي وصفتموه بالمستنقع .

× س٢٦: وماذا تستطيعون ان تفعلوا فها هي طائرتنا تكبدكم عشرات الخسائر كلما اطلقتم صاروخا

ج: لقد كانت امريكا اقوى من فيتنام ، وفرنسا اقوى من الجزائر والغزو الاستيطاني الاوروبي استمر ٩٠ عاما في زيمبابوي . ولكن اين هم الان .

×س ٢٧: كلامك هذا يدل على انك عضو في الجبهة لشعبية

ج: لست عضوا ولكن فكر الجبهة يحرر المظلومين وليس كالصهيونية التي حولتكم لجلادين ومأجورين

× س ٢٨: وهل انا جلاد ومأجور

ج: الاحتلال هو طغيان وجرائم وانت اداة منفذة

×س٢٩: ولكننا نحن اصحاب الديار منذ الاف السنين

ج: نحن قبلكم وبعدكم وجئتم مئة عام وذهبتم . ألا تقرأ ما كتبه توينبي والمؤرخين

×س٣٠: شو بدك تدمر دولة اسرائيل

ج: اريد استقلالا لوطني

×س٣١: لكي تأكلوا انفسكم مثل ما فعلتم في لبنان

ج: وهل انت احرص منا على انفسنا وانتم ايضا زرعتم القنابل في مقاهي بغداد التي يرتادها اليهود بغية تهجيرهم ، كما وان قيادتكم سكتت على جرائم النازيه في بولندا ضد اليهود لكي تسمح بهجرة العائلات اليهودية الغنية وهذا مدون في التاريخ ويوجد وثائق . بل حتى ايام اقامتكم في فلسطين قبل اكثر من الفي عام تقاتلت مملكتكم في نابلس مع مملكتم في القدس قبل تدميرهما واندثارهما.

×س٣٢: وهل في تاريخكم بطولة كمسادا

ج: مسادا بطولة سلبية رفضتم الاستسلام للقوات الرومانية الى ان متم ، ولكننا رفضنا الاستسلام لمصاركم في بيروت وعين الحلوه وقاتلناكم . وهذه بطولة ايجابية

×س٣٣: من الواضح انك تفهم ما تقول . فما هي سنواتا خدمتك في الجبهة الشعبية

١٠سنين ـ ٢٠ سنه

ج: لقد اعتقلت سابقا ولكنني الان لست عضوا ، غير أنني أخدم ضعبي منذ مولدي .

× سأجعلك تندم لأنك ولدت

وهاجمه ثلاثة ضباط حتى أغمي عليه ... ورشوه بالماء فاستيقظ من الاغماء والاوجاع تنهشه.

× والان كيف ترى نفسك وعزيمتك يا ثرثار

-اقوى منكم

ورطرحوه ارضا وهاجموه ثانية بالعصي والرفسات على انحاء جسمه حتى أغمي عليه ثانية . ولم يعد له وعيه الا وهو في زنزانه انفرادية متورم الجسد والدماء تسيل منه . فألقى نظرة متفحصة على جسمه الذي يرتجف بردا. وقال: لا بأس يبدو انه لا يوجد كسور ، فقط اورام وجراح . وقد استرجع في ذاكرته ما حصل معه ، وابتسم في سريرته ، لقد هزمتهم مرة أخرى ، وبدل ان يهزوا قناعاتي ذدت عنها بحجج صحيحة فقد حاولوا مهاجمة عقلي وايماني فرددتهم على اعقابهم . وذاك المغرور الاشقر احضروه خصيصا ليستعرض امامي معلوماته ، فوضعته في حجمه الحقيقي

واستدعوه لتحقيق ثانية ، واذا به امام وجوه فاشيه حاقده جديدة ليس من بينها الضباط السابقين : فقال في نفسه لقد هزمت أول فريق . وهذه علامة لصالحي ، اذ لن اسمح لهم بتحطيم انسانيتي وفلسطينيتي.

× هل تعلم يا فلان منذ متى انت هنا

-اعلم

× منذ اربعة ايام بدون نوم او طعام

-اشعر انني هنا منذ ساعة فقط

× اذن فأنت تكابر اذ لا بد انك جائع بدك تاكل

- الاحسن ان نعود للتحقيق

× من المؤكد انك جائع

- لقد اكلت في حياتي ما يكفي من طعام ولا مانع ان امضي اسبوعين جائعا فهذا تنشيط لمعدتي.

× طيب خذ سيجارة وكوب شاي

- لا ادخن منكم ولا اشرب الشاي معكم

× أي انك عدو لنا

- لسنا في ضيافة وانتم اعداء لشعبي

× لكننا نريد ان نتفاهم باسلوب حضاري

- لا يوجد تفاهم بين سجين وسجان حضارتكم اراها على انحاء جسمي ورأيتها حين كسرتم اطراف اطفال في الخامسة وقتلتم النساء الحوامل بالغاز السام

× نحن لا نريد منك الكثير فقط ان تعطينا

- لست تاجرا ولا افهم في لغة ونعطيك التجارة

× فكر بعقلك . فنحن الاقوى ونستطيع ان نحكمك سنوات طويله

- هذا يعتمد على فهمكم لميزان القوى ففي الحرب الثانيه الجيش الالماني كان اقوى عسكريا وأكثر تنظيما من الجيش السوفيتي ،ولكنه هزم (هذه اشاره لدور الاراده العادله) وهل تشبهنا بالنازية يا اخو ....

- النازيه عذبتكم وانتم تعذبوننا

× اسمع كما قلت لك . لا نريد ان نضربك ، فقط نريد اجابه بسيطه ، من هم اصحابك من هم جيرانك

- لست موظفا لديكم لاجيب على هذه الاسئله

× خذ اقرأ ما كتبه فلان عنك

- انا لا اقرأ الا ما اكتبه بخطي

× ولكنك في النهايه سوف تكتب مثلها

- موتي اقرب لكم من ذلك ولن اسمح لكم بتلفيق التهم ضدي

× خذ اكتب انك لست عضو ولا تعرف فلان

- هذه لعبه مكشوفه تشطبون لا فأصبح عضوا واعرف فلان

× أقسم بشرف العسكري لن افعل ذلك

- شرفك تتعامل به مع جيشك وليس معي

× اكتب اي شيء تريده مثلا اغنية اذن فلن ينفع معك الا العصا

- انا لا امسك القلم طالما انا في التحقيق وهذا وعد مني لكم

وقيدوه وبدأوا بتعذيبه ، مره بالضغط على حنجرته ومره بضرب اعضائه التناسليه ومره بضرب اهوج بالعصا على انحاء جسده ولا سيما على ذراعيه وساقيه ورقبته واستمر على هذه الحاله حتى اصابه اعياء كامل . وقد قابل كل ذلك بالشتائم عليهم ، يا نازيين ... يا مجرمين ... يا .....

واعادوا عليه الاسئله بطرق مختلفه ، فاعاد على مسامعهم نفس الاجابات ... لست عضوا ولا اعرف فلان ....

وتكرر هجومهم الوحشي ، وتكررت مجابهته لهم . وبين اللحظه والاخرى كان يشطح بتفكيره بعيدا الى اهله وزقاقه واصدقائه .... كان يتذكر وجوههم ... هم يهاجمون وهو ثابت الموقف والعزم الى ان تعبوا منه فنادوا على الشرطي ليأخذه للشبح .

وفي اليوم التالي طلب من الشرطي ان يسمح له بالتبول والذهاب للدوره ... وبعد دقائق حضر احد الضباط مسرعا ، وقال له :

× اسمع : لن نسمح لك بالتبول الا بعد ان تجيب على سؤال واحد

- وهل انا رخيص الى هذه الدرجه بأن ابيع نفسي لقاء التبول

فرفسه الضابط وذهب . وبعد برهه جاء الشرطي وبدأ يصرخ ويشتمه حينما رأى خيط متعرج من البول يسبح على البلاط . فقد بال المناضل على بنطاله بعد ان فشل في تحرير يديه والتبول بصوره عاديه . وبذلك ارتاحت اعصابه . ومكث ثلاثه ايام مشبوحا والالام تتواصل وكلما أراد ان يغفو لحظه جاء الشرطي وأيقظه . ورأى على مقربه منه مناضل اخر مقيد اليدين وراء ظهره ، مكتوم على نفسه على الارض ، كلما اشتد عليه الالم يصحو فيجلس على مؤخرته مره ، ويقرفص مره اخرى ، وينتصب واقفا مره ثالثه ، فقال : في الهوى سوى ، هو محتار كيف يعالج وضعه للتخفيف الامه ، وانا محتار لنفس الاسباب ، وكلما حاولت ان اغفو فقدت توازني وكدت اسقط . ومكث على هذا النحو ثلاثة او اربعة

ايام، استرق منها ساعات قليلة من النوم ، وفي هذه الايام تغلب على عزلته ، وحلق في تفكيره مستعرضا وجوه الاحبة ، أهله ، زوجته ، اصدقائه ، رفاقه ، مستحضرا وجوههم واحدا واحدا ويقسم امامهم انه لن يخون ولن يفرط ولن يحني هامته للغزاة المحتلين . وكلما استعرض وجه واحد واقسم امامه ارتفعت معنوياته ونسي آلامه .

وحسم الامر على الوجه التالي : من بين سبعة او ثمانية ايام لم اعرف اي قسط من الراحة ، سوى ساعات النوم المتقطعة على البلاط البارد او الدقائق القليلة التي استسلم لها على طاولة المحقيقين . والجسم يرتعش بعد ان نخر البرد العظام ، والطعام رديء وفي مجموعة بالكاد يشكل ثلاثة وجبات : ولكن هانت . نعم هانت كلها شهرين او اربعة وينتهي التحقيق فوجع ساعة ولا وجع كل ساعة . اقسم بكل المقدسات والشعب الصابر البطل ان اتحدى النازيين الجدد ، ولن اتحول لكيس بطاطا لهؤلاء السفلة : وبينما كانت تداعياته الذهنيه تتلاحق سمع رنين المفاتيح ، وجاء الشرطي وفك قيوده واقتاده الى غرفة التعذيب:

× اهلا ، اهلا بأبو فلسطين

- احترم نفسك واحكي مليح

× وهل تعلمني الادب يا ابن ال ....

وصوب له لكمه في صدغه ، فاختل توازنه وسقط على الارض . سنحطمك كما نحطم كومة قش

- هذا كل ما لديكم انكم تخرقون قوانينكم بانفسكم التي تمنعكم من استخدام العنف ، ومع ذلك تدعون حرصا على قوانين دولتكم.

× انتظر لحظة سأتصل تليفونيا ليأتيك من يتفاهم معك ، فأنا اريد ان اذهب

- لا تضيع وقتك ووقتي في اتصالات لا تخيفني . ابدأ مهمتك لزوجتي واطفالي .

× طالما لا تخاف سوف نحكمك ٢٠ سنة على قانون تامير

- سوف اخرج من الزنازين للبيت واذا حكمت فالسجن فترة راحة وتثقيف وأمي تقول السجن للرجال . المهم ان تبقى الراس مرفوعة .

× انتظر ، لقد احضرنا لك من هو عزيز عليك : احزر من ؟

- وماذا في ذلك فهذا يكسبه تجربة جديدة فتغتني شخصيته

× لقد احضرنا لك امك وزوجتك . اسمع اصواتهما.

وحينها تفاقم حقدي وغضبي على هؤلاء الاوباش . فبعد ان افشلت اسلوب التغرير بالبيع والشراء ، ونفيت ما جاء في افادة الغير ، وبذلك جردتهم من سلاح الضرب على وتر انقاذ الذات والمساومة الرخيصة ، من جهة وجردتهم من سلاح صدمي باعتراف غيري باعتراف غيري ، انهم يحاولون اضعافي من خلال اثارة النعرة الاقطاعية ، وكأن اعتقال امي وزوجتي او اختي يعيبني . يا لهؤلاء الصبية المغرورين .

وفعلا سررت لسماع صوت أمي وزوجتي وهما تقولان لهم : يبدو لم يتبق لديكم ما تشتغلون به فاحضرتمونا . ان اعتقالكم لنا دليل على ان كل من في السجن هم مظلومين مثلنا.

× سنفعل بهما كيت وكيت

- هذا شرف لهما فقد ارتكبتم جرائم وآثام اكبر وافظع من ذلك . وانتم الخاسرون .

× كيف

- انكم ستزيدون من دائرة الحقد عليكم وستصنعون منهما فدائيين

× اذن فأنت تصر على عنادك . ولكن هذا سيتبدد . انظر لنفسك كيف غدوت شاحبا بعد اسبوع ، فما بالك بعد شهرين

- هل سمعت عن الهندي الاحمر الذي يشيخ فيعتزل عن قبيلته حتى يموت

وراحوا يهاجمونه كالثيران الجامحة ، واحد يضغط على رقبته، واخر على بطنه ، وثالث يكيل له الضربات بالعصا. انهم فعلا فريق من الذئاب المسعورة التي فقدت اية صفات انسانية . وفجأة دخل الغرفة ضابط ضخم الجثة وخاطبهم : يكفي هذا . اتركوه لي . سأعرف كيف أحرك لسانه وهجم علي وعضني في رأسي : بدك تحكي والا قتلتك و لم اتركه يكمل عبارته حتى صرخت في وجهه: غيرك كان اشطر : وهنا تجدد الهجوم علي الى ان فقدت وعيي . فرشوني بسطل ماء واعادوني للشبح . وخلافا للقانون البسوني كيسين كريهين رائحتهما نتنه . ولكنني اتجهت نحو الجدار ورفعت الكيسين عن رأسي بعد جهد جهيد . وكنت اعلم ان اكثر من مناضل اغمي عليه في الزنازين بسبب الاكياس التي احيانا تكون طويلة الى الخاصرة او يكون لها دكه فيشد خيطها على الرقبة لمنع التخلص منها . غير ان الشرطي حضر ولكزني وأعاد الكيسين الى رأسي ، لا حاول ثانية

التخلص منهما.

وفي اليوم التالي احضروا لي طعاما ، وسمحوا لي بقضاء حاجتي في جو من الارهاب . وبقيت على هذا الحال بضعة ايام ، كنت خلالها اتذكر كل محطات طفولتي ، وسنوات الشباب ، وطرائف المدرسة والتلاميذ الاشقياء ، وفسول السنة ، خصوصا فصل الربيع ، والتظاهرات وتوزيع النشورات، والعمل الفدائي وتضحيات شعبنا ، وتذكرت فجأة اليوم الذي اتخزت فيه للنضال التقدمي ، وأول كتاب سياسي قأته ، وكيف التهمته بسرعة ، والادب السوفييتي المقاوم ، والمخيمات وملابسي الرثه وبينما كنت اتفاخر بالقيم والعقائد كان ابناء الاثرياء يتباهون بالملابس الفاخرة ويترنمون بآخر الاغنيات الاجنبية..

وذكريات وذكريات ، الدراسة ، العمل ... كانت تملأ علي وحتي وتجعلني انصهر في شعبي كأنسان حجمي بما يفشل اسلوب عزلي . وكلما صحوت على واقفي تحت وطأت الامي ، كنت اتهرب فورا واعود الى ذكرياتي . وعلي حين غرة سمعت وقع خطوات، واذا باصابع عابثة ترفع الكيس عن رأسي ، لأكتشف انني اقف داخل خزانة ضيقة ز ويسألني

× هل تعرفني

- لا اعرفك

× انا الميجر فلان

- شو يعني زوكوف ولا استالين

× من زوكوف هذا

- فأخذت اروي له عن الجبهة الشرقية التي قادها زوكوف الجنرال العامل ابن الاسرة العمالية الفقيرة ، وكيف سحق جحافل النازية

× أف ومثقف ايضا

-اكثر منك

فأسدل الكيس على رأسي وذهب بدون عودة وبعد يوم او يومين لاأدري ، حيث بت فاقدا لعنصر الزمن ، ولا اعرف الليل من النهار . حضر الشرطي وقادني الى الوجود البغيضة الماسوشية التي تتلذ بعذاب الناس وتكره كل من هو فلسطيني . وبصراحة كنت اتمنى ان يعيدني للبحقيق ، فقد مللت وحدتي النسبية ز وما ان ولجت الرفة حتى هاجمني اثنان

وظلا يركلاني حتى مشخوا رأسي ونزف الدم من فمي وسقطت مغسيا علي . فاوقظوني ز وبين لظات الاغماءه والوعي حضرت امي في وعيتي وقالت لي: كن كما ربيتك ، ورأيت حقولا من القمح ، وطيور ، وطفل صغير يبكي ... الى ان صحوت واستعدت وعيتي فخاطبني احدهم

× اسمع الاحسن ان ترحم نفسك وترحم غيرك

- لا اريد رحمة منكم

× هل توافق ان تقول نعم اذا حضرنا من يعترف عليك امامك

- وما ادراني فقد يكون احد عملائكم

× لا ليس عميلا بل عضوا معك في التنظيم

- لا اعرف اعضاء ولا تنظيمات

× ولكنه صديقك ، فهل تشك بفلان

- لا لا اشك (انه جاره ولا مجال لقول لا اعرفه).

× اذن سوف نحضره لتسمع منه ما يقوله بلسانه

- انا لا يهمني ما يقوله

وفعلا احضروا ذاك الذليل ، وبصوت خاقت مهزةم قال : انك نظمتني و.... قبل ان يكمل صرخت في وجهه.: الا تخجل من نفسك بأن تورطني في اشياء لا علاقة لي بها.

فرد بجبن : لقد انتهى الامر وعرفوا كل شيء . وهنا شعرت ان محاولتي لم تنجح ، فصرخت به بصوت عال يا كلب ، يا كذاب ، انصرف ... فسحبوه من الغرفة وانهالوا علي ضربا مع تركيز واضح على المعدة والاذنين . ولكن بدون جدوى . وقيدوني ورموني على البلاط وقال احدهم:

× اما ان تعترف واما ان

نظل نعذبك حتى تعترف فلن تخرج من هنا الا بعد اعترافك . فأنت خطير وكبير وجعبتك زاخرة بالاسرار.

(ولدت بالصمت) وبعدها

احضروا كيس الخنق وهو ختلف عن الاول ، ويكون رطبا او مبلولا وكمية الهواء فيه محدودة ، ويغلقوه باحكام بحيث لا يمكن ان يتسرب الهواء عبر مساماته. وتذكرت

الرفيق عدنان منصور على الفور فهو قد خاض هذا الامتحان القاسي . وقد سعيت لتهدئة انفعلاتي ، واستنشقت بهدوء اكبر كمية من الهواء بينما كان يشرج الكيس ، وبعدها بدأت عملية الزفير التي انتهت بدون ان يفتح الكيس ، واخذ الموت يتسلل الي ، ولكنهم رفعوا الكيس ، ليعيدوا التجربة مرة أخرى ، ومرة ثالثة ورابعة ... وبين المرة والاخرى يعيدذا على مسامعي نفس الاسطوانة الشروحة : بدك تعترف انك منظم ... ولكن جوابي واحد : لا وأهز رأسي دلالة النفي .

ان هذا الاسلوب المجرم الذي تخجل النازية منه قد جعلني اموت مرات ، وفي اخر لحظة ينقذونني . وتذكرت استشهاد غير مناضل بفعل هذا الاسلوب الشيء الذي جعلني في كل مرة ان اودع أمي ورفاقي وقيادتي وأهلي ... وكان يعلو ويدوي في داخلي صوت: اذن لقد حان اوان الموت ، فاهلا به . فالشرف ان أموت بشرف . وكلمات فوتشيك تنطن في رأسي : الانسان يفرط بحياته ولا يفرط بشرفه .

واعادني للشبح ثانية وانا في غاية الانهاك العضلي والعصبي ، فيما كانت روحي المعنوية تناطح السحاب فعلا . سأموت بين أيديهم ولن امكنهم مني ، بل سأهزمهم هؤلاء المرض نفسيا . وفي اليوم التالي اعادوني للتحقيق لاواجه ضباطا جدد فقال احدهم

× لقد حضرت خصيصا اليك لكي نتناقش

- لسنا اصحاب لكي نتناقش ابدأ بالضرب فورا

× انا لا اضرب ـ هل قرأت فلسفة المواجهة

- قرأت مئات الكتب

× هذا الكتاب تافه وقد قرأنا وغيرنا اساليبنا

- طالما انه قافه لماذا تهتمون به

× امامك طريك طويل من التحقيق وفي الاخير سيكون امامك خياران الا تعترف او الموت

- هل قرأت تحت اعواد المشانق وابدا لن نركع لفوتشيك وروجاس

× لا لم اقرأهما

- فشرحت له عنهما وكيف ان الاول قد استشهد ولم يركع للنازية ، بينما الثاني لم يحن رأسه للعسكرتاريا الفاشية

× فعلق قائلا: ان خبرتنا واسعة وسوف نرهق جسدك الى ان يرهق عقلك وتعترف

- هذه نظرية امركية في التعذيب وقد فشلت في فيتنام بل لم تحاول اي اية اتباعها مع جيفارا

× وما شأن جيفارا بالموضوع

- شرحت له عن الليلة التي قضاها جيفارا جريحا مع ضباط السير .ايه ايه قبل اغتياله من ضابط مأجور تمت تصفيته لاحقا

×اذن فأنت تريد ان نفتالك

- اهلا باللموت طاما انني ساكون شمعة تضيء لشعبي طريق الحرية

× نحن لا نريد الموت لك . نريد ما في خزانك فأنت تحكم الحنفية بحيث لا

- خزاني لا شيء فيه يعنيكم يتسرب منها قطرة واحدة

× اذن افتحه لنراه

- فيه انسان ماركسي لييننني لا يخاف الموت ولا الطغلة

× الماركسية تتلقى الهزائم في العالم

- بل تحرز الانتصارات وفي سبعين عاما اصبحت تحكم نصف البشرية ومنذ السبيعنات انتصرت في الهند الصينية واثيوبيا واغولا وموزامبيق ونيكاراغوا وافغانستان

× ولكنها تذبح في افغانستان وايران والسوفييت هربوا من افغانستان

- سواء استمرت السلطة الماركسية في افغانستان او انهارت، وسواء تم ذبح كل التقدميين في ايران او تعززتمواقعهم ، ففي كلا الحاتين انتم خاسرون فالقوى المركسية والتقجمية وكذلك الاتجاهات الاصولية معلدية لكم . انظروا حزب الله والجهاد الاسلامي

× ولكنك انت هنا ضعيف وهزيل. انظر كيف شحبت وجسمك يرجف

- من قال ان القوة في ضخامة الجسد وما اخسره اليوم استرده غدا هذا ما يقولالديالكتيك

× ولكن جسمك لن يتحمل كل هذا العناء وسوف تندم

- اذا ندمت استحق الموت والعار

× اننا نعرف انك مسؤول وفعلت كيت وكيت

- هل سمعت ذلك مني

× لا

- اذن لا تصدق ما تسمع

× لكننا سنظل نعذبك الى ان يتكلم عقلك الباطني

- هل فرويد هو اخر حيله لكم . فعقلي الظاهري والباطني يقولان لا لكم .لا.

خرج الضابط المسيس بعد ان شعر بان هجومه على عقائدي وسيكلوجيتي لم يحصد شيئا اذ كيف سينجحون وهم باطل على باطل وضد صيروره التاريخ ، وكيف لهم أن ينجحوا بعد أن اسقطت اهم سلاح وهو سلاح خنقي وقتلي . وهم بعودتهم للمنطقه انما يدللون على عجز وتكرار لا رجاء منه ولكن ما ان خرج الضابط المسيس حتى تناوب علي ثلاثه من الكلاب المسعوره التى لا تفهم سوى لغه التكسير والتهشيم . وضربوني بوحشيه مضاعفه وهم يشتمون ويصرخون سوف تعترف ، سوف تعترف ، وانا لم أجد سوى الاستنجاء بالرد التالى : تقاليدنا تقول الموت ولا الذليه .

×اذن سنعطلك جنسيا.وضغط على خصيتي(وكظمت المي وصككت على اسناني وقلت له)

- ان نساء شعبي ولادات وكل الاطفال ابنائي

× اذن سيصيبك الشلل

- لقد جربتم ذلك مع نادر العفوري ومحمد قطامش وسواهما وفشلتم

× يبدوا ان حبش قد ورطكم

- حبش زعيم فلسطيني وانا واحد من الشعب

× اذن عليك ان تشتمه وتشتم عرفات

- هذا حامض على معدتك لن افعل حتى لو مت مئه مره

وطرحوني على الارض وشددوا ضربات الى وجهي وخاصرتي ، وحاولوا فتح فمي للبصق فيه ، ولكنني قاومت ومنعتهم من ذلك ، فامسكوا بصفن خصيتي وذكري ولسعوهما بسجاره وركزوا ثانيه وثالثه فاحترق لحمي وانتشرت رائحه الشواء . هؤلاء السفله يقتلون بأعمالهم هذه ايه فرصه للسلام . انهم يريدوننا عبيدا لهم عراى من كل كرامه واعتزاز . لقد صيرتهم الصهيونيه لوحوش اوميه .

× اسمع لقد قررت قياده المخابرات ان عليك ان تعترف ، وهذا قرار لا رجعه عنه

- قراركم اساسه خاطىء ومن قبل قررتم ايضا ابعاد بسام الشكعه واكتشفتم انه خاطىء وقررتم اخماد الانتفاضه في ايام وفشلتم وقال بيغن ان عمليه الجليل ستمنع سقوط اي صاروخ لاربعين سنه ... فأين انتم من ذلك

وتجدد هجومهم ..... الخ . وفي اقسى اللحظات قال لنفسه : سأجعل امي تفخر بي وسأجعل زوجتي تفاخر بي ، وسأورث ابني شرفا يتباهى به ... وتذكر عباره من احد الرفاق : سنظل نثور الى ان تتحرر بلادنا ، الموت والنصر والمستقبل لنا . وتركوه بين الحياه والموت ليحملوه على نقاله الى احدى الزنازين ...

اذن فقد انتصر في جوله جديده وقرار قيادتهم لم يرعبه . ألم يقسم عدد من ضباط الاستخبارات انهم سيستقيلون من الخدمه اذا لم يسصفوا الجبهه الشعبيه ، وان لديهم قرار حكومي بانهاء وجود الجبهه عام ٥٨ فماذا كانت النتيجه . لقد تضاعفت الوجود المنظم للجبهه .

وألم يحاولوا الاجهاز على الحزب الشيوعي عام ٧٣- ٧٤ وفشلوا ، ألم يحاولوا منذ عامين القضاء على امتدادات . حركه فتح ومنظمات الجبهة الديموقراطيه وفشلوا .

ان الحركه الوطنيه تقوى وتتعززرغم انوفهم . وفي اليوم التالي صباحا والفصل شتاء استدعوه للتحقيق ، وبدون اسئله ، قادوه الى الحمام البارد وقالوا له ادخل . فأجبت نعم انني بحاجه الى حمام واحب الماء البارد . وقفزت دفعه واحده تحت الماء ونقلوني الى غرفه فيها مدفأه فانتعش جسمي ، واعادوني مره ثانيه تحت الماء ، فبجوار المدفأه ... وقد سخرت من هذه اللعبه السخيفه وظنوا ان ارتجاف جسمي يخيفني ، فقذفت عده عبارات هازئه من هذه اللعبه الصبيانيه . وتذكرت اخر اجتماع حزبي شاركت به ، وابتسمت . ان هؤلاء مغفلون اذا ظنوا ان رجفه في الاوصال واضطراب في الجسد يمكن ان يفضيا بأن يخون الانسان قناعته وشعبه . وعادوا ليكرروا عبارات سابقه .

× ان الادله واضحه وزيد وعمرو اعترفا عليك - وما شاني انا

× ولكننا متأكدون وعليك ان تفض المشكله

- لا يمكن التأكد ١٠٠ ٠ فمن الناحيه المنطقيه دائما يوجد نسبه من الخطأ

× لقد شاهدناك في المكان الفلاني وضبطنا في شقتك وراق ومستندات

- لقد وجدت الاوراق صدفه في الشارع ، وهل ممنوع ان اكون في اي مكان

× ولكن هذا المكان حدث فيه كيت وكيت

- لو انني مشارك في هذا لقمت بالتمويه على مظهري فلا يعرفني احد

× لقد اعتقلناكم وانتهى امركم ولم يبقى سوى ان توقع

- ان شعبنا حي ونفوذ م٠ن٠ف يتنامى وكل شعبنا يرفضكم ويقاومكم

× شعب فلسطيزي

- هذا الشعب تسمونه انتم القنبله الديموغرافيه فيه وقد اعترف به بيغن في اتفاقات كامب ديفيد

× اذن فأنت تؤيد اتفاقات كامب ديفيد

- لا بل اؤكد على ان صقركم الكبير قد اضطر للاعتراف بوجود شعبنا خلافا لم زعمته عجوزكم غولدا مئير التي انكرتنا

× طيب اذا كنت غير منظم فالنشرات النقابيه تؤكد على انك عضو نقابي

- ولا هذا ولا ذاك . هذه النشرات تباع في الشوارع

× سنرسلك للسجن العسكري

- كلها سجونكم ومفخرتكم

× انت وسخ وابن كيت وكيت

- وانت ازعر وابن شوارع وليس ضابط يحترم مهنته

وبصق علي وانقض كالمجنون ، شو بدك تعمل حالك سوبرمان ... واخذ يلهث من شده الجهد الذي بذله في ضربي . ولالام المبرحه لم تشغل بالي بقدر ما شغل بالي فوزي الجديد ، فهم يريدون مني اي اعتراف ، ولو في حدود العضويه النقابيه ... ولكن هذا تنازل لن يحصلوا عليه .

× اسمع روح فكر لبكره

- لقد فكرت وهذا كل ما لدي

× فكر افضل لك

- انا اعرف الافضل لي

× كثيرون فكروا وساعدوا انفسهم وساعدونا

- هؤلاء شعب حثاله ولكل شعب حثالته

× اذن سنكسر رأسك

- لن تجدوا فيه سوى ما سمعتموه

× لا نسمع منك الا لا اعرف

- وماذا تتوقعون مني

× نتوقع أن تاخذ وتعطي

- لا اريد ان اخذ ولا اعطي معكم

× ستأخذ حكم علي ، روح انصرف الى الاقسام . لقد انتهى التحقيق معك ، ونشهد انك صلب عقائدي .

- لست بحاجه الى شهاده منكم

ونقلوني في اليوم التالي الى غرفه فيها معتقلين وبعد شهر ونصف من التحقيق المتواصل ليتظاهروا امامي انهم ينتمون للفصائل الوطنيه ، ورحبوا بي واحترموني اخر احترام . وبعد يومبين اقبل احدهم ، الذي لاحظت انه كثير حركه ونشاط واضح بين اقرانه وقال لي : نريد منك تقرير للخارج يا رفيق : انا ابو فلان مسؤول الامن وقد كلفني بذلك ابو علان مسؤول المرتبه : فقلت له : لا يوجد لدي تقارير . وبعد مساجله كلاميه ارتفع صوته وارتفع صوتي وقال : انت عميل . فقلت له : اساليبكم اعرفها فانتم غرفه عملاء ، وقبل اسبوع رافقني احد العملاء في الزنازين وحاول ان يستدرجني في الكلام مدعيا انه فدائي كبير يتعاطي بالسلاح . فأسكته وخيرته بين ان يلوز بالصمت تماما او ان اشتبك معه . ولان جاء دوركم يا حقيرين . فانقض وصحبه علي والقوني خارج الغرفه لآعود ثانيه بعد ساعات الى الوجوه الكريهة .

× عدت الينا . سمعنا انك عامل مشاكل

- عملائكم هم سبب المشاكل

× انت هنا بين المطرقه والسنديان ورفاقك يسرحون ويمرحون مع حبيباتهم

- انتم سبب حرماني وحرمان شعبي من حقوقهالطبيعيه

× شو انت محامي عن الشعب

- انا جزء من الشعب حزنه حزني ورحة فرحي

× ولكنك تنشط ضدنا ووقعت بين ايدينا وعليك ان تنقذ نفسك من الهوان

- الهوان ان اخون نفسي وضميري

× نحن لا نريد ان تخون ضميرك ، بل ان تعطينا لنغلق الملف

-ان تغلق الملف ان تفتح الملف فهذه مشكلتك

حينها جلس ضابط على مقربه مني ومد الي بكوب شاي كان بجواره طعام . وفجأه التقط اخرصوره لنا ونحن في هذا الوضع وقالوا :

× سنوزع الصور ونفضحك في السجن والشوارع وسنروج انك عميل لنا

- الناس ستهزأ منكم وسيظنون ضابطكم في الصوره معي قد انحاز للفلسطينين

× اذن سوف نبعدك ونتخلص منك

- شعبي هنا وشعبي هناك ولا فرق لدي اين اكون

× اي انك لا تحب وطنك

- الوطن هو النضال من اجل التحرير والاستقلال

× سنبعدك لترى كيف تعاملكم الدول العربيه

- لا نريد معاملتكم الحسنه ولا ان نراكم على ارضنا

× لكن القوه في ايدينا والقوه هي الحق

- القوه شيء نسبي ومتحرك . فمن قبل كان الاسكندر المقدوني قويا ، وهتلر كان قويا ... اين هم الان

× اذن فانت تهددنا

- بل اشرح لك ما سيتغلف عليك

× ولكنكم تريدونا القائنا في البحر ، فهذا ميثاق م.ت.ف

- هذا كلام مغلوط فنحن لا نريد سوى تحرير شعبنا واسترداد حقوقنا

× ودمار اسرائيل

- المسأله ليست تمنيات . نريد دوله مستقله ، كما نريد انقاذكم من العنصريه الصهيونيه التي حولتكم لغزاه ومعتدين وهذا يعترف به العديد من مفكريكم الذين يحذرون من الفاشيه

× فلسطين في ايدينا وسوف تبقى للابد

- هذا ما قاله ديغول عن الجزائر ، وهذا ما قاله سميث عن زيمبابوي ، وما قالته امريكا عن فيتنام ... ولكن اين رصيد هذا الوهم

× انت تتصور نفسك كبير وتفهم ، ومن الواضح انك تعيش احلام يقظه

- هل تعرف ما قاله كيسنجر عن الفيتناميين قبل تحرير فيتنام : لقد قال بأن مشكلتنا

مع الفيتنامين انهم يثقون بالمستقبل

× سنحطمك وسوف ترى

- قد تستطيعون قتلي اما ان اركع لكم فلا

× ستظل في الزنازين ثلاثه شهور

- وهديه مني لك شهر رابع

× اذن سنقابلك في المحكمه . روح انصرف .

ما هي البطولة

البطولة ما هي:

في تجربة الناس، وفي ممارسة الحياة، ثمة بطولات لا تعد ولا تحصى، ولربما نمر عنها حينا دون ان نوليها ادنى التفات، او ان نرشقها حينا آخر برد فعل غبي . كل شيء هنا يتوقف على مفهومنا للبطولة، بل لعله يتوقف على امر اعمق من هذا بكثير، على مفهومنا للحياة اجمالا:

اب كادح يفني شبابه ورجولته وكهولته في كد متواصل وشقاء مستمر بحثا عن لقمة مشرفة لعائلته الكبيرة دون ان تهون له عزيمة او ان يفقد ايمانه بالحياة او حتى دون ان يشكو همه ويندب حظه التعيس.

اليس في هذا بطولة ومأثرة ؟ الا يجاهد هذا الاب الحياة، يعاندها يصارعها لينتزع منها حقه في الحياة الكريمة؟.

ام شقية كثيرة الابناء ، فقيرة الحال تطارد الحياة بحثا عن لقمة شريفة ورعاية صحيحة لابنائها ، باذلة نفسها وروحها في تنشئتهم وفي الحدب عليهم، صابرة على ضائقتها متحملة مشاق الحياة . اليس في موقفها بطولة، ومأثرة؟.

من الواضح ان في تساؤلنا عن مكمن البطولة في هاتين الصورتين تأكيدا على وجدها وايحاء بان البطولة لا تعني الخارق من بين الامور بل الابسط والاكثر طبيعية. وقديما قال احد الحكماء ان المشاعر، وكذلك كافة الامور الوجدانية والمعنوية، ومنها البطولة، كلما كانت اكبر واعمق جرى التعبير عنها بأكثر " الاشكال بساطة واكثرها طبيعية".

واستكمالا لنفس المنطق، غالبا ما نجد صاحب البطولة او المأثرة اول الفاضلين عن وجودها فيه كونها اكثر قربا الى ما يعرف انه يفعله بحكم متطلبات الحياة والطبيعة .

فلو جاء احدنا وحاول اقناع ذاك الاب او تلك الام بأنهما بطلان وبالذات لما يقومان به من امر طبيعي، فانهما لن يصدقاه بل ولربما شكا في منطقة، كونهما على قناعة تامة بأنهما لا يفعلان الا ما يرياه ضروريا وطبيعيا وليس فيه اي امر استثنائي.

وبالتالي ، فان البطولة لا تكمن ولا تتجلى في الامور الخارقة الطبيعية، بل في اكثر الامور طبيعية. فكلما تطابق الفعل مع ضرورات ومتطلبات الطبيعة والحياة ولبى طموحها نحو التقدم والتطور كان اكثر اقترابا من البطولة.

لقد اكد التاريخ وفي مناسبات عديدة ان التقدم شرط اساسي لا تتحقق البطولة بدونه . فها هو رجل يملك طاقة هائلة على الفعل كهتلر ، ولكنه اخذ يجندها في خدمة قوى الظلم والطغيان في العالم وراح يبطش وينكل بالناس ويدمرظاهرات الحياة بما فيها من بشر ومنجزات مادية ومعنوية . فهل هذا بطل؟ بالطبع لا والف لا. ذلك ان الحياة وتقدمها، خدمة الناس وتقدمهم شرط ضروري لتحقق البطولة وتجليها.

لكي نتعرف الى البطولة، اي بطولة، لا بد اذا من ان نبحث في الفعل عن شرطين اولهما يطابق الفعل مع الضرورة الموضوعية للطبيعة والحياة ثم انسجامه مع طموح الطبيعة والحياة نحو التقدم والارتقاء ثانيا .

وفي حياتنا، نحن الشعب الكادح الذي يرزح تحت وطأة الاحتلال البغيض، ثمة من المآثر والبطولات ما يستحق اكثر من تسجيل تاريخي او ادبي.

لننظر حولنا ، فاننا كلما شهدنا ولمسنا ، بل عايشنا وعانينا مظاهر قسوة العيش في ظل الاحتلال شهدنا ولمسنا البطولة في تحدي و مواجهة هذه المظاهر، في مقاومتها وفي التغلب عليها. الا يكفي معاندة شظف العيش في ظل التفاقم المصطرد للاوضاع الاقتصادية والهبوط المتزايد لمستوى المعيشة، حتى باتت لقمتنا، ان حصلنا عليها مغمسة حتى الاشباع بالمعاناة والقهر؟ الا يكفي تحمل بطش الاحتلال واعماله التعسفية من اعتقالات وملاحقات ونفي وتضييقات وحواجز وتفتيشات استفزازية وهدم للمنازل الخ. الخ. الا يكفي هذا ليسجل امامنا عشرات وعشرات البطولات لاناس بسطاء تحملوا القسوة بشمم وبقوا واقفين لا تلين لهم عريكة ولا يهتز لهم عنفوان؟؟

ان كل هذه البطولات اليومية لا نلحظها او الاحرى لا نهتم بتسجيلها ان لحظناها. لربما لأننا لا نجد الوقت او الهمة الكافية لبذل مثل هذا الجهد ، غير ان السبب الاهم هو لأننا نعيشها، فمن تنزل العصا عليه يتألم لها ولا يعدها. لهذا ولغيره من الاسباب، فان ثمة ضرورة هائلة لكي نقف امام بطولاتنا نسجلها، نبرزها، نتناقلها، نستجلي معانيها، نعتبر بدروسها، نقتدي بمثلها، نحولها لاغنية تنشدها شفاه الاطفال تنقل لهم عبر نغماتها شوق

الانسان الابدي نحو حياة الحرية والكرامة والسمو الروحي.

اننا لن ننتظر حتى تزول المعاناة كي نتفرغ لتسجيل تاريخنا وبطولاتنا. لن ننتظر، لأنه لا زال امامنا اشواط طويلة من النضال لا بد من قطعها قبل ان يتسنى لنا ازاحة المعاناة عن كاهلنا، والأهم من ذلك لأن في هذا التسجيل دفعا للنضال نفسه ورفعا لشأنه. فالمأثرة تتعاظم اذا هي سجلت والبطولات تتجلى ان هي شاعت. ان المأثرة والبطولة لا تتجليان في الظلمة،فهما ان لم ينتشرا ويشيعا ليصبحا قصة وانشودة واغنية على كل لسان يبقى اصحابها كما يقول المثل الشعبي "كمن يرقص في العتمة؟؟ فالبطل ذاته لا يتيقن من بطولته الا بعد ان يرى وقعها على نفوس الناس . فاذا ما اثرت فيهم الشجاعة ، اذا ما الهبت فيهم الحمية، اذا ما اثرت في قلوبهم شعلة العطاء وايقظت في نفوسهم طموح السمو والرقي الانساني، فانها عندها فقط تتجلى حقا كبطولة. فالبطولة هي العمل الذي يأتي به المرء ويكون جديرا تعميمه على الناس كما يعرفها علم النفس المادي.

لقد اجارح ابناء الشعب الفلسطيني على مدى العقدين الاخيرين من تاريخه النضالي ومنذ ان اجترح تفجرت الانطلاقة الثورية للشعب، اجترح آلاف البطولات الصغيرة والكبيرة سواء في بلدان المنفى ومطارح الشتات في سعيه للعودة او في تصديه لمهمة حماية البندقية الفلسطينية الثائرة واعلاء شأنها ، ام في مقاومة الاحتلال ومقارعة قواته من جيش وحرس حدود وشرطة ومباحث.

واضافة للبطولات الكبيرة التي ابداها ابناء هذا الشعب في معارك المواجهة المباشرة وفي الاشتباكات المسلحة عندما حصل ان واجهوا قوات العدو، هناك بطولات من نوع آخر، افتقر فيها البطل للبندقية ، ولكنه وقف في وجه الجلادين بشموخ وعظمة متسلحا بسلاح اشد اثرا من البندقية واحدا مضاء من شفرة السكين. سلاح الوعي الثوري بحتمية الانتصار ، سلاح الايمان العميق بعدالة القضية ، سلاح الرجولة والشرف، سلاح الارادة والصلابة النفسية.

لقد وقع عشرات الالاف من ابناء هذا الشعب المكافح بين براثن العدو ومروا بتجربة الاعتقال والتحقيق القاسية، تلك التجربة التي يمتحن فيها كل ما في الانسان من عظمة، كل ما فيه من شموخ ذلك انها التجربة التي تضع على طرفي نقيض في مواجهة مباشرة قوتين مختلفتي الاتجاه غير متكافئتي الجوانب . بينما يقف المحققون في جهة بكل

قدرتهم الحاضرة ، والكامنة على التعذيب والتنكيل والبطش وربما القتل المتعمد بالدم البارد، يقف في الطرف المقابل جسد عار اعزل من كل سلاح باستثناء ما في النفس من صلابة وما في العقل من وعي.

ولعله بفضل حكمة الطبيعة التي لا تحرم ابناءها من فرصة مشروعة للدفاع عن النفس يتضح احيانا ان تلك القوة الغاشمة الباطشة تقف عاجزة عن فعل اي شيء ازاء شموخ النفس وعظمة الروح التي يبديها الطرف المقابل ، رغم كل ضعف وهزول وتحطم جسده. وفي مواجهة القوة الغاشمة ثمة نوعان من ردود الفعل الانسانية يقف كلاهما على طرفي نقيض. فالى جانب الانكسار والتحطم تحت طرقات القوة الغاشمة.ثمة الصمود والبطوله باعظم معانيها . فيما تحولت غرفة التحقيق الئيمه من جهه الى موقفا يشهد ابشع صور الانحطاط والنذاله البشريه ، تحولت من جهة اخر بدل مركز اشعاع لمعاني البلوله ولقدسة الانسان التي لا حدود لها على التحدي في السمو وفي الشموخ .

لقد اطلع الكثيرون منا من مصادر اخرى على تكتيكات التحقيق وقواه الفاعلة. فأكثر من مصدر يتحدث باسهاب عن اساليب التحقيق وتنوعها ، بل يتحدث عن كيفية تثليم نصلها والتغلب عليها. ولكن هذا كان دوما في اطار من النظرية والتنظير حيث التبويب والتصنيف والمعالجة العلمية اجمالا . ان هذا ليس هدفنا هنا، ولكننا سنتابع معا قصصا واقعية ملموسة بلسان اصحابها يتحدثون ببساطة عن تجربتهم الاليمة ، ولكن العظمة في آن معا. كيف انهم واحيانا بدوافع بسيطة جدا كبساطة الرجولة ذاتها وبساطة الشرف نفسه تغلبوا على قوة المحقيقين الغاشمة وانتصروا عليها.

ان الواحد منا يقف حائرا امام ظاهرة الانسان المعقدة. ففي الوقت الذي يظهر لك انه قوى جدا ، فانه قد ينهار تحت ضربات عصا التحقيق. يفاجؤك شخص بسيط جدا ، متواضع في امكانياته، بقوة لم تعهدها من قبل . بيد ان هذا لا يحدث في الغالب لا سيما اذا ما كانت الممارسة التي سبقت المحك الحقيقي هي ذاتها حقيقية وقادرة بالتالي على كشف معدن الشخص على حقيقته . وهذا ايضا ليس هدفنا. فاننا نخطىء ان بحثنا عن الاستثنائي في الظواهر لأن هذه قد تبقى رموزا ملهمة، لكنها غير قابلة للتكرار او قابلة لها بصعوبة وبالذات لكونها ظواهر استثنائية. لهذا وعندما فكرنا في تناول مثل هذا الموضوع ان نسعى وراء ظاهرة الصمود امام مشرحة المحقق هذه الظاهرة التي تجمع في الوقت ذاته

بين الاستثنائي في بطولته والبسيط في حقيقته بحيث يغدو رمزا ومثالا قادرا على الالهام بنفس قدرته على التكرار والتجسد في الاخرين .

فأمامنا عدد من الرجال ، الرجال يختلفون ويتشابهون في آن معا. يختلفون لأن لكل واحد منهم شخصيته وسماته، ولكل منهم تجربته وبالتالي تفرده. ولكنهم يتشابهون اذ يجمعهم ذلك الاشعاع الجذاب الذي يبثه كامل الكيان، تبثه العينان كما يبثه اللسان، تبثه الحركات والايماءات كما تبثه النبرات واللفتات. عندما التقيت بهم، كل على حدة بالطبع، تيقنت انني وجدت ضالتي. ففي البساطة تكمن العظمة وفي الصدق تتجاى الحقيقة.

كنت قبل ان التقي معهم ، قد ابديت بيني وبين نفسي تخوفا، اعتقد أنه مشروع تماما، في احتمال الا يستجيبوا لي والا يتعاونوا معي في مسيرتنا المشتركة لاعطاء صورا حقيقية وصادقة عن بطولات جديرة بالخلود ، بل ان تخوفي قد ذهب الى ابعد من ذلك، ذهب الى مستوى الا يثقوا بي. ولكني في كل مرة. كنت اجد ان تخوفي سرعان ما كان يزول ليحل مكانه احتراما وتقديرا فائقين لاناس بسطاء غاية في البساطة لا يحسون الا انهم قاموا بواجبهم اولا ازاء انفسهم، وازاء شرفهم اذ حاقظوا على انفسهم وصانوا شرفهم، ثم ازاء وطنهم وشعبهم اذ رفعوا عاليا رايات البطولة والصمود وصانوا اسرار رفاقهم ومحبيهم ... بعضهم اخذت العملية طابع المقابلة بيني وبينهم والبعض الاخر طلبوا ان يكتبوا بانفسهم، وفيما يلي سلسلة تجاربهم بالسنتهم:

تجربة رقم ١

لنبدأ التحقيق وننهيه بروح هجوميه

كيف حالك ؟ زي الزفت هل اغضبك احد ؟؟ رؤيتكم لكم تكفي لاغضابي ، ماذا تريدون ؟؟ - هل انت مستعجل ؟ ابدءوا بموضوعكم ولا داعي لطق الحنك في الكلام الفاضي - اولا نرحب بأحد رموز الجبهه الذى استطاع تضليلنا طيله هذا الوقت - لا

اعرف شيئا عما تتحدثون ؟؟ بعد قليل ستعرف كل شيء - ثم بدأت النصائح عن قانون تامير والحكم العالي والبهدله - فقاطعتهم " ابدؤا في التحقيق ولا تتعبوا انفسكم فليست لدى سوى كلمه واحده وهي لا اعرف " . لسنا مستعجلين وعرضوا رسمه لهيكليه يقع اسمي في رأسها فقلت هذه لاتعنيني ولا يعنيني من رسمها وخططها ؟؟ كل شيء جاهز وما عليك سوى التوقيع لانريد منك ناس اكتفينا " هذه العبارات تهدف الى اخذ اعتراف اولي مما لديهم ، لاحداث النقله الاولى في التركيع فسياستهم النفس الطويل والتركيع البطيء " وهم يعلمون ان عضو الجبهه لا يعطي ما لديه دفعه واحده - اذهب للتفكير فأنت مسؤول ومثقف وتستطيع ان تزن الامور فلان وعلان والجميع وفروا على انفسهم الهلاك وجميع اصحابك الذين يعرفوك - لست بحاجه الى شهاده منك ، كما لا احتاج الى راحه وتفكير ، فكل شيء جاهز في فكرى ولن تسمع سوى لا اعرف شيئا نقلت من الخزانه مكبل من الخلف والكيس على رأسي منذ ان دخلت الخزانه نزعت الكيس عن رأسي عن طريق الحائط ، (فالكيس ينقل الانسان الى عالم الخيال ومن الضروري ان يعيش المناضل واقعه حتى يحافظ على توازنه " ، غابوا طويلا ولا اعرف ما هو الوقت ؟؟ ثم عاد احدهم يدعى ابو دافيد فتح الخزانه وصرخ لماذا رفعت الكيس ؟؟ لأن التعذيب وظيفتك "وليست وظيفتي ، اذا اردت ان يبقى الكيس ....، جرني الى غرفه التحقيق لاجد بها خمسه محققين مكثوا قليلا لادلاء النصائح ثم خرجوا دفعة واحدة. وبقي ابو يونا وقال " انت مسؤول ولست بسيط وتستطيع فهم كل كلمة اقولها.. ياسلام وما هي رتبتي؟؟ بدأ يرسم شارات الرتب وقال ميجر) قلت له وما رتبتك ؟؟ قال السنه القادمة سأصبح ميجر. " اذا فليحقق معي من هو اعلى مني رتبة" كظم غيظه وقال ما هي علاقة زوجتك بالتنظيم ؟؟ اسألها ولا تسألني عن اي شيءلا يخصني (هذه الجملة مدخل) فتنهد وقال معك حق سنسألها. والان احكي القصة ؟؟ لا اجيد حكاية القصص .اقترب مني ووضع رجله في صدري ودفعني ارضا لاقع فوق الكلبشات ويرتطم رأسي بالارض وصرخ (قوم) فنهضت متثاقلا دون ان اعرف انه سيكررها واجلسني على الكرسي ليدفعني مرة اخرى وبنفس الطريقة، وعاد يصرخ (قوم) فقلت له مش قايم لست مستعدا لتعذيب نفسي اذا اردت تعذيبي عليك ان تقوم بالعمل كله، وتقدم مني مسرعا ليركلني من الكلبشات لتشديد الالم وظل يكررها حتى تعب، فبدأ بالصراخ فلم اجبه فسكت فجأة "فقد كان

يتعمد ويتصنع الصراخ ويتعجب لعدم صراخي) فحقدي عليه احتقاري له كانا اقوى من الالم، لقد كنت افكر به وبحركاته وعنفه وحركاته المجنونة ولم افكر بالالم (انهضني واخذني الى غرفة اخرى وقال اخكي القصة - قلت لك بعرفش احكي قصص، من هم اصحابك ؟ مش شغلك ، وتظاهرت بالنوم، انهضني بشدة وقال انت تحتاج الى حمام، وقلت له فعلا فمنذ ثلاثة اسابيع لم استحم يخلف عليك، جرني الى الحمام، فك القيود وقال انزع ملابسك ، نزعت كل ملابسي بسرعة ودخلت الى الحمام وفتحت الدوش لتنزل المياه بكل قوتها ودخلت تحتها ، فوقف متعجبا عدة دقائق ثم قال امامك صابونة استعملها، تناولت الصابونة واستخدمتها وبدأت اشطف جسدي، فقال سكر الدوش فقلت لحظة حتى اكمل تشطيف الصابونة وفعلا اكملت ، فطلب مني لبس الملابس باستثناء الملابس الداخلية الطويلة او (الجرزاية والمعطف) شد وثاقي جيدا على كرسي ووضع الكيس مربوطا على رأسي ووضعني في غرفة باردة ، لم ادرك لاول وهلة انه فتح مروحتين + الكنديشن، ظننت انه فتح الشبابيك وبقيت حتى الصباح. (استنتاجي، ان عدم اكتراثي باسلوب التعذيب واظهار الالم او الخوف من الماء اوصله لقناعة بعدم جدوى هذا الاسلوب ولم يكرره مرة اخرى . في الصباح جاء محقق آخر تبدو على هيئته الدلال، فك وثاقي وطلب مني لبس ملابس (الجاكيت والجرزاية) وقال كيف كان حمام الامس؟ عال العال يخلف عليكم ماذا تريدانت الاخر؟ اريد ان اتحدث معك كمسؤول في الجاسمي (...) مدة خدمتي ثمانية سنوات ... فقلت له مش كثير فاستغرب فقلت له مدة خدمتي سبعة عشرة عاما ."ولا ارغب في التحدث معك فلست صاحبي او صديقي ولا تسرني رؤيتك، انت حاقد، بالضبط، لماذا؟؟ "لا ضرورة لمعرفتك" . ايش بدي احكي معك، فقلت له استخدم لغتك لغة الضرب فهذا افيد لك انا لا اضرب - باين عليك حنون، اللي زيي بنفعش معاه غير الضرب مش الحكي القاضي ولا الدجل ؟؟ دخن سيجارة - عودت نفسي ان لا ادخن اثناء التحقيق - لماذا؟ " هذه خصوصياتي صدقت فلسفة المواجهة. كل اللي قرأوه اعترفوا فهذا كتاب قديم "على رأيك جرب ... سوف تعترف اذا مش اليوم بكره الكل هيك فلان وفلان واحنا مش مستعجلين.

ولا انا ... بتتحدى ؟ اعتبرها تحدى... اخف غضبه بأبتسامة صفراء وارجعني الى غرفة الهوايات بعد ان طلب مني نزع ملابسي (لقد اعطاني التحدي دفعة جديدة فشعرت

جسمي يرتعش ليس من البرد بل من شدة الحرارة وتذكرت كلماتي الاخيرة قبل الاعتقال، وقلت في نفسي سامرغ انف هذا المغرور الحدث في التراب) واذا ما اقترب اليأس الى نفسي سأقتل نفسي قبل ان يضحك هذا الفر؟ لا اعرف كم من الوقت مضى فقد اصبحت لا اشعر بالوقت ، كنت افكر بالجولات والوجوه الجديدة، وعمالقة الحزب ؟ حتى جاء حدث جديد طويل يبدو عليه انه صغير السن تعرفت عليه عندما نزع الكيس عن رأسي اسمي (....) اتشرفنا ماذا تريد "ما هو عمرك ؟ سبعة وعشرين " ما هي سنوات خدمتك "٣ سنوات " ثم استدرك هل تريد ان تحقق معي ؟ لا العفو نسيت انك المحقق ؟؟ قال:- يا زلمه ريح بالك الكل اعترف" وانت ايش مغلبك وحارق دمك علي ؟ انا خايف عليك ؟ ليش حدا موصيك علي ولا بتقربلي ما هي واضحة الامور انت في قطب وانا في قطب، انت صهيوني وانا ماركسي ومن وين هالحنين، فظل واقفا ليحمل الخارطة" والهيكلية" فقلت له شفتها ومعجبتنيش "ليش" الرسام اللي رسمها مش فنان وبيعرفش يستخدم الالوان ؟ هل شاهدت اسمك ، وهل هو موجود يا زلمه والله ما انا عارف حسبت اني مجهول ولا احد يهتم بي يكثر خيركم "فبدأ بالحديث عن عدالة قضية فلسطين لكن شو تساوي اسرائيل قوية ولا حول لكم" انت حاولت ان تناضل ووقعت انا ابوي عربي وبيعرف كل القرى العربية ... استمعت له عندما وصل الى كلمة معك قرش تسوي قرش، ومعك القوة معك الحق "فقلت له خسارة حسبت انك مثقف وحضاري مش عيب واحد فهمان زيك يحكم على الناس بالمصاري " فاحمر وجهه خجلا وقال انا مقصدتش هيك انا قصدت معك قوه بتسوى، فقلت له انت الان تطرح طرح الجبهة فلماذا لا تتهم نفسك فقال انت كثير حكي " انا بنصحك تتركني انا بديش ، اذا بدك تستريح الله يسهل عليك" تركني بعد ان جهزني بالكيس والكلبشات وادار الهوايات ، عندما ادركت ان الهواء يأتي من المراوح فصممت على اطفائها تحديا ،لم تساعدني يداى ولا الكيس المربوط جيدا فحركت الكرسي ودفعت الطاوله برجلي دافعا الهوايات بعيدا حتى سقطت احداهما ، وجاء كالمصروع وقال ماذا فعلت ، فقلت له ما تراه واذا اردت ان تعذبني ما عليك سوى ان تشرف على التعذيب ، فابعد الطاولات ووضعني في زاويه الغرفه وادار الكونديشين ، وتركني ليعود بعد قليل ما بدك تحكي القصه ؟؟ فقلت لا يوجد قصص ... كم من الوقت مضى فقد سهوت قليلا لا اصحو على صوت الباب بفتح واحد المحققين يرفع الكيس عن

رأسي فسألني كيف حالك ؟؟ فقلت زي ما انت شايف فهز رأسه وقال اسمي الميجر (....) فقلت له تشرفنا ، فك الكلبشات التي ادمت يدى ، وجلب اوراقه السياسيه وملفات الاعترافات وقال كل شيء ثابت عليك فهذه الاعترافات لجميع الشباب ، فقلت ساخرا كل هذه الافادات واصحابها اعترفوا علي ، فقال لا ليس كلهم ولكن بعضهم اللي انت مسؤول عنهم وكنت تعطيهم الدنانير والدولارات ، فقلت رافعا البوط ممزق ، انظر هل صاحب هذا البوط يمكن ان يملك دولارات ودنانير ، فقال لقد قال عنك اصحابك انك لا تصرف مليما واحدا على نفسك ، فقلت لا يهمني ماذا قالوا ولا ماذا تقول ، فعمل اوراقه السياسيه وقال كل الملفات لا شيء وهذه البطاقات كل شيء ، لقد خرجوا الى التدريب على اليونان ومنها الى ليبيا والمانيا ثم الى كوبا وهذه هي الاختام (.....) فقلت له ما شأني انا بهم ؟؟ فقال انت ارسلتهم ، فقلت له هل انت مقتنع فقال اكيد ، قلت له لك قناعتك " وقال لماذا لا تريد ان تعترف ، فقلت له لانني لا املك شيئا وحتى لو كنت املك فليس لدى الاستعدادت اقول لك كلمه ، كما تقولون امامك العصى والوقت ، والحكم العالي من السنه للعشرين فانا لا احسب لذلك حساب ، فقال انت عنيد لكنك ستندم ، فقلت له عندما تأتي ساعه احس بها بالندم ساكون لاستحق الحياه . وسأقتل نفسي لتقولوا كما قلتم عن الخواجا ؟ انه قتل نفسه مع انكم قتلتموه فمكث وقتا طويلا يريد ان يقنعني انهم لم يقتلوا الخواجا ، فقلت له انا لا الومكم فأنتم اعداء ولا نتوقع منكم سوى القتل والتشريد والخواجا شهيد ستبقى ذكراه للجميع "لقد كرس وقتا طويلا يهدف من خلالها ان يفرغني من الحقد . فقلت له لقد قتلتم الكثير ولاكن واحد منهم ولن اخسر شيئا بل سأكسب اسمي وشرفي وكرامتي وهي كل ما املك . (الجو المشحون لا يساعده على اداره التحقيق وتوجيهه ولا لايجاد تجاوب معه عند المناضل) فقلت له ماذا تنتظر هل اخلع جميع ملابسي ، لو كنت مكانك ووجدت شابا عنيدا امامي لحطمته تحطيما) فقال نحن لا نسعى الى تحطيمك ولدينا وسائل كثيره . نقلني الى غرفه اخرى واعاد نزع ثيابي كالسابق ، وادار الكونديشين ليغيب عن وجهي وليأتي وجه جديد، يفك الكلبشات ليقول اصلا كيف حالك فلم ارد عليه، وقال اسمي الكابتن (...) ، فقلت له الحمد الله اول واحد نقابله برتبة كابتن ولم يدعي انه ميجر، كنت تعبا افتعل الصحو فقد كانت وجوه المحققين تنبه جميع حواسي ، فقال كم يوما ستصمد ، فقلت من يريد الصمود لا يحسبها بالايام وها انذا امامك لا اعرف كم يوما

او كم ساعة مرت علي ، ادخل في الموضوع، فقال لا اريد ان احقق معاك ، اريد ان اعرف فقط لماذا تؤيد الجبهة فقلت له من قال لك اني اؤيد الجبهة . فقال انت مسؤول وليس مؤيد فقط، احسبها زي مابدك . وعلى الرغم من انك عدو ونحن في وضعين مختلفين. اقول لك ان الجبهة تصنع مني انسانا، وهذا ما يجعلني اؤيدها او هذا الفرق بيني وبينك (ولم يفهم العبارة) فاستوضح عنها بالحاح فقلت يصعب عليك فهم هذه العبارة من كان في وضعك يعمل من اجل الفلوس ، دون حساب للمعاني الانسانية ولم يفهم هذه العبارة ايضا، فاستفسر عنها، فقلت له لن تفهمها مطلقا وباختصار عضو الجبهة يعمل من اجل جميع الناس بمبادىء اما انت فتعمل من اجل مصالحك الشخصية فقط ، وهو انسان يدافع عن الانسانية، فراح يدافع عن الحق التاريخي بمنطق ضعيف وهش وتدارك الموقف وقال اريد فقط ان اعرف لماذا تؤيد الجبهة ما دمت تملك ما يكفي لادانتي على كل سأشرح لك لماذا اؤيد الجبهة فشرحت له طرح الجبهة مركزا على فهمنا في ايجاد الدولة الديمقراطية الشعبية وانسانيتها في النظر للمضطهدين اليهود بعكس الصهيونية التي تضطهد اليهود قبل العرب وكنت اهدف الى اضعاف موقفه لأني ادركت انه فارغا من اي مضمون سياسي ، فقال هل قرأت فلسفة المواجهة، وهل تعتقد انه سيفيدك انتم مساكين ، ان ما يفيدك ليس قراءته بل معرفة مضمونه وادراك طبيعتك ووظيفتك وهذا يكفي لاعطائي القوة. فبدء بالهجوم على فلسفة المواجهة وعلى اساليبه القديمة التي لا تنفع لان الاساليب تغيرت، فقلت له جيد، اصلا انت تتهمني انني اوزع دولارات ودنانير فقال ليس فقط بل انت مسؤول ايضا ، فقلت له طيب ما هو معاشك الشهري ، فقال ولماذاتسأل، فقلت له نسيت انه سر من اسرارك لكن لا عليك ، انا سأعطيك اكثر من معاشك مثلا الف دولار واكتب كتابا جديدا يوضح اساليب التحقيق الجديدة فهذا اضمن لك واوفر ولن يكلفك جهدا كثيرا فقال هل تريد ان تنظمني يا... فقلت له اذا كنت متهما بتنظيم اربعين شخص فماذا يضيف الشخص الى الواحد والاربعين خاصة اذا كان ذكيا مثلك . "ما هي تهمة بتهمة" والان اختصر الوقت وابدء التحقيق، فنهض غضبا وكرر عملية الربط والشد وفتح الكونديشين . وحاولت بعدها الاستسلام للنوم لكن شدة الكلبشات لم تساعدني خاصة عندما سهوت وحاولت الوقوف فازداد ضغطها على يدي فبدأت اشتم بصوت عالي على المخابرات ليأتي قادم جديد ونظر الى يداي الزرقاء وحل الكلبشات واقتادني الى غرفة

وقال لي الا تريد ان تحكي القصة (لأبو)، فقلت له من هو (ابو...) هل يختلف عن غيره، فقال (ابو...) سيعرف قصتك وقصة تنظيمك وعلاقتك فقلت له هيا شمر ذراعك ، فقال انا لست مستعجلا، استفزتني عبارته ، جعلتني اغلي من الداخل لكنني سكتت منتظرا منه جملة اخرى ، فقال احلف والله العظيم كغيرك، فقلت انا لا احلف اولا لأنني ماركسي ، وثانيا لأنني لا اخاف منك، فقال اصمد ان استطعت، فقلت له سترى، ارجعني الى غرفة الشبح والهوايات ، فبدت صورته امامي كصورة الشباب الذين يلبسون البنطلونات الضيقة - شاب ارعن مغرور مدعي لا يعرف من هو عضو الجبهة فتصاعدت قدرتي على التحدي، لكن التعب اعياني ولم اصحو الا عندما شدتني الحاجة للتبول، فبدأت انادي على الشاويش او القرد فلما لم يستجب احسست انها احدى وسائل الضغط ، لا نوم - لا أكل - لا قضاء للحاجة.حاولت قضاء حاجتي في الغرفة ونجحت بصعوبة وما انهيت حتى وقعت انا والكرسي لتضغط الكلبشات على يداي، لم اصرخ وحاولت تدبير الامر عن طريق تصحيح الكسي فلم استطع حتى شعرت بتوقف يدي ورجلي وقد كان الدم يسيل من يداي فبدأت اشتم دون وعي على (ابو...) يا جبان، يا فاشي يا .... الخ من / كلمات نابية: الجبان خايف يرد وقال بده ياخذ افادة وهكذا لم يستجب حتى خطرت ببالي فكرة ان ابدأ بالنداء على المساجين لاحساسي بقربهم فبدأت بالصراخ عليهم شاتما كل اقارب المخابرات وبمختلف اللهجات حتى جاء كالمصروع ، فقلت له من يريد ان يأخذ اعتراف لا يهاب الشخص الذي يحقق معه ولن استجديك، وانا مش سائل عن نفسي، فطرق الباب وخرج فوجدتها فرصة للنوم على الطاولة واستسلمت للنوم، حتى افقت على طرق الابواب، لم اتذكر شيئا فقد مررت بلحظات فقدان الذاكرة ، وقد استغربت وجودي في الغرفة، فقمت وضربت برجلي الباب وجاء (ابو...) فقلت له لماذا انا هنا فقال انت تعرف وصرخت به ان وثاقي مشدود تقديري ان عدم احترامي له لم يذكرني بأنني امام محقق فقد نسيت تماما ولما طرق الباب وخرج نجحت في اخراج الكلبشة من احدى يدي وبدأت ابحث بالجوارير عن المفتاح لاخرج دون أن أسأل عن احد الا ان النوم شدني من جديد فاستسلمت له، ولم اصحو الا عندما جاء وجه جديد ، فك الكلبشة من اليد الثانية مستغربا واجلسني امامه ، حينها استعدت الموقف بسرعة وبشكل طبيعي فقال لي لماذا لا تريد ان تعترف، لانه لا يوجد عندي شيء ، لكن لدينا كل شيء فقلت تأكد منها، فقال انا جاي من

غزه وكل شباب غزه اعترفوا معي ، هل تخاف من الجبهة كمسؤول ، فقلت له الجبهة لا تخيف فهي ليست ارهابية، اما اذا كانت الجبهة تحاسب من يعترف فهذا شؤونها وليست شؤوني وشؤونك، فقال كم يوما ستصمد، فقلت حتى تتعب ويتعب غيرك، فقال معك ٧٨ يوم فقلت وفي ٣٠ + ٨ لتصبح ١٢٠ واذا لم تتعبوا فاضربو هذا الرقم في ٢/ فقال انت واثق من نفسك اكثر من اللازم، فقلت له تأكد ، وقال محاولا التسخيف، ما هو النضال الفلسطيني فقلت له الاستقلال الوطني في دولة مستقلة فقال نوافق وسترون كيف ستأكلون بعضكم، كما تأكلون بعضكم في لبنان وكما قتلتم الختيار المسكين (...) امس ، فسررت جدا من الجاهل، فقلت له وهل قتل هذا المسكين ، فروى القصة بطريقة استفسارية ، وبدأ النقاش عن لبنان وقتل القلسطينيين لبعضهم البعض (سياسة التشكيك بالثورة لاحباط الموقف النضالي للفرد) فقلت له خلصت فقال ايوه، فقلت اترك الفلسطينين بحالهم فلست احرص منهم على مصالحهم واهتم بشؤونك فهم ادرى بشؤونهم، فقال انتم مجانين وبدي أسألك، انت عندك شيء وبدكش تحكي اولا بتفكر محدش اعترف عليك، فقلت احسبها زي ما بدك المهم اني لا اعرف شيئا اقوله لك ، فبدأ الغضب يرتسم على وجهه قام بسرعة واعادني الى غرفة الشبح وبقيت هكذا حتى جائني المحقق، الولد الاشقر ليقول لي صباح الخير فلم ارد عليه وحل الكلبشات والكرسي ووضعها في يداي من الخلف وادخلني الى الخزانه، وعاد بعد قليل يسألني كم يوم انت بدون طعام فقلت له اسأل حالك ، فقال بدك توكل احكي فقلت له انصرف فدفعني بقوة داخل الخزانة واغلقها، فجلست على الكرسي الموجود حتى جاء المدعو (...) وقال كيف حالك فقلت زي ما انت شايف، جرني الى غرفةالتحقيق لاجد بها اربع محققين ممن رأيت وجوههم واجلسني على الكرسي

هل تعبت ، يمكن جسمي تعب لكن معنوياتي لن تتعب، وماذا تنفع المعنويات ، اسأل نفسك وكتابكم عندما كنتم تذكرون من تسموهم مناضلون صهاينة كيف كانوا يعلقون على اعداد المشانق دون ان يشعرا باصحابهم، من قال لك هذا ، مجلتكم المرصاد عندما قارنت هذه المواقف مع احد المنهارين المسمى الدكتور - نور، فهل هذا الموقف يليق بكم ولا يليق بغيركم ، فبدأوا يتطلعون على بعضهم ويضحكون (وكأنهم يريدون ان يثبتوا لبعضهم ان لا احد يستطيع ان يأخذ افاده)، فتدخل النمرود ابو يونا وقال ارحم حالك يا زلمة وافرط هالقصة واضحة، فقلت له وانت ايش مخليك محروق علي انت من قرايبي والا

بعرفك، فتابع يقول انا احترم موقفك لكن تتعب نفسك بدون جدوى ، فقلت له هذا يهمني فقط ولا يهمك انت، ثم بدأوا يتندرون على (ضلالة) هذا المنحط الذي اهاننا وجعل هؤلاء الاقزام يتندرون علينا، مثل ايش آخر شغله عملها المنحط قبل ان يعتقل يا فلان اشتري خضرة لمدة ثلاثة اسابيع ، بقيت الجلسة على هذا المنوال، مفاقعة حكي هم يسخرون وانا اسخر، اعادني احدهم الى الخزانة ليعود ويراني اتمشى فيها، ليلعن احنا حطيناك هنا حتى تنام وتستريح وانت قاعد بتجسدر، فقلت له الظاهر عليك اصلك عربي وحنون فاغلق الباب بشدة، بقيت الجولات هكذا وقد كنت اعتقد ان لي خمسة عشرة يوما ، فسألني (...) كم يوما لك ، فقلت له يوما او يومين فقال لا خمسة فقلت له انا لا اهتم بحساب الايام ما انا عارفها طويلة ، اعدني الى الخزانة ، حتى اتى الولد (...) وقال صباح الخير ، قلم ارد عليه، وقال اعمل لك شايا، فقلت له اعمل لحالك، فقال ها تخاف ان يقولوا عنك عميل فقلت انا لا اهتم بالتوافه ، فقال لقد طردنا اليوم اثنين الرجوب وبشير، فقلت له المعني انا لا اخاف الطردوحتى اذا طردت فسوف اعدد ثانية ، فقال كيف، قلت له هذا لا يعنيك، قل لا تكثر كلامك لأنك لن تصمد حتى يوم الجمعة ، قلت له سنرى ، وبقيت على هذا الحالة واعادني الى الخزانة، حتى جاء ابو يونا وجرني الى مردوان احدى الغرف ونزع العدة وادخلني للغرفة لاجد فيها اثنين ممن اعترفوا وخانوا شرف الحزب ، وسمعت حديثهم، وهم يجيبون بكل صراحة فقلت لهم انا لا اجيد التمثيل والصراخ والافضل لكم ان تستحوا فكفى اذلالا لأنفسكم ، سحبني من الغرفة بقوة واعاد الكيس وقال احنا مش مستعجلين. ولا انا "لقد راهنوا على صدمة المفاجأة، فقال حسبت انك مش مصدقنا بس الظاهر انك عنيد وبدك تكسير رأسك فقلت له ابدأ . وقال سترى، وقادني الى خارج الغرف ليسلمني الى شرطي السجن ويوصية بأن ابقى يومين الجمعة والسبت وهذه فرصة للراحة ، وقد استرحت عدا عن اوجاع في كتفي من الكلبشات ، وناولني الاكل فالتهمته كله ما يقجم حتى اكسب القوة ، وعرفت خلالها ان لي فقط سبعة ايام ، وفي يوم الاحد صباحا أعادوني الى التحقيق لتبدأ الاسطوانة من جديد ، ولم يحدث سوى بعض الحوادث الجديدة ، يجلسني في الغرفة ويقول نحن نعرف انك لا تريد الاعتراف فوضعك حساس، لكن ما رأيك لو انزلناك الى المحكمة غير معترف، وبعد المحكمة بتقول القصة.

فقلت له هل ترى في وجهي علامات التجارة، وهل سمعت انني صاحب دكانه او متجر،

هذا اكلام تقوله للأنذال من العملاء ولا تكرر هذا الاسلوب الرخيص معي ، وقال انا لا اريدك عميلا فأنت لم تفهمني ، فقلت له لكني افهم اسلوبك الرخيص جيدا ولا تكرره معي ، فقال الله لا يردك ، فقلت حسنا ، موقف اخر في يوم ١١ ١٢ عندما جاء المحقق وانا اسمع اهازيج الرفاق في السجن ، والذى اراد ان يحاورني مسؤول لمسؤول ، اسلوب التجاره الرخيص الذى نجح به مع البعض حدثت نفسي من الداخل هذا الرخيص يحاول انتزاع اعتراف من عضو الجبهه في اليوم الذى تهتف الاف الحناجر لها) . وقد كانت مجمل هذه السياسه تعكس فشلهم ومحاولاتهم لتطبيع العلاقات من اجل تمييع اراده التحدى ، موقف اخر مع (...) بعد ان ابقاني لمده ليله في غرفه الهويات ، جاء في الصباح ينتقم ، وبدأ بالشتم على زوجتي بالفاظ بذيئه حتى يستفزني ، وقد نجح ولكن باسلوب معاكس لمراده ، وما استفزني ان هذا الحقير يغطي فشله ليتهجم علي وعلى زوجتي ، مما دفعني للسكوت فتره طويله وقولي له انني لا اقف امام محقق بل امام ازعر في الشارع وهذه الامور سأسويها معه في الخارج ، ليقول انت تهددني فقلت اعتبرها كما تريد وبدأ يسحب ناعم ليلطف الجو على غرار بامكانك سحبها اذا اعتذرت فقلت انت الذى يجب ان يعتذر ، في صباح نفس اليوم الجمعه من الاسبوع الثاني + . اخذني (...) ليكمل الحوار الهادىء ضمن سياسه التطبيع ، فقلت له تقولون في العبرى (حيال على زمان) ، وانا اقولها لك ، اليوم هو الجمعه وغدا السبت واولادك ينتظرونك فلا تضيع وقتك لانك لن تستفيد استرح واذهب لاولادك اما من ناحيتي فبامكانك ان تتركني مقيدا كالاسبوع الماضي حتى لا استريح فتنهد وقال اذهب وسأراك ثانيه. فقلت لا تتعب نفسك غير اسلوبك ، ونادى على الشرطي ليدخلني الى الزنزانه غير مقيد ، في الاسبوع الثالث قلت طلباتهم سوى طلب من (...) قبل المحكمه بيوم واحد في اليوم السابع عشر ، ناداني الى غرفته وقال نحن نعرف انك لا تريد الاعتراف ، ونحن نحترمك وغدا سوف تذهب الى المحكمه ، لكنني احذرك اننا مخابرات ولن نتركك بعد الحكم بامكاننا ان نفتعل لك ايه قصه ونطردك الى الخارج ، فقلت اعرف كل هذا جيدا واعرف قانون تأمير وغيرها وارح نفسك ، فقال على خاطرك . الان سأرجعك الى الزنزانه لتنام ، وغدا ستذهب الى المحكمه وسيمدد لك ، وشاور المحامي فقلت لن اشاور احد ، واعادني الى الزنزانه لانام ، بعد المحكمه عدت الى الشبح حتى يوم الجمعه وقد تراخت كل محاولاتهم ولم يعودوا يسألوني حتى يوم

الاحد ليجددوا نشاطهم من جديد ويقولون ان لك مفاجأه ستجعلك تغير رأيك ، لا يهمني مفاجأتكم ، حتى المساء يأتي ويقول يسلم عليك فلان فقلت الله يسلمك خيرصايرين تشتغلوا بره الحدود مش مهم . اخذني الى العشاء واعادني الى الزنزانه ، هل تعرف فلان ، اعرفه جيدا فقد كنت معه في السجن وفي الجامعه ، وماذا تعرف عنذ عام ٨٥ ، لم اراه اين هو انتم ادرى انتم تقولون انكم جلبتموه من الخارج ، وهذا لايعنيني ، من كان مسؤول عن الثاني في السجن ، اسأل عملائك وارجع الى تقاريرهم فانا لست موظفا عندك ، جولتين محاولات اقناع باعتقال هذا الشخص حتى اروني صورته مع احد المحققين ، من هذا الشخص ، لا اعرفه ، هذا فلان ، هذا متغير كان زمان شاب ولم اعرفه انه لا يشبهه ، لقد حسبت انهم يريدون التعرف على الصوره بقيت حتى يوم الجمعه شبح وهويات ، وفي يوم الجمعه اقتادوني الى المسكوبيه ، وكان لذلك عده اهداف ١) لأتأثر من عمليه الاعتقال ٢) للتصنت على احاديثنا من خلال العملاء المشبوهين ٣) لعدم اراحتي في يوم الجمعه والسبت ، بقيت حتى يوم الاثنين ، مشبوحا في الساحه في البرد وان نصف عارى ، حتى يوم الاثنين ليعيدوني ال رام الله ، بعد ان فشلت محاولاتهم ، وفي يوم الاثنين بعد المحكمه الثانيه اعادوني الى غرفه التحقيق ليقولوا لي ان زوجتي عندهم ويروني ورقه توقيف لها مكتوبه بالعبرى تحتاج الى الامضاء فقط ، فقلت لهم بامكانكم ان تاخذوا ابني واذا لم يكتفوا فهناك اخوتي وكل ما تريدون فهذا ليس غريب عليكم ، ولكن ليس لدى ما اقول ، فقال (...) لديك الكثير انت مسؤول وعضو في لجنه ، وعندك قضايا عسكريه ، وبأمكانك فقط ان تفسر الامور دون ان تذكر اسما جديدا وتنقذ زوجتك ، لقد كانت الحله مكشوفه وساذجه ، فقلت لهم اعملوا ما تشاؤون ،فارادوا ان اتأكد من وجودها فسحبوني ، الى احد الغرف ليروني اياها من فتحه الباب ، وبعد ان رأيتها قلت لهم ، اجلبوا الباقي وليس لدى ما اقوله لكم ، خرج (...) ليبقى الولد (...) ليقنعني فوقع بكذبه واضحه ، فقد قال لي ان ابوه تفاخر عندما اعتقل عام ١٩٤٨ وقال كل شيء متفاخرا انا عملت كذا وقتلوه الانكليز وفي روايه سابقه قال ان عمره سبعه وعشرين سنه ، فقلت له انت ولدت بعد ما مات ابوك فتلعثم واعادني الى الشبح في الزنازين حتى اليوم الثاني ليدخلوني الى الغرف ، مكثت في زنزانه منفرده حتى اليوم السابع والثلاثين ، بعدها نقلوني عند احد الصراصير ليسمعوني نشره اخبار فاضيه عمن اعتقل ومن لم

يعتقل ، ولما فشلوا تماما اعادوني الى الشبح بعد ان قابلت المحامي والصليب ، ليأتوا في اليوم التاسع والثلاثين لاخذ افاده الانكار ، وهذا الموقف اخطأت فيه ، حيث كان يتوجب عدم اعطائي افاده بالمره حتى لو كان انكار ، لكن ادراكي ان التحقيق انتهى وانها النهايه جعلتني استهتر لاظهر عدم خشيتي من الحكم او المحكمه .

هذا ملخص جلسات التحقيق ارجوا ان اكون قد ضمنت فيها ما يفيد الحزب ، تقييمي ان اسلوب التحقيق اسوء من الاول واقسى ، لكننا نحن تغيرنا ، لان تربيتنا تغيرت وانتماؤنا تجذر كنا اقزاما وهم عمالقه ولان اصبحنا امامهم عمالقه وهم الاقزام .

تجربة رقم ٢

تجربة الرفيق عدنان منصور

بداية احب ان اتطرق للحالة التي كنتها قبل الاعتقال الاخير في ١٩٨٥/١٢/٢٣م لأنها تعتبر وبحق المقدمة التي صنعت التحدي وعدم البوح بأي كلمة للمخابرات الصهيونية . من البداهة ان تمر في ذهن كل مناضل في ظروف العمل السري تحديدا تساؤلات من نوع "في حالة اعتقالي من قبل المخابرات هل انا على استعداد للحفاظ على الحزب والرفاق وتضحياتهم ومعاناتهم ؟؟ هل انا مستعد للتضحية بالحياة من اجل سلامة الحزب والرفاق والقضية التي نناضل من اجلها ؟ اجبت على كل هذه التساؤلات بقناعة وثقة تامة بأنني سأحافظ على شرف الحزب والرفاقية وسأقول "لا" حتى لو كان فيها الشهادة . كنت مقتنعا بالقيمة النضالية العالية والمرموقة للشهادة ، وتحديدا في اقبية المخابرات دفاعا عن القضية والحزب والرفاق ، لأن معنى الشهادة - التي افهمها - المزيد من الصمود والتقدم لجميع منظماتنا الحزبية في الوطن المحتل وخارجه . سقوط اي شهيد لنا في الاقبية يعني زيادة فولذة منظماتنا الحزبية واستعصاء خرق درعها من قبل العدو . كنا ولا نزال بحاجة لفولذة درع منظماتنا اكثر فأكثر من اجل البقاء واستمرار الفعل النضالي والتجربة الاخيرة تؤكد هذه الحاجة . الموت واحد لجميع المناضلين ولكن الشهادة في اقبية المخابرات حيث يموت المناضل هناك عشرات المرات دفاعا عن قضيته وحزبه لهو شرف كبير للشيوعي ، شرف ان يموت اكثر من مرة دفاعا عن قضيته المقدسة اذن علينا خلق هذه القناعة - الشهادة دفاعا عن القضية والحزب - لدى جميع رفاقنا وخاصة الكادر الحزبي

تجربتنا الحزبية والنضالية داخل الوطن المحتل مريرة جدا وباهظة التكلفة في هذا المجال . كنا نقف بشكل متدني ومتخلف الى درجة الخطر ، كنا نسمح للعضو بتقديم الاعتراف للمخابرات بعد ٢٤ ساعة من اعتقاله دون ان نفكر بمصير ومستقبل المنظمة الحزبية ، وفي التطبيق العملي كان هذا المفهوم وراء تحطيم وشل عمل ونضالات منظماتنا الحزبية والعسكرية في الوطن المحتل حتى عام ١٩٧٦ ، وبعد ان قيم الحزب تجربته السابقة وازاح نهائيا مفهوم حق العضو بالاعتراف بعد ٢٤ ساعة والاستعاضة عنه بمفهوم حازم - الصمود بالتحقيق وعدم البوح بأي اعتراف للمخابرات مهما كان الثمن . واي اعتراف خيانه للحزب والرفاق يعرض مرتكبه للمحاسبة الصارمة " هذا المبدأ الجديد "بتجريم الاعتراف" انطلق من المأثرة البطوليه التي سجلها الرفيق الشهيد محمد الخواجا لدى المخابرات ، وهذا يعني انه لم يبني على فراغ ومثالية بل سبقه النموذج المشرف للاقتداء به وهذا ما حدث ، كما انه الاساس الذي مكن منظماتنا الحزبية من الصمود والحفاظ على ذاتها وتحقيق انجازات بارزه وملموسه ولهذا علينا المحافظة على وجودنا المنظم الثوري وتطويره وتصليبه ابدا لأنه اساس الحياة والفعل في الوطن المحتل .

انني كمناضل حزبي كنت اعي جيدا بأن منظماتنا الحزبية ونضالاتها ومستقبلها ليست ملكا شخصيا للمساومه عليه لدى المخابرات . تعلمت من الحزب ومن مآثر الرفاق البطولية في التحقيق بأن الاعتراف ومهما كان حجم هشاشته يصنف ضمن حدود الخيانة ، والخيانة لم ولن تكون طموحا للمناضل الشيوعي الفلسطيني .

هذه المفاهيم الجديده والجريئه اعتمدت عليها اثناء المواجهة الشرسه مع المخابرات ، كنت اقاتل واهاجم بطاقة الحزب واصراره على الانتصار ، كنت اعي تماما بأنه يتوقف على نتيجة مواجهتي للاعداء سلامه الحزب والرفاق وسعادة اسرهم ، وكذلك مستقبل ورقي التجربة ، اذكر انني تحدثت مع الرفاق قبل اعتقالي مؤكدا لهم بأنني لن ابوح بأي كلمة للمخابرات في حال اعتقالي حتى لو ادى ذلك للموت ، كما كنت اشدد امامهم بأنه من الجريمة ادخال اي رفيق للسجن وسأقبل الموت على البوح بأي كلمة قد تؤدي لاعتقال اي رفيق . كنت اسعى لنقل قناعتي لهم بضرورة تقبل مبدأ الشهادة تحت التعذيب للدفاع عن الحزب والرفاق ، الا يحق للمناضل افتداء نفسه بانجازات حزبه وعذابات وتضحيات رفاقه ؟ كثيرا ما كنت اتحدث بمضمون حديث احد الرفاق بأن المحقق لا يستطيع انتزاع اي

كلمة من المناضل عنوه الا اذا رغب المناضل طوعيا بالحديث اي ان التعذيب ومهما بلغت وحشيته لا يستطيع فتح فم المناضل للاعتراف ، طالما انه لا يريد ان يتكلم . ومتى كان على المناضلين الشيوعيين ان يقدموا اسرار حزبهم ونضالهم للعدوالطبقي والقومي ؟ في حديث للرفيق الحزبي مع احد الرفاق سأله كيف سيكون موقفك وماذا ستقول في حالة اعتقالك ؟ اجابه الرفيق سأقول كذا وكذا ، اي ان الرفيق اجاب بما يحمله في طياته استعدادا للاعتراف ان الخطر عندما يحاول المناضل اقناع النفس وهذا ليس من واجبه ، عليه فقط الرد باقتضاب شديد وباجابات مضمونها النفي القاطع ، "لا أعرف " وللمحقق ان يقتنع اولا يقتنع ، اما اذا وضع المناضل في ١ذهنه اقناع المحقق ، فهذا سيقوده لتقديم الاعتراف لا مجاله ، في الوقت الذي عليه دحر المحقق وهزيمة جهاز مخابراته وعدم السماح له بالتقدم اي خطوة للامام ، لانه تقدمه يعني ضرب منظماتنا الحزبية وسوق رفاقنا للمعتقلات وشطب دورهم النضالي . تأثرت جدا عندما سمعت من رفيق تفاصيل تفصيلية منظمتنا في الساحل في اقبية مخابرات غزه وتهجمات ضباطهم - وهذا ما سمعته شخصيا منهم اثناء التحقيق معي - حول تصفية منظمة ج في الساحل وتعهد احد ضباط المخابرات بتصفية ج في رام الله خلال ثلاثة اشهر وبأنه سيستقيل ان لم ينجح بذلك ، ليس اجمل من ان يتمنى الرفيق توجيه صفعة قاسية لغرور مخابرات غزه ردا على غطرسة هذا الجهاز المجرم . منذ تلك اللحظة تمنيت ان تتاح لي الفرصة للانتقام من مخابرات غزه وتوجيه لطمة قاسية لغرورهم ، وقد بقيت هذه الامنية بذهني - هدفا مقدسا طيلة فترة التحقيق . كنت مصمما على هزيمتهم وتصفية حسابنا القديم معهم . كلمات الرفيق (٠٠٠) بعد اعتقال الرفيق (٠٠٠٠) - بأنه مصمم على ايقاف تقدم الخابرات حتى الموت ، بمثل هذه العبارات المضيئة كنت امتدي دوما للاتجاه المطلوب ٠٠٠٠ والممارسة البطولية ٠٠٠٠ كانت الزاد والمحرك للانتصار على الفاشيست الصهاينه . قبل اعتقالي بثلاثة ايام سألني الرفيق (٠٠٠) كيف سنعلم في حال اعتقالك ؟ (وهذا بعد اعتقال (٠٠٠٠) وتفتيش بيت ٠٠٠) اجبته بثقة . عليك ان تكون مطمئنا حتى ولو لم يصلك اي خبر عن اعتقالي لاعنني لن ابوح بأي شيء . كنت اعي ما اقول وكنت اعي معنى الحفاظ على هذا الوعد . وكنت مهيئا لذلك بصورة فعلية .

الاعتقال - المخابرات الصهيونية لم تكن تعلم اي شيء عني حتى مكان اقامتي كان

مجهولا لها بدليل انها ذهبت لبلدنا ، (شويكه - طولكرم) لاعتقالي في يوم ١٢/٢٢ الساعة ١١ مساء ، وقد اعتقدت المخابرات بأن اعتراف (٠٠٠٠) عني جاء للتمويه على مسؤوله الحقيقي ولم تصدقه في البدايه ، اعتقلت في مساء الاثنين الساعه ٨،٥ مساء من يوم ٢٣ ١٢ ١٩٨٦م ، وهذا يدل على ضعف التنسيق ما بين المخابرات والحكم العسكري الذى لديه معلومات وافيه عن سكني ووضعي ، بعد ساعات قليله من الاعتقال نقلت الى جهه مجهوله ، واعتقدت في البدايه الى منطقه وادى عربه ، من اجل ابعادي للاردن ، كما وضعت احتمالا اخر بأن تكون وجهتي الى سجن مخابرات غزه ، وعندما وصلنا البنايه تعرفت على سجن غزه ، وللعلم قبل اعتقالي بيومين اتلفت بعض الاوراق والرسائل الخاصه ، واخفيت بعض الصور التذكاريه بعد ان علمت بمداهمه بيت (٠٠٠) وبيت (٠٠٠) رغم اني لم اتأكد من اعتقال (٠٠٠) الا من المخابرات ، عند دخولي سجن غزه وأثناء تغير الملابس والتسجيل تذكرت حديث الرفيق (٠٠٠) عن وحشيه وغرور جهاز مخابرات غزه ، وعن (٠٠٠) في الساحل الذى خيب امل الحزب به ولم يصمد كما كان مقدرا ، تذكرت امنيه حزبنا بضروره هزيمه جهاز مخابرات غزه من قبل مناضلي الجبهة لتعرفهم بحقيقه الجبهة ومناضليها كما هم في الواقع . رغم انني كنت مهيئا مسبقا لذلك ، حزمت امري مرة اخرى وقررت بأن واجبي الان هو "هزيمة المخابرات الصهيونية وتحديدا في منطقة غزه ومهما كان الثمن " كنت واثقا من انتصاري عليهم لأنني قررت ان اضحي بأغلى ما املك ، وبالتالي فلن يرهبني الموت او الجنود او المرض او العاهات .

- المواجهة الاولى مع المحققين الصهاينة في غزه قررت قبل الدخول الى اقبية التحقيق ان اعرفهم على نفسي بشكل حقيقي ليعلموا انهم امام مناضل شيوعي جبهوي لا يرهبهم لأنه يرهب الموت والتعذيب . رغبت ان اوضح لهم بأن ردودي الاولى عليهم ستكون ردودي الاخيرة مهما طال تحقيقهم . دخلت غرفة التحقيق في الساعة ٢ من صباح الثلاثاء ، وجدت امامي اثنين من المحققين المناوبين احدهم مجرم فظيع اسمه ابو ربيع والثاني رحماني ، سألني الاول اتعلم اين انت ؟ اجبت ، كلا . قال انت عند الرفاق (٠٠٠+٠٠٠) هل تعرفهم ؟ اجبت ، اعرفهم من السجن فقط . قال وغير ذلك ؟ قلت . لا شيء . قال اعترفوا عليك بكل شيء . فقلت : لا يوجد بيننا اي شيء . فاحضر ورقة مكتوبة واطلعني على طرفها واخفى الطرف الثاني . قرأت واذا هو اعتراف احد الرفاق (٠٠٠) عني . قال

المحقق والان ما رأيك ؟ هل بكذب عليك وهل (٠٠٠) كذاب وهل بينكم عداوة ؟ اجبته باختصار هذا الكلام غير صحيح ومختلف من اساسه وتفضل حقق كما تريد فلا يوجد عندي اي شيء ، ثار وعربد وشتم وبصق وأمرني بالجلوس على ركبتي قائلا "قمبز عند الطاولة " رفضت وطلبت منه ان يتحدث معي بشكل انساني . حاول اقناعي بالجلوس كما يريد ولكني اصررت على الرفض وتدخل المحقق الثاني ولكن عبثا ، وهنا فقدوا صبرهم واعصابهم ، وهجموا علي لأجباري على الجلوس . بعد اشتباك نجحوا بطرحي للأرض ، ولكن قبل ان يلتقطوا انفاسهم نهضت واقفا متحديا لهم ، احضر ابو ربيع انبوبة غاز مسيل للدموع وفتحها في وجهي لأجباري على الجلوس كما يريد . الا انني اصريت على موقفي ، هجموا علي مرة اخرى وضربوني بقسوة والقوني على الارض وسألوا ها انت الان مرميا على الارض ، والافضل لك ان تنفذ اوامرنا لأنها جزء من التحقيق ، ولكن قبل ان يكملوا حديثهم الاخير كنت واقفا منتصبا امامهم ، تركوني واقفا وذهب ابو ربيع للتلفون وتحدث مع شخص اخر قائلا بالعبرية "انه ليس ولد وهو قاسي " سررت جدا لهذا القييم الاول رغم انه بداية المعركة الطويلة والشرسة معهم ، الا انني كنت على ثقة بأن نتيجة الجولة الاولى معهم ستكون مؤشرا صادقا لنتائج بقية الجولات ، كنت سعيدا جدا لأنني اجبرتهم .... وهذا ما سيفقدهم المقدرة على التفكير الصائب ... حسب برنامج .... المخابرات مع المناضل التحقيق الهادىء وغسيل الدماغ لاقناعه بالاعتراف بصورة سلمية دون عنف ، اما ان يضطر المحقق لاستخدام العنف الجسدي منذ اللحظات الاولى للتحقيق وفقدانه لاعصابه فهو بداية فشله وبداية انتصار المناضل .

للمحقق برنامج ثابت يطرقه بصورة دائمه على المناضلين ، وفي حال عرقلة برنامج التحقيق فانه يتخبط ويفشل في تنفيذ برنامجه ، وهذا ما يسهل تحقيقه عندما نرفض اوامر المحقق او نوجه له اهانة شخصية او نرفض الاجابة على اسئلته ، سيخرج عن طوره وسيتحول كالثور الهائج الذي يقاتل بقوته البدنية وسيلغي تفكيره ، ومن هنا يتوجب على المناضل - الذي قرر عدم الاعتراف - ان يرفض اي امر للمحقق او يوجه له الاهانة ليحوله لثور هائج . ستعرض المناضل للضرب ، ولكن المناضل صاحب العزيمة الشيوعية لن يرهب الضرب لأنه قرر عدم البوح بأي شيء للعدو ، اضافة لذلك فالمناضل سيتعرض للضرب طالما انه لا يريد الاعتراف . جيد ان ينقل المناضل المعركة خارج ارضه وعلى

ارض المخابرات وهذه لن يخسره اي شيء ، والضرب مدرج ضمن البرنامج ولا مهرب فيه ، والتحقيق سيستمر مع المناضل ما بين شهر الى ثلاثة اشهر - على اقصى تقدير - وخلال هذه الفترة سيتعرض لجميع اشكال وصنوف الضرب والتعذيب سواء نفذ اوامرهم ام لا ، وفي حالة عدم تنفيذه لأوامرهم وتحديه لهم ، يدفعهم لليأس والتسليم بالفشل والاقرار بالهزيمة اكثر مما لو استجاب لأوامرهم ونفذ كافة تعليماتهم المهنية والاجرامية.

بعد ان تحدث المحقق ابو ربيع بالتلفون كف عن استخدام الضرب لاجباري على الجلوس كما يريد وطلب مني الجلوس على الكرسي ، وبعد ذلك استمر بالتحقيق الهادىء معي ، وشارك المحقق الثاني بالحديث وشيئا فشيئا تحولوا لعملية غسيل الدماغ (هجوم ايديولوجي وسياسي وثقافي على كل ما يحمله المناضل من قيم ومفاهيم ومبادىء وطنية ونضالية). وتهدف المخابرات من وراء هذا الهجوم المحموم فك ارتباط المناضل بقضيته وشعبه وضربه ورفاقه وخلق التناقض داخل المناضَل ما بين كل ما يخصه كانسان له حاجات وطموحات ذاتيه وما بين المجموع وما يمثله من قيم نضالية ووطنية شريفة ، الهدف اثارة العوامل الذاتية للمناضل على القيم والعوامل الجماعية وتغليبها عليها بما يصطلح عليه "غسيل الدماغ " والضمانة لافشال هذا الهجوم الشرس هو الوعي الذي يتسلح به المناضل وتطابق هذا الوعي مع الممارسة النضالية ، وقد تركز هجوم المحققين بالملموس على المسائل التالية : قوة جهاز المخابرات الاسرائيلية وتفوقها على فصائل الثورة الفلسطينية . قوة الكيان الصهيوني وانصاره على جميع الدول والجيوش العربيه مهاجمة المعسكر الاشتراكي وتحديدا الاتحاد السوفياتي والشيوعية ./ مهاجمة الشعب والثورة الفلسطينية وتسخيف الكفاح المسلح ضد كيانهم ، ولا امل للفلسطينيين بالانتصار على الكيان الصهيوني بالعنف وعليهم القبول بالسلام فقط . كنت اقاطعهم خلال حديثهم بعبارات قصيرة ولاذعة تفرغ مضمون وتأثير هجومهم المسموم ، ورغم مطالبتهم لي بالصمت وعدم الاجابه والمقاطعة الا انني لم امتثل لأوامرهم فكنت اقاطعهم في لحظات حساسه ، هذا ما كان يؤدي الى افراغ هجومهم . كنت اطرح لهم موقفي السياسي الوطني كفلسطيني عضو في (م.ت.ف) ، ورغم ذلك فلم يكن من الصعوبة عليهم استشفاف موقف الجبهة النضالي والسياسي عن موقفي الصلب امامهم بعدم الاعتراف . بعد ذلك عادوا لطرح اسئلة محددة عن القضية التي اعتقلت بسببها . نفيت اي علاقة لي باي من فصائل الثورة

او نشاطاتها بعد تحرري من الاسر وتحديدا الجبهة حيث لم يكن لي اي علاقة سابقة بها ، وقد حكمت سابقا بتهمة فتح / جيش تحرير فلسطيني ، واي كلمة غير هذا لا اساس لها من الصحة ، هذا مضمون المواجهة مع المخابرات طيلة فترة التحقيق . كنت مدعوما بقوة الحزب وصلابته النضالية ، ولهذا كنت مصمما على توجيه صفعة قوية لهم وهزيمة فاشيتهم المسعورة ، كنت مستعدا لتنفيذ ذلك بكل جوارحي لأنني ملتزم بعهد الوفاء (الغير مكتوب) للحزب والقضية والرفاق واسرهم . في نهاية هذه الجولة اعلمت المحققين باضرابي التام عن الطعام احتجاجا على الظلم والاتهامات الباطلة ، وكان ردهم (اضرب حتى الموت) ، بعد ذلك اخرجوني للمردوان (قرب ابواب غرف التحقيق) وبقيت مشبوحا حتى الصباح ، حتى دخول طاقم المخابرات في الثامنه صباحا واثناء عملية الشبح بقيت مقيدا بالأيدي من الخلف واقفا او جالسا (على البلاط البارد) امام الحائط والرأس مغطى بكيس سميك يصل حتى بداية الصدر ، وفي معظم الاوقات كانوا يدفعوني (٠٠٠٠) امام غرف التحقيق حيث التعذيب واصوات الرعب والاستغاثة والانين . وكان الجنود الحراس يضربون كل مناضل يلقي برأسه او يديه على الحائط او ينام واحيانا كانوا يصبون الماء البارد على صدره ان ضبط غافيا للحظة . ان تعذيب المناضل لا يقتصر على العنف الجسدي لانه كان طيلة فترة التحقيق حيث كان معظم طاقم مخابرات غزه بانتظاري وعلمت انه لجنة التحقيق التي ستحقق معي هم قيادة مخابرات غزه ، ابو سعيد ، ابو ربيع ، ابو فؤاد ، طاقم مجرم مسعور لا يعرف الانسانية ، سألني ابو السعيد مسؤول اجنة التحقيق المباشر (هل تعرف اين انت ؟؟ اجبت في مخابرات مسلخ ..) وعبر هذا التوضيح المختصر لهوية مخابرات غزه اراد ذلك المجرم ان يعرفني على هويته كجزار فاشي . بعد ذلك طلبا مني الجلوس على الكرسي وبدأ بتوجيه الاسئلة قدمت نفس الاجوبه السابقة (لا اعرف ، غير الصحيح ، كذب ، اختلاق)، عادوا لعملية غسيل الدماغ ، من اجاباتي ومقاطعاتي لهم يتقنوا بأن دماغي لا يقبل الغسيل ، ويستعصي عليهم حتى احد هؤلأ المحققين ، قال لي في وقت لاحق (بأن دماغك موسوعة تعرف كل شيء ولن تعترف الا بعد ان نكسر الفكرة الموجودة ، برأسك) . لم اكن بحاجه لشهادتهم لادرك حقيقة تفوقي الانساني والنضالي والايدولوجي على هؤلاء الوحوش المفترسة ، هذا التفوق مهما للانتصار عليهم ودحرهم ، وكيف اخافهم او اضعف امامهم وانا الذي تمنيت

مواجهتهم قبل الاعتقال ؟؟ . عادوا مرة اخرى لالقاء الاسئلة ، اجبتهم لا يوجد عندي اي شيء ولا داعي لأن تتعبوا انفسكم ، وكان في اعماقي طاقة معنوية هائلة للتحدي ولتلقين الوحش ابو السعيد درسا ، وبأن مسلخه سيفشل بأخذ اي كلمة مني حتى لو قطعوني . قلت في نفسي بأن معركتي الان ليست مع مسلخ مخابرات غزه فقط ، بل مع هذا المسلخ ، وهذا ما ضاعف قواي وزاد من تصميمي على السخرية منهم في ممارساتهم السادية ، وطيلة وجودي بينهم لم يكفوا عن ترديد قولهم المأثور "بأنه لم يسبق ان دخل احد الى اقبيتهم واحجم عن الاعتراف حتى لو كان بريئا ، كثيرا ما كانوا يرددون على سمعي عبارة "عليك ان تعترف بكل مانتهمك به - حتى لو كان كذبا - وسوف نبرئك ان اثبت لنا انك برىء . معلوماتنا الحالية بأنك لست بريئا "كنت اجيبهم بأنني برىء ولن اعترف في شيء وعذبوا حتى الموت . كنت ادرك بأن معركتي معهم لن تكون سهلة لوجود الادلة والاعتراف المباشر من احد الرفاق ، اضافة لوجود الطاقم المادي لجهاز المخابرات على رأس التحقيق . وبعد ان وجدت لجنة التحقيق بأن اسلوبها الهادىء نزع الاعتراف لم يجدي نهضوا عن مكاتبهم طلب ابو السعيد ان اجلس على ركبتي الا انني لم امتثل لطلبه وهنا انهالوا علي بالضرب والقوني ارضا وكانت يداي مقيدة تحت ظهري ، جلس ابو ربيع على رجلي وابو السعيد على صدري واخذوا بالضرب على الاماكن الحساسة في جسمي وتحديدا الرقبة / الحنجرة / الانف / الرأس / الخواصر / الاعضاء التناسلية . اثناء الضرب كانوا يصرخون بصورة مسعورة : من مسؤولك ؟؟ بعد ذلك احضروا كيسين احدهما ناشف وبللوا الثاني بالماء ، لفوهما على رقبتي وبعد دقيقة سأل ابو السعيد (والدي كان يمسك نهاية الكيس السفلي بيديه) هل ستعترف ؟؟ وقبل ان انهي اجابتي الرافضة كان قد ضغط نهاية الاكياس على رقبتي ليمنع دخول الهواء لتنفسي ، وعاد بالضرب على حنجرتي وخواصري ومعدتي بصورة هستيرية قائلا : ستعترف هذا اليوم او غدا ، ابو ربيع عاد للضرب على الاعضاء التناسلية ايضا ، كدت اختنق وبدأت اصرخ واضرب رجلي بالارض واقاوم ، وبعد ان اوشكت على الاختناق ، فتح طرف الكيس من الاسفل وتنفست للحظات ، وهنا كرر ابو السعيد السؤال :- هل ستعترف ؟؟ وعندما سمع الاجابة اسرع بشد الاكياس وعادوا للضرب . تكررت عملية الخنق هذه ست مرات متتالية مصحوبة بالضرب المبرح ، وبعد ان وجد عدم جدوى هذا الاسلوب اوقف العملية ، كنت

في حالة شديدة الارهاق وعيوني تكاد تخرج من مكانها ، واتنفس بصعوبة بسبب الغاز ولكن بدأت اعود لحالتي الطبيعية ، طلبوا مني ان ارى نفسي بالمرآة لارحم نفسي - حسب رأيهم - بعد ذلك ارسلوني للحمام البارد . في جميع ايام التحقيق كانوا يجلسني تحت الحمام مرات عديدة في اليوم الواحد ، ليلا ونهارا واحيانا مرة الى عشرة مرات في اليوم ، وكل مرة تتروح ما بين خمسة دقائق الى نصف ساعة . احيانا لم يكتفوا بماسورة الدش وكانوا يفتحوا علي ماسورة الحنفية الموصلة بالبربيش ، وبعد الحمام كانوا يدفعوني عاريا مقيدا باستثناء كيس القماش على رأسي المكان الذي كانوا يدفعوني فيه يتعرض لتيار هواء بارد اضافة لتشغيل مروحة لاجف بسرعة ، وبعد ان اجف يدخلوني لغرفة المحقق بجانب الدفاية ، يباشر المحقق بطرح اسئلته ليسمع نفس الاجابات السابقة ، يصرخ بعصبية مناديا الحارس ليعيدني تحت الحمام وتتكرر العملية . من شبابيك الحمام والغرف كنت اسمع صوت زخات المطر واحيانا البرد . الطقس كان باردا في تلك الايام . خلال يومين الى ثلاثة ايام تركز تعذيبهم المباشر على الحمامات الباردة والتجفيف المستمر ، وبعد ان ينتهي الدوام تخف الحمامات ويبدأ الشبح بماسورة دورة المياه طيلة الليل كنت مشبوحا لا اسطيع ان اجلس او اتحرك والكيس بالرأس غاليا ما كان الحارس يأتي في الليل ليصب الماء في ظهري او يوجه لي لطمة او ركلة على الاماكن الحساسة وبصورة مفاجئة ، كانوا يطلبون في ساعات النهار الاولى للمحقق المناوب ، حيث كان الاخير يفتح نقاشا شاملا معي ويبدأ لطيفا وينتهي بالتحقيق معي في ساعات الصباح الاولى من كل يوم جديد ، وكتابة تقرير خطي كل ساعة عن حالتي النفسية وطبيعة ردودي على المحقق وكيفية تقبلي للأوامر ، هذا في الاسبوعين الاولين ، وبعد ذلك توقفوا عن كتابة التقارير الخطية ، وبعد ان ينتهي تحقيق الضابط المناوب كان يرسلني للحمام البارد مرة او مرتين حسب مزاجه ، بعد ذلك يتسلمنا الحراس المناوبين والذين ينفذون اوامر محدده من المخابرات . اما ضرب او صب ماء بارد على المناضلين او تعذيب رياضي . نادرا ما كان الحارس يسمح لنا بقضاء الحاجة مباشرة ، لان حرمان المناضل من قضاء حاجته جزء من التعذيب ، احيانا تمنع طيلة النهار ، واحيانا ساعات واحيانا يسمحون ولكنها حالات شاذة ، كنا ممنوعين من استخدام الصابون بعد الدخول لدورة المياه وبعد الاكل ، ولكن كانوا يلزموننا باستخدام الصابون تحت الحمام البارد

لاطالة فترة التعذيب تحت المياه الباردة ، النوم ممنوع اطلاقا باستثناء يوم عطلة المخابرات ليوم ونصف وهذه ليست مضمونه فاحيانا كانت تلغي عطلة ضباط المخابرات ويستمر التعذيب خلال الجمعة والسبت . بخصوص عملية التعذيب بالاكياس (الخنق) قاسية ومؤلمة فعلا وكثيرا من المناضلين انتزعت اعترافاتهم بهذه الوسيلة رغم تحملهم الكثير من التعذيب والالم ، حيث ان هذه الوسيلة من اكثر وسائل التعذيب الصهيونية وحشية لانها تضع المناضل وجها لوجه امام الموت . ولا ابالغ ان قلت بأنني رأيت الموت امامي اكثر من ٤٥ مرة ، ولمقاومة هذه الوسيلة بنجاح هناك عاملين ١) الاولى : التصميم على دحر المخابرات ومهما كان الثمن ٢) الثاني : كيفية التعامل مع وسيلة التعذيب هذه للتقليل من قسوتها وخطرها ، ومع الانتباه بأن العامل الاول هو الاساس ، وحتى انه بالامكان الاستغناء عن الثاني ، وهذه بعض الايضاحات المساعدة : أ) الانسان بالعادة (السباح والغواص) لا يحتمل اكثر من دقيقة ونصف تقريبا انحباس الهواء الضروري لتنفسه والا فانه سيموت لا محالة . فالغواص غير المرود باسطوانة اكسجين) يحبس يفسه تحت الماء لدقيقة ونصف غالبا وبعد ذلك يرتفع لسطح الماء ليتنفس الهواء ومن ثم يغوص ثانية ، وخلال فترة وجوده تحت الماء فانه يحبس انفاسه وتتوقف عملية الشهيق والزفير. ب) على المناضل ان يسحب نفسا عميقا - قبل لحظة اغلاق الاكياس على رقبته من قبل المحقق - وان يحافظ على بقاء هذا النفس من الهواء في رئتيه حتى لا يخطر لاستنشاق الغاز او ثاني اكسيد الكربون الموجود بالاكياس . ج)المحقق ل يستطيع اغلاق الاكياس على رأس المناضل اكثر من دقيقة او دقيقة ونصف - حسب قوة الحالة الموجودة بين يديه - وبعد ذلك يخطر المحقق لفتح الاكياس حتى لا يموت المناضل . واضح ان المحقق لا يريد قتل المناضل ولو كانت هذه غاية لقتله بطريقة اسهل . د) سيكرر المحقق هذه الوسيلة ما بين ٦ - ٧ مرات وان صمد المناضل فسيلغيها نهائيا . ومن الممكن ان يعود لها مرة ومرات على امل الحصول على شيء بعد ان تضعف صحة المناضل ، وقد استخدمت معي هذه الطريقة حوالي ٤٥ مرة في فترات طيلة ايام التحقيق . وللعلم فانني لم اكن على علم ودراية باسلوب مقاومة هذه الوسيلة - لم اعرفه الا بعد ان انتهى التحقيق معي .

لقد تزامن الاضراب الطوعي عن الطعام ، مع عدم السماح بقضاء الحاجة وقت الضرورة ، يضاف لكل ذلك اللطم والركل والبصق بالوجه دون اي سبب الا سبب الحقد لعدم تقديم

الاعتراف ، بعض المحققين دأبوا على التودد لي ممثلين دور الاصدقاء الناصحين وكانوا يكثرون من ترديد عبارة - مافيش فايده من الانكار وستضطر للاعتراف رغم انفك عندما تبدأ بالهلوسة بسبب الحرمان من النوم وانه لم يسبق ان دخل احد لمخابرات غزة وخرج بدون اعتراف ، وعبارات كثيرة اخرى تصب بنفس الاتجاه وهو الدفع للاعتراف في اليوم الثالث توقفت عن رفض اوامر المخابرات بالجلوس على الركب ، حيث بقولهم ان الضرب الذي اتعرض له بسبب رفضي الاستجابة لمتطلبات التحقيق ، وهنا قررت انهاء موقفي برفض اوامرهم بالجلوس على الركب ، الضرب استمر بعد ذلك ، وقد ندمت على هذا التراجع ، وقد عدت للرفض (للجلوس) فيما بعد بشكل جزئي . وكان علي عدم التراجع عن الموقف لان ذلك اعطاهم الامل بكسر موقفي ونزع الاعتراف مني في وحشية ، من المهم للمناضل ان يتمسك بأي موقف له امام المخابرات ، وان لا يتراجع عنه طالما بدأ بتنفيذه ، لان تراجعه سيشدد من هجومهم عليه ، كما على المناضل ان يبتكر شيئا جديدا لمقاومة المحققين وان لا يتوقف على شيء واحد لأن ذلك يشكل ارباكا لهم مثلا الاضراب عن الطعام (وهذا فقط للكوادر - المتقدمة من ذوي الارادة القوية بالتحقيق) رفض الامتثال للأوامر من جلوس ، وقوف ، نزع الملابس ، دخول الحمام ، المجيء لغرفة التحقيق ... الخ يوم الخميس ١٢/٢٦ طلبت للقاضي العسكري من اجل التوقيف ، رأيت هناك المحامية ليئا تسيمل وممثل الشرطة الذي طرح الاتهام لي وقال بأنهم لم ينتهوا من التحقيق معي لغاية الان . وفي النهاية طلب توقيفي ل ١٨ يوما . المحامية رفضت ذلك وطالبت بطلاق سراحي بكالة لعدم وجود ادلة واعتراف لي . تحدثت للقاضي عن التعذيب الذي اتعرض له وتصميم المخابرات على نزع اعترافات كاذبة مني وشعوري بنية المخابرات لاغتيالي ان لم اعترف لهم بما يريدون ، وطلبت منه تسجيل ذلك في محاضر المحكمة حتى لا تدعي المخابرات انني انتحرت وضربت رأسي بالحائط، وفي نهاية الجلسة وافق القاضي على توقيفي لمدة ١٨ يوما . بعد ان عدت لاقبية المخابرات تعرضت للضرب الوحشي بسبب ما قلته للمحكمة ليثبتوا لي انهم فوق اية سلطة وبأن القاضي والمحامية والصليب الاحمر لن يساعدوني بشيء ولا مفر الا الاعتراف ، نفي ظهر يوم الجمعة ١٢/٢٧ بدأت عطلة المخابرات وانزلوا جميع المعتقلين من مقر المخابرات في الطابق العلوي للزنازين الملحقه بالمخابرات في الطابق السفلي ، وقد بقيت لساعات المساء وبعد ذلك انزلوني لزنزانة

انفرادية وجدت فيها عدة بطانيات قذرة وسرعان ما كنت نائما ، نمت ليلتين في هذه الزنزانة وفي صباح يوم الاحد ١٢/٢٩ كنت اول المطلوبين للمخابرات في الطابق العلوي للتحقيق .

بداية الاسبوع الثاني بالتحقيق

دخلت غرفة التحقيق مباشرة وجدت معظم طاقم جهاز مخابرات غزه حوالي ١٢ محقق . بدأ ابو السعيد وابو ربيع الحديث الناعم للفسيل وشاركهم البقية وبعد ان انتهت محاضرتهم السخيفة ، بدأت اسئلة التحقيق ، احيانا كنت اجيب باقتضاب واحيانا لا اجيب . وبعد ان يصلوا لتقدير حالتي النفسية يخرجوني من الغرفة ليتشاوروا حول كيفية واسلوب متابعة التحقيق ولتوزيع الادوار ، وتقريبا كنت اعرض على طاقم المخابرات الموسر كل ثلاثة او اربعة ايام لاختيار الاسلوب الانجع لكسر ارادتي ، وهذا يعكس الجماعية بالتحقيق من قبل الصهاينة ، اخرجوني من الغرفة لفترة قصيرة وبعد ان دخلت وجدت امامي دكتور وممرض ومعهم ابو السعيد . نظر الي الدكتور باستغراب وسأل ابو السعيد بالعبرية . من هذا ؟؟ اجابه الاخير بالعبرية ايضا . نعم ، هذا اسد . بدأ الدكتور باجراء فحوصات لي بسبب دخولي اليوم السادس بالاضراب عن الطعام ، مثل النبض والضغط والوزن والحرارة . ابلغي الدكتور بانهم لن يقدموا لي اي تغذية الا بعد ان تتعرض حياتي للخطر ، بعد ان انتهي مسألة ابو السعيد ، هل نستطيع مواصلة التحقيق معه ؟ اجابه الاخير ، نعم وهو اقوى مني .. خرج الدكتور ودخل ابو ربيع وابو فؤاد (وهذه مؤشرات لجولة ساخنة) ، سأل ابو ربيع ماذا تقول ان احضرنا امامك وقال بأنه قابلك في رام الله وأخذ منك نقود وكلفته باستلام قنابل من (....) بأنك مسؤوله المباشر ؟؟ اجبته بأن هذا الكلام مختلف وقاله تحت التعذيب ولا مانع عندي من احضاره ، قال بشرط ان تعترف عندما تسمعه اجبت . لا يمكن ان اعترف بشيء لم يحدث . سأل ابو السعيد :- هل اديك الاستعداد لمواجهة الة الكذب والصدق ؟ اجبت نعم . قال . هل

ستعترفف ان ثبتت الالة انك كذاب ؟؟ اجبت : انا اصدق من الالة وبالتالي لا يوجد ما اعترف به ، وهنا استثير ابو السعيد ومن معه وانهالوا علي بالضرب . احيانا سونجات على الرقبة والخواصر والحنجرة واحيانا لكمات بالمعدة ،وعلى الاعضاء التناسلية بالايدي والارجل ، واحيانا صفعات وضرب بالشبشب على الرأس ، القوني ارضا واحضروا عدة الخنق (الاكياس) وبعد ان فشلوا بأخذ اي كلمة ارسلوني للماء البارد في الحمام وبعد ذلك للشبح ومن ثم للتحقيق ، في بداية عملية التعذيب كنت احس بالالم الشديد ، ولكن سرعان ما يخف هذا الشعور عندما اتذكر الرفاق والحزب والقضية العادلة التي نناضل من اجلها . التفكير بالاعتراف كان بعيدا عني لانني ادرك سلفا حجم الالم التمزق في اعماقي ان ارتكبت جرم الوشاية على الرفاق ، وسيكون الم الوشاية علي اقسى من الموت ، واقسى من كل تعذيب المخابرات الصهيونية كلمات المناضل الشيوعيا لتشيكوسلوفاكي يوليوس فوتشيك كانت دائما امام مخيلتي وفي ذهني طيلة ايام التعذيب "الجبان هو الذي يشي ويخون ، اما المناضل الشيوعي فيتحدث ويقول "لا" بهذه العبارة الرائعة التي - اثبتت مصداقيتها امام النازية - كنت على استعداد لمقاتلة جيش من المخابرات . بعد ذلك بأيام تراجعت المخابرات عن شروطها واحضرت (٠٠٠) الذي تحدث على سمعي ، ولكنه دون ان اراه ، وبعد ان انتهى سألني ابو ربيع ما رأيك ؟ قلت ، كلام كذب ولا يوجد له اي اساس . سأل . ماالذي سمعته ؟؟ اعدت بعض افقرات باختصار شديد ، وعندما وصلت الى (٠٠٠٠) ٠٠٠٠ استوقفني ابو ربيع قائلا : (٠٠٠) لم يذكر سوى اسم (٠٠٠٠) فمن اين علمت باسم عائلته ؟ قلت ٩ سنوات معه ، وكما هو واضح حاول ابو ربيع ان يستغفلني عندما طلب مني اعادة حديث (٠٠٠) على امل ان ازيد كلمة جديدة ، عن التي يبحثون عنها . ومن هنا يتوجب الانتباه لهذا الكمين اثناء التحقيق وعدم التوسع باعادة الحديث المسموع ، استمر التحقيق في الايام الثلاثة التالية على نفس الوتيرة من الضرب الشبح والماء البارد والخنق وحرمان النوم ، في نهاية هذا الاسبوع خففوا من استخدام الحمام البارد بعد ان خفت موجة البرد قليلا ، واستخدمت وسيلة تعذيب جديدة ، كانوا يدفعوني مقيدا بالايدي والارجل في وسط بيت درج المخابرات والكيس على رأسي وبصورة مفاجئة ينهال علي بالضرب من عدة اتجاهات ومن اكثر من شخص . الضرب ... المعتدل على نقطة محددة في اعلى الرأس بعصا خشبية ذات رأس بلاستيكي بشكل كرة

بلاستيكية صلبة - الضرب يشتد بصورة تدريجية ويتركز على اكثر منطقة يتألم منها المناضل . عملية الضرب هذه تستغرق حوالي نصف ساعة او اكثر قليلا ، وقد استخدمت معي هذه الوسيلة ثلاث مرات . المرة الاخيرة كان الضرب شديدا على قمة الرأس وهذا ما ترك بصمة كبيرة على رأسي لأكثر من شهرين بعد انتهاء التحقيق وقد كانت تلك البصمة ملتهبة ومتقيحة . اكثر من مرة طلبت لبعض المحققين - من خارج لجنة التحقيق الرسمية مثل ابو الوليد ابو علاء ، ابو عبد ، ابو رشدي وابو مجدي ، وهؤلاء كانوا الطاقم المساعد . كثيرا ما كانوا يستدعوني للنقاش السياسي ومن ثم ينتهي بالتحقيق لاقناعي - "بلطف" للاعتراف . احدهم الملقب ابو مجدي كان متخصصا بالقاء الامثال العربية الاحباطية للتأثير على حالتي النفسية ، البقية كانوا يمثلون دور الاصدقاء وحاولوا ايجاد نوع من المودة معي ، مثلا كانوا يدعونني لتناول الطعام معهم وكنت ارفض معلنا اضرابي عن الطعام ، وبعد ان انهيت الاضراب كانوا يلحون علي لمشاركتهم الطعام والشاي والتدخين ، كنت اسألهم هل هذا الطعام يقدم للاسرى هنا ؟؟ وكانوا يجيبونني بالنفي . اسأل لماذا تقدمون لي اذن ؟؟ احدهم قال مشاركة انسانية ؟؟ رفضت ذلك وقلت لهم انا لست بصديق لك لتدعوني لطعامك ، اما المشاركة الانسانية التي تدعونها فقد ادمتني وعذبتني وعلاماتها علي .

انتهى الاسبوع الثاني من التحقيق ، وقد اخذ طاقم المخابرات اجازة في ذلك الاسبوع وانزلوا جميع المعتقلين في مساء يوم الجمعة الى الطابق من زنازين المخابرات وكالعادة طلبت في البداية ادخلوني الى غرفة حيث يتواجد كل من ابو السعيد وابو ربيع ، وبعد حديث قصير اخذوني للمردوان وأوقفوني مقيد اليدين امام الحائط لعدة ساعات ومن ثم محاولة تحقيق جديدة ساخنة (ضرب وخنق وحمام بارد) انتهت الجولة بلى فائدة لهم . كان هذا اليوم بداية الاسبوع الثالث من التحقيق . في هذا الاسبوع انهيت الاضراب عن الطعام وبقيت لمدة يومين ممتنع عن اي طعام عادي باستثناء كوب حليب يوميا ، رغم الاضراب الطويل عن الطعام الاانني حافظت على تماسكي وبقيت اتحرك واصعد وانزل الدرج والذهاب لدورات المياه في اطابق السفلي ، كما لم افقد وعي بتاتا كل فترة التحقيق السابقة . في منتصف هذا الاسبوع استدعيت للقاضي بحضور ممثل الشرطة والمحامية بعد ان اوشكت فترة توقيفي الاولى ١٨ يوما على الانتهاء ، ممثل الشرطة عرض امام

المحكمة الاتهامات لي وهي قائمة طويلة ، وفي نهاية مرافعته طلب تمديد التوقيف لاستكمال التحقيق معي بسبب عدم اعترافي ، اما المحامية فاصرت على اطلاق سراحي بالكفالة لعدم وجود اعتراف يبرر اعتقالي ، وفي النهاية مدد القاضي اعتقالي لمدة ٢٥ يوما جديدا من استكمال التحقيق .

وصلت جناح التحقيق ادخلني مباشرة لغرفة المحققين ابو السعيد وسألوني ما الذي قلته للقاضي ؟ سردت لهم ما ذكرته للقاضي عن اوائل التعذيب التي استخدمت معي . سأل ابو السعيد بماذا عمل لك المحامي . الم يمدد توقيفك بناء على رغبة المخابرات ؟ الان لم يوجد لك اي شيء سوى الاعتراف والا ستصاب بالجنون مثل عبدالله عياش وبتعذيبك وحرمانك من النوم الى ان تتحدث . واجبته باختصار : لن اعترف بشيء عني وعن الاشخاص الذين سمعت اسماءهم من المحقق معتقلين في مردوان المخابرات ، وكنت اسمع احاديثهم وردودهم على اسئله او على المحققين . في هذه المرحله تخيلت اعتقال بعض اقاربي معهم ، وتخيلت ردودهم على المحققين ، رغم ان بعضها سلبي لم تنجح بزحزحة موقفي بأي كلمة جديدة ، كما سمعت بكاء وصراخ بأنه من اقاربي بسبب تعذيب المخابرات له . واثرت الاصوات علي ، ولكنها لو تصل الى درجة تجبرني على النطق بأي كلمة مما تريده المخابرات ، وكانت ولا تزال جميع جميع ابناء شعبنا ، ومن جميع الاجيال ، معرضين الى تعذيب واضطهاد المخابرات لقهر صمودهم وتحطيم ارادتهم فهذا قدرنا جميعا ويجب علينا ان نناضل بمبدأ العمل على تغييره الى واقع انساني افضل ، لم اسمح لأي صرخة الم ان تتسلل الى داخلي متوسلة من اجل وقف التعذيب عن صاحب او قريب او زميل ، فحتى لتلك الصرخات من الالم ، وقدمت اي معلومات للعدو فهذا لن يذيب لا عنهم ولا عني بل سيزيد من التعذيب من اجل المزيد الذي تفترض المخابرات وجوده لدى المناضلين .

من النادر ان لا يتعرض بعض المعتقلين الذين قدموا اعترافاتهم لضعف مضاعف بالنسبة لغيرهم من المناضلين الذين لم ينطقوا والمعادلة بسيطة ، الاول الذي قدم اعترافا تفترض المخابرات وجود معلومات اضافية لم يقدمها لهم . كما تفترض بأن امكانية انتزاعها ممكنة من العنف كما انتزعت الاعتراف الاولي ، اما المناضل الثاني فقد تكف عن توجيه الضغط وتوقف التحقيق بعد ان تقتنع بأن كل العنف الصهيوني الأسود لن

ينجح بانتزاع اي كلمة من هذا المناضل .

هذه الفترة كنت اتعرض لحالات هلوسة باستمرار وفي معظم الايام من التحقيق ، فمثلا في بداية الاسبوع الرابع سيطرت على تفكيري رغبة دفعتني الى الحديث بصوت عال داخل مردوان المخابرات مع احدهم عندما تصورتهم مضربين على الطعام مع مجموعة من المناضلين احتجاجا على المعاملة الوحشية للمخابرات الصهيونية ، وعندما علمت ان المخابرات قد كسرت اضراب بعضهم ، اخذت اغني لهم اغاني بصوت عال لرفع معنوياتهم وهذا ما اغاظ المخابرات ، واعتبروا والغناء بمثابة تمرد استدعت الشرطة العسكرية للغرفة وقد حملوا المسؤولية لعدد من المناضلين وحكموا بعقوبات مختلفه من ضمنها الاعتذار عن الغناء والحديث ، وقد سمعت اسم (٠٠٠) عندما قرأ له الجندي صيغة الاعتذار ليردد خلفه ، ولكن الصوت الذي سمعته خافت وبعيد ولا يدل على صوت (٠٠٠) ، وهنا صرخت عليه . هل صحيح يا (٠٠٠) انك اعتذرت لهم ؟ بعد ان تتحسن حالتك ، لأن المحكمة لا تقبل محاكمة مجانين .. وهذا ما يؤكد وجود تحرك واع وهادف من المخابرات للسيطرة على حالتي النفسية ودفعي للاعتراف بكل الطرق والحيل ، وطريقة اقناعي بأنني على وشك الجنون ان لم اسرع بالاعتراف لانقاذ نفسي هي احدى الوسائل التي اتبعت معي ولكنها فشلت . احيانا كنت اتخيل انني منقول مع (٠٠٠) الى سجن جنيد ، وهناك تعرضنا لعملية ضرب وحشية من محققي الشرطة من اجل نزع اعتراف مني ، وقد ذكرت هذه الواقعة للمحقق في اليوم الثاني ، رد علي - بأنك مجنون - لأنك لم تخرج من هنا وارسل يطلب (٠٠٠) اجلسه بجانبي ، سأله عما قلته له ، هل صحيح كنت يا (٠٠٠) مع (٠٠٠) في سجن جنيد وضربتم هناك بوحشية ؟؟ نفى (٠٠٠) ذلك ، وطلب مني المحقق ان اردد القصة مباشرة (٠٠٠) لأتأكد من جنوني وعندما ذكرت الهلوسة (٠٠٠) نفس وقوعها ، وقال بأنك تتخيل هذه الاحداث من التعب ، وبالنسبة لي كنت اعي حالتي (الهلوسة) التي امر بها ، وكنت اعي ايضا اسبابها ، وهي انعدام النوم لفترة طويلة ، ولا علاقة لها بالجنون ، وبالتالي لم اتقبل استنتاجات المحقق الصهيوني ... (عن حالتي) الخروج عن طوري واتزاني وتعاملت معها باستخفاف وسخرية ، وحتى لو لم اذكر تلك الهلوسات للمحقق (اثناء فترة التحقيق) . فهو على علم بها ومتابعا لها لأنه المتحكم بها . من خلال حرمانه من النوم وتوجيه حالتي من الهلوسة الوجهة التي يريدها

، ولكنها لا ولن تصل لاجبار المناضل الذي يعيش حالة الهلوسة الى البوح بأي معلومة سرية لا يريد البوح بها في حالته الطبيعية ، ولكن المحقق بذل كل طاقته للاستفادة من الوضع المرهق جسديا نفسيا الذي يعيشة المناضل من اجل دفعة للاعتراف باعتباره الخلاص الوحيد امامه من حالة التعذيب والارهاق التي يعيشها ..... كما اتذكر الان بعض حالات الهلوسة الكثيرة التي حدثت لي اثناء التحقيق ، حيث كنت اسمع صراخ (...) واحيانا (...) وهم يتعرضون للضرب من المحققين في الساحة الخلفية لغرف التحقيق ، كنت اسمع ضباط المخابرات يقولون لهم بأن (...) سيكون في المحكمة غدا بسبب عدم اعترافه . ولرفضكم تقديم المعلومات المطلوبة عنه ، كنت اسمع انين صادر عن (...) يقطع الاوصال وبعد ساعة يأتي المحقق ابو ربيع او ابو فؤاد ليقول لي ستكون السبب بقتل (...) من التعذيب وان كنت تريده حيا ، ولأن كانت لديك شفقة او انسانية عليك ان تعترف لنوقف التعذيب عنه وعن (...) كاماتهم الخادعة هذه كانت تجد لها بعض الصدى في تفكيري ، لأنني اعلم حجم اعترافاتهم ، وبالتالي كانت تمر في ذهني لحظات افكر فيها بكيفية وقف التعذيب عن (...) ولكن دون ان اعترف انا بشيء ولكن كل ما حاولته كان بعيدا عن التفكير بتقديم اي معلومه عما يريده الممحققين ، وفي النهاية كنت احسم موقفي بأن على (...) ان يتحملوا ، وان لم يتحملوا فسيكونوا معرضين للمحاسبة عن كل كلمة قد يزودوها للمخابرات ، اي ان المهم ان اصمد، وليس مطلوبا مني ان انكر عنهم او اعترف عن نفسي لانقاذهم . في وقت لاحق لجأت المخابرات لأسلوب تعذيب نفسي اكثر تطورا اثناء حالة الهلوسة التي كانت مسيطرة علي ، حيث اوهمتني بأن عملية تبديل اسرى جديدة على وشك الحصول وسيتم اطلاق سراح (.....+.....) لأنهم قدموا اعترافاتهم خطيا . وان كنت تريد الخروج من السجن عليك ان تسرع بالاعتراف وسيطلق سراحك بعد شهرين للخارج ، وعندما لم تنجح هذه الخدعة ، وجهت المخابرات هلوساتي بشكل مدروس الى مسرحية خطيرة ، حيث اوهمني بأن الرفيق الذي اعترف علي قد سحب اعترافه والصقه برفيق في عمان ،

عرض على الة الكذب والصدق وعندما عرضوني على نفس الالة اشارت الالة انني صادق ، وبعد ساعة اخذت اسمع همسات الجنود القريبين مني بأنه سيطلق سراحي غدا ، وفي الصباح سمعت نشرة اخبار باللغة العبرية بأنه تم عرض مجموعة من المعتقلين على الة

كشف الكذب ورتحت لهذا الخبر وبقيت انتظر لحظة اطلاق سراحي ولكن دون فائدة ، ولاحقا علمت من المحقق بأن عملية تبادل اسرى جديدة ستتم خلال ايام ، وسيتم اطلاق سراحك لخارج ، بدأت الان المسرحية الكبيرة ، كنت اسمع اصوات وصخب عالي لكثير من المعتقلين الذين يفترض ان يكونوا جزء من عملية التبديل ، كما كنت اتخيل وجود الحلاقين والخياطيين لتجهيز ملابس الاسرى وحلاقة رءوسهم استعدادا لاطلاق سراحهم ، وسمعت بأن نقطة الانطلاق ستكون من ميناء حيفا وستنقلهم السفن الى تونس ، ويوميا كانت سيارات الشحن تنقل العشرات من الاسرى الى ميناء حيفا ، طبعا بعد ان يتعرضوا لتعذيب فظيع ، وعندما يصلني الدور لركوب السيارة الى - حيفا ضابط المخابرات بعد ان يتحدث مع الضابط المسؤول عن القافلة التي ستنقلنا الى حيفا ، وكان يتهامس معه بصوت مسموع ان هذا لم يعترف ، اتركه لنا حتى الصباح لننهي تحقيقة ، وبعدما .... يوافق الضابط الثاني الى ابقائي في غزة لاستكمال التحقيق . بعد ذلك يدخلني الى غرفة التحقيق ويطالبوني بالاعتراف ، وبعد الرفض يعيدوني للخارج ليكملوا مسرحية التعذيب النفسي . كنت اسمعهم وهم يحضرون الالة الخاصة بتغطيس الاشخاص الذين ينتظرون السفر (التبديل) في حفرة المجارى ذات الرائحة الكريهة - وكانوا يضعون كل مناضل منهم داخل صندوق مغلق لفترة لا تقل عن ربع ساعة في حفرة المجاري، الى ان يقترب من الاختناق ويبدأ بالصراخ والضرب على الصندوق من اجل اخراجه ، ورغم ذلك لم يكونوا يستجيبون ، كل هذه المشاهد الوهمية المسرحية كنت اشاهدها لأعرف جيدا ما ينتظروني ، ولكن عندما يصل دوري يعيدوني لكردور المخابرات بحجة انتهاء الوقت المحدد لتنظيف السجناء الذيب سطلق سراحهم وسنكمل الحمامات غدا ، هكذا كانوا يختتمون تلك الفصول المرعبة من المسرحية ، وفي الغد تبدا فصول جديدة من التعذيب النفسي ، مثل الحمام بمياه اسنه ومياه مجاري ، وبعد ذلك مياه استخدمت لطبخ دهون ولحوم ومن ثم يجبر المناضل على لبس ملابسه ، ويساق الى صالون حلاقة الوجه والرأس حيث تسيل دماءه ويقص شعره بوحشية . وعندما يصلني الدور يوقف العرض ليكمل في الغد .

اطلب بعد ساعة لغرفة التحقيق لاقناعي بالاعتراف حتى لا اتعرض لتعذيب اضافي قبل ان يطلق سراحي . وبعد ان يتأكد المحقق بعدم جدوى التحقيق يخرجني للشبح في

المردوان . كل هذا وانا تحت تأثير الهلوسة ، لم تكن تتوقف تلك الهلوسات الا بعد رفع الكيس عن رأسي وادخالي لغرفة التحقيق . اخر فصل من هذه المسرحية كان كالتالي : عندما كنا مصطفين لركوب السيارات الى حيفا ، جاء المحقق ابو ربيع مع الضابط المسؤول عن نقلنا الى حيفا واوصاه علي . اجابه الاخير "مستعد هذه الليلة ان ارسلهم شهداء عند علي ابن ابي طالب فاجابه ابو ربيع : لا ليس الجميع فقط هذا (٠٠٠٠) وهذا (فلان) لأنهم عملوا كذا كذا ولم يعترفو وهناك اسرار خطيرة واسلحة يعلمون عنها. وسيقتل يهود كل يوم بهذه الاسلحة ، فقط اوصيك بهذين المخربين . اجابه ضعهم بسيارتي وسنميهم من قمة الجبل بالليل الى اسفل الوادي اثناء السفر الى حيفا وسأقول انهم هربوا من السياسة ، بعد ساعة تحركت القافلة وكنت في السيارة المخصصة لقائد القافلة مقيدا بالايدي والارجل مع الشخص الاخر الموصى به ، وبعد مسير القافلة بربع ساعة سمعت صراخ شخص يندفع من السيارة لأسفل الوادي وسمعت اصوات بعض الاسرى يقولون "قتلوا فلان اي انا" . بعد ذلك اوقفت القافلة سيرها وانزلوني من السيارة وبعدها وجدت نفسي في غرفة التحقيق التي يتواجد بها معظم طاقم التحقيق ، والذين اخذوا يتحدثون بحسرة معي عن السبب الذي يجعلني اضيع حياتي سدى قبل الافراج عني بساعات ، ومن ثم يتدرج حديثهم للمطالبة بالاعتراف ، ولكن بدون جدوى حيث كانت كل طاقتي المعنوية في اقصى درجات الاستعداد لتقبل الموت رميا من رأس الجبل الى اسفل الوادي ، وكنت على قناعة بأنني سأموت في تلك الليلة ولم افكر بتقديم اي كلمة لهم لانقاذ نفسي ، لأنني لا اريد حياة على انقاض غيري من الرفاق ، وعلى انقاض منظماتنا الحزبية التي بنيت بدماء واعصاب ومعانيات غيري من الرفاق البواسل . لم اقبل شراء حياتي بالام غيري من الرفاق ، كنت على قناعة راسخة بذلك ، والان بعد مرور شهور على تلك الاحداث ، اقول ان هذا التعذيب النفسي (المسرحية المرعبة) كانت الاكثر قسوة ورعبا من معظم مراحل التحقيق ، وهي تعكس تقدما بارزا في اساليب التعذيب النفسية المستخدمة لدى المخابرات الصهيونية ، لم يأخذوني للسيارة بعد جولة التحقيق الاخيرة ، بعد ذلك علمت انها المرحلة الاخيرة من التحقيق والذي انتهى بانتصاري على غطرسة وغرور جهاز مخابرات غزة وفشلهم الذريع بانتزاع اي كلمة مني . في الاسبوع الاخير من التحقيق وبالذات في مرحلة الهلوسة ، تعرضت لأعتداء وحشي من قبل اثنين

من المحققين وهم رحماني والمدعوا ابو جورج ، وتفاصيل الحادثة انني كنت اهلوس والقي خطابا سياسيا بصوت عال وعلى مستوى مردوان المخابرات ، ضد الاحتلال وعملاء العدو الصهيوني ، وكان صوتي مسموعا لجميع الاسرى في جناح المخابرات ، كنت خلال ذلك مقيدا في ماسورة المياه الباردة في دورة المياه ، وعدا البرد الشديد كانت الارضية مغمورة بالمياه والرطوبه داخل دورة المياه عالية ومؤلمة ، جاءني المحقق رحماني مطالبا اياي بالسكوت والكف عن شتم الصهاينة ، نفيت الاتهام وطلبت منه احضار جردل (وكشاطة ماء) لسحب المياه المتجمعة بالارضية ، ولكن المحقق الصهيوني لم تعجبه نغمة حديثي الآمرة ، وهنا اخذ يبصق بوجهي ويوجه لي اللطمات القوية كعقاب واستفزني للغاية هذا الاعتداء علي . البعيد عن التحقيق ومباشرة بصقت بوجهه ، وحركت يداي المقيدتين للأعلى لضربه ولكن خرج بسرعة مستفزا من بصقي بوجهه ، وعاد مع المحقق المناوب الاخر وابو جورج "مدعيا انني ضربته وادخلوني الى المردوان وبطحوني ارضا وانهالوا علي بالضرب وبالذات على الرأس والوجه (العيون والانف والحنجرة) والمعدة والاعضاء التناسلية الخاصرة وكل مكان حساس ، كانوا يضربونني بصورة هستيرية وجنونية واستمرت عملية الضرب الوحشية هذه لمدة لا تقل عن ٢٠ دقيقة ، وبعد ذلك احضروا اكياس الخنق وقاموا بخنقي حوالي سبعة مرات فظيعة ، ولم يسمحوا لي بتنفس الهواء الا بعد ان اوشك على الموت خنقا ، وخلال هذا التعذيب كانوا يطالبوني بالاعتذار لرحماني والاعتراف عن المسؤول تحديدا ولكن بعد ان فشلوا بنزع الاعتراف ، اوقفو عملية التعذيب بالخنق ، ٠٠٠٠ كنت مبلالا بالعرق ادخلوني مباشرة تحت الماء البارد مدة ربع ساعة ، في اليوم الثاني شعرت بوجود انقباض شديد بعروق الرقبة الامامية لدرجة التي لم اتمكن من رفع رقبتي لوضعها الطبيعي . وبقيت رقبتي ملتصقة لفترة طويلة والى ان انتهى الانقباض الحاصل بسبب لفحة البرد ، كما وجدت عيوني ملتهبة ومغطاة باللحم المتورم والذي حجب عني الرؤية ، وكنت ارفع اللحم المتورم بيدي لأتمكن من رؤية الطريق عند النزول لدورة المياه ، المخابرات حاولت التأثير على معنويات المعتقلين الجدد عند النزول لدورة المياه ، عندما تريني لهم صورة فجائيه وتهددهم بملاقاة نفس المصير ان لم يعترفو ، احضر المحققون (طاقم التحقيق الرئيسي) كل منهم لرؤيتي ولاقناعهم تقديم معلومات اضافية عني واقناعي بالاعتراف.

رحمة بي والا فسأموت مثل المناضل عبدالله عياش ، ولكنهم رفضوا طلب المخابرات ، (٠٠٠٠) لم يحتمل قساوة المشهد واغمي عليه مباشرة وخاصة عند مطالبتهم له باقناعي بالاعتراف ، وبعد ان رشوة بالماء واستعاد وعية للحظات عاد للاغماء ثلاث مرات تكررت حالة الاغماء معه فرفض ان يتحدث معي بأي كلمة من طلب المخابرات .

في نفس اليوم التقى (٠٠٠) مع المحامية لينا تسيمل وحدثها عن وضعي في اثار التعذيب التي شاهدها على وجهي في المرة الاخيرة ، وطلب اثارة الرأى العام لوقف ما اتعرض له من تعذيب قد يؤدي لقتلي . حاولت المحامية ولكن بدون نتيجة ، ولكن بعد ان هددت بتقديم التماس لمحكمة العدل العليا وافقوا لها على الزيارة بعد ثلاثة ايام ، وقد شاهدت اثار التعذيب على وجهي وعيوني ورقبتي وعرضتني على محكمة مصغرة من اجل البت بممارسة عنف جسدي ضدي من قبل جهاز المخابرات الاسرائيلية ورفع شكوى للمحكمة ، ثبت القاضي العسكري طلب المحامية بملفات المحكمة ، وممثل الشرطة اعلم المحكمة بانتهاء التحقيق معي وبنية الشرطة تقديمي للمحاكمة بناءا على شهادة (٠٠٠) ضدي رغم عدم وجود اي اعتراف فور ، عودتي لجناح المخابرات ادخلوني مباشرة لغرفة التحقيق حيث كان كل من ابو ربيع وابو فؤاد ، وابو الوليد . سألوني ما الذي قلته للمحكمة ، بعد ان حكيت لهم ، سألوا ماذا قال لك القاضي ؟؟ اجبتهم بأنه امر بانتهاء التحقيق معي رسميا ، وهنا استثيروا بشدة وقالوا نحن الذين والتحقيق لا يزال مستمرا ، معك ، ولاقناعي عمليا بذلك ، سحبوني الى درج المخابرات مقيدا والكيس بالرأس وانهالوا علي بالضرب الذي كان في البداية خفيفا ومن ثم يزداد قسوة والضرب مركز على الاماكن الحساسة بعد حوالي ثلث ساعة توقف ضرب الايدي وبدأ الضرب بالكرة البلاستيكية على الرأس ، وعلى اعلى الرأس تحديدا ، بدأ الضرب بصورة تدريجيه ومن ثم ازدادت شدته ، وبعد نصف ساعة سقطت على الارض من شدةالألم او الضرب ولكن المجرم لم يتوقف عن الضرب على رأسي الى ان اررتوت شهيته في اليوم الثاني لهذه الواقعة تحدث معي المجرم ابو ربيع قائلا: اي شيء تريده مني باستثناء ان اصدق انك برىء ، طلبت منه ان يحضر الافرهول بدلا من البنطلون الواسع جدا الذي البسه منذ اسبوع او اكثر حيث اضطر لمسكه بيدي دائما . وافق وطلب من الجندي احضاره لي وقال اتوقع ان تطلب وضع الحديد بالايدي من الامام لأنه اخف عليك كما الكثير من السجناء

. اجبته بأنني لا اعترض على شكل التحقيق الذي تختاره . لكن كل اتهاماتكم كاذبه وفعلا كانت عملية تقييد الايدي من الخلف تسبب لي الاما مضاعفة وقت الجلوس على الارض او الوقوف امام الحائط ، وبالذات الام العمود الفقري والكتفين، اضافة لالام البرد بسبب الجلوس على البلاط البارد عدة اسابيع وهذا ما ادى لاصابتي بالبواسير . هناك وسيلة تعذيب اخرى بستخدم مع جميع المعتقلين لدى المخابرات طيلة وجودهم في في الطابق العلوي لاجبارهم على كتابة اعترافاتهم بسرعة فائقة للهروب من جحيم المخابرات ، وهي تتركز بفرض حالة قاسية جدا من القذارة على المعتقلين عندما تلزمهم بتناول طعامهم بأيدي قذرة لا يسمح لها باستخدام الصابون بصورة مطلقة بعد قضاء الحاجة وبعد تناول الطعام باليد ، وتتكرر هذه الحالة لعدة ايام الى ان يحصل المناضل على وجبة تعذيب تحت الماء البارد مع الصابون وهذا ما يسمح له بتنظيف يديه وجسمه ولكن من اجل التعذيب . كما يمنع المناضل في الطابق العلوي من قضاء الحاجة احيانا طيلة النهار ، واحيانا لعدة ساعات حسب تعليمات المحققين لجنود الحراس الذين لا بأس به في وقت استراحة المناضل من التحقيق . مثل ضرب المناضل في حالة ضبطه غافيا وقد ركز رأسه على الحائط ، او في حالة قضاء حاجته تحته على الارض او حديث مع زميل اخر او طلب الماء ، احيانا يمارس الحارس وسيلة تعذيب مبتكرة عندما يصب الماء من ابريق في ظهر المناضل بهذا تبقى ملابسه مبلله لساعات ويصاب بالقشعريره نتيجة لذلك ، هذا اضافة لبعض "اساليب التعذيب المبتكرة من الجنود الذيب تشربوا سادية مسؤوليهم من ضباط المخابرات ، اثناء التحقيق واوقات النزول لدورات المياه كنت اسمع واتلمس تعليقات ونظرات متباينة من قبل الحراس والجنود المحققين احيانا . معظم ضباط مخابرات غزه الذين حققوا او تحدثوا معي دعوني اكثر من مرة للانتحار بضرب رأسي بالحائط طالما اريد الموت بدلا من تقديم الاعتراف لهم ، وادعوا بأن الغرباوي وغيره فعلوا ذلك . بصورة عامة علينا ادانة مبدأ الانتحار في اقبية المخابرات، ومهما كان نوعه. فعلى المناضل ان يكون مستعدا لتقبل الموت من عدوه وليس الانتحار . كما ان من يرهب تعذيب المخابرات لا يمكن ان يمتلك الجرأة للأنتحار . هذا تقريبا ما حدث معي بالتحقيق في اقبية مخابرات غزة كما اذكره . وهذه بعض الاقتراحات والاستنتاجات التي اقدمها على امل المساهمة بتطوير تجربتنا لمواجهة اساليب التحقيق التي تستخدمها المخابرات.

الصهيونية مع الانتباه لموقف السياسي للحكومة الصهيونية الان وغدا ، كما عبر هنه مدير مخابرات غزة المدعو ابو غزال ، بأن هناك قرار سياسي من الحكومة الاسرائيلية بتصفية الجبهة لرفضها الحكم الذاتي . وبصورة اوسع سيبقى موقفنا السياسي والنضالي حازم في مواجهة المشاريع الامبريالية الصهيونية والرجعية العربية الراميية بتصفية قضيتنا الوطنية سببا لملاحقة جبهتنا وبصورة شرسة ومسعورة من قبل اطراف المثلث المعادي .

اولا: من الملاحظ وجود ثغرة بأسلوب اعدادنا لأعضاء حزبنا في الوطن المحتل حول كيفية مواجهة التحقيق في اقبية المخابرات الاسرائيلية . وذلك لايجاد شيء من التدريب والاعداد العملر لمواجهة اساليب التحقيق في اقبية التحقيق ، وقد تبين بأن الاعداد النظري والتثقيف اللازم لا يفي المطلوب ، ارى ضرورة الاسراع بايجاد برنامج تدريب وتهيئة عملي للاعضاء وبالذات المنظمات الوسطية للحزب لنرفع من درجة صمودها الى مستوى المناضل الشيوعي .

وعندما اقول تدريب واستخدام عملي لا اقصد استخدام جميع السااليب التعذيب - نوعا وكما - المستخدمة في الاقبية ضد الرفاق ، ولكن يجب الاسراع بفحص نتائج التدريب العملي ، بتطعيم الرفاق ببعض الاساليب العملية للمخابرات والتي كانت السبب باعتراف الرفاق مثل اكياس الخنق + الشبح والجلوس على البلاط البارد بالشتاء + الحرمان من النوم ، ولكن بصورة لتعريف الرفاق بذاتها وحقيقتها . ان الفارق شاسع لغاية الان ما بين الاعداد النظري والاعداد العملي علينا تقليصة الى حدا ما ، ومن ثم نعود لدراسه النتائج على ضؤ ما حدث .

ثانيا :- لا يجوز معاملة العضو الذي اعترف بصورة محدودة على نفسه مثلا ، معاملة العضو او الكادر الاخر الذي قدم اعترافا كاملا وتعاون بصورة واسعة الى الدرجة التي يقدم فيها استنتاجاته لجهاز المخابرات ، كما حدث مع (...) واقترح فرض عقوبة الاعدام على كل عضو او كادر من النوعية هذه تماما لتثبيت ذلك في اعماق كل عضو . ولتخلق الرهبة الضرورية في نفوسهم قبل التجربة ، لتثبيت مبدأ التعهد الخطي من قبل الكادر الحزبي لصون الشرف في حالة اعتقاله ولا ارى بفرض هذا التعهد على الاعضاء حاليا ، الكادر المسؤول كبداية .

وسام حزبي "وسام الصمود" يمنح لكل مناضل شيوعي جبهوي يسمى وسام الشهيد

محمد الخواجا باعتباره الشهيد الاول للصمود حتى الموت في اقبية المخابرات الصهيونية حتى الموت.

تجربة رقم ٣

التقيت بأحدهم فوجدته طويلا نحيفا، وخط الشيب مفرقه، واثق الخطى متئدها ، هادىء النبرات تخرج من بين شفاهه رخيمة مفعمة بالصدق . اما عيناه ، ما اروع عينيه ، عميقه وذكية تطوي تجربة اليمة وشجاعة . التقيت به فوجدت امامي شخصية متفرده . وهو ان لم يكن هكذا ، فكيف به بطلا عند المحكات وشجاعا في الملمات ؟ شخصيته حقيقية ، كل شيء فيها ينطق بأمرين يؤكدهما ويعيد تأكيدهما : الثقة والمعاناة .

والاثنتان مترافقتان ، احداهما تقود الى الاخرى ، فهو يثق بنفسه وبشعبه ، ولهذا يعاني من اجله، يثق بهدفه ويعرفه بل ويحبه ولهذا يضحي من اجله . وعندما يذوق طعم المعاناة ، ذاك الطعم المتناقض: الحلو المر ، اللذيذ القاسي معا ، تتعمق ثقته بنفسه ، بشعبه وبهدفه .

اخذ يقص علي بهدوء رحلة العذاب الاليمة والطويلة التي شهدها وعاناها في غرفة التحقيق وزنازين التعذيب البغيضة . اخذ يقص علي ، ولكنه لم يكن يذكر كل شيء ، بل غالبا ما مر عن وصف مشاهد التعذيب البشعة مرورا سريعا مكتفيا بتسمية الاسلوب دون ان يصف اي الام شهدها واي معاناة قاساها منه . كنت اقرأ ذلك من عينيه . وبالمناسبة هذا ما وسم كل الصامدين اذ لربما يشعرون بأن كل اساليب التعذيب كونهم قد عهدوها وتغلبوا عليها لم تعد جديرة بذاك الوصف الخيالي المصحوب بالانفعالات والذي يثير

المخاوف لدى المستمع وربما الشفقة اكثر مما يثير الثقة والاعتزاز .

دق الباب بعد منتصف الليل ، فاذا بجند الاحتلال يتدفقون يبغون اعتقالي.. يجرون تفتيشا تعسفيا فظا ، يعبثون خلاله باغراض البيت واثاثه .. يصادرون سيفا قديما معلقا على الحائط من عهد الجدود . لم يجدوا شيئا مشبوها استثناءه فظنتهم سيحفرون القبور بحثا عن نية مبيته.

لم يكن احد في البيت غير ابي العجوز وانا وكلانا· نعيش سويا لنشكل عائلة صغيرة متواضعة الحال . فارادوا تقييدي وشد عصابة حول عيني امام ناظري والدي ، فرفضت ، لقد ادركت فورا ان مسؤوليتي في هذه اللحظة ان اعفي ابي العجوز من معاناة قاسية كهذه . وبقيت على الرفض ، فاذا بهم يتنازلون ليفعلوا ذلك بعد ان خرجنا من البيت . خلال الطريق لم يتركوني جانبا ، بل اخذوا يشبعوني ضربا وركلا مصحوبا بالسباب والشتائم الى ان وصلنا مكانا تبينت فيه العماره . زجوا بي في صالة ولما يفكوا وثاقي . بقيت واقفا كما امرت حتى الصباح . وما ان حركت ساقي لاستريح في وقفتي حتى كنت اصطدم باجساد بشرية . لقد احسست بوجود بشري كبير في الصالة ، فأيقنت ان ثمة اعتقالات سبقتني . في الصباح فكوا عصابة العينين ووثاق اليدين فرأيت ان جنديا يقف حارسا الى جانبي . اقتادوني لغرفة صغيرة مليئة بما يقارب الخمسة عشر محققا ، وفي نظرات كل واحد منهم معان مختلفة ولكنها جميعها مفعمة بالكراهية والاستخفاف.

- اسمع يا حسن بادرني احدهم ، نحن نعرف كل شيء ، ومن البداية ننصحك الا تعاندنا وتعترف فكل شيء جاهز ومعروف لدينا .

استنكرت قوله ورددته . فأنا ليس لدي ما اعترف به ، ولم افعل ما يسيء لاحد . فواجهوني بشخص يدعي انني انتمي للجبهة الشعبية وانه يعرف ذلك . رأيته في منظر وحشي . لقد شوهه الضرب والتعذيب . وجهه ذو لحية مسترسله يبكي ويشهق الكلمات .
- قل يا حسن انك قتلت الضابط الفلاني .

لم استطع ، بعد سماعي لهذا الاتهام الخطير ، ان اتمالك نفسي ، فلطمته على وجهه . اما هم فقد فاجأهم الحدث ، ولكنهم سرعان ما انقضوا علي في رد فعل عفوي جماعي اهوج ، واخذوا يضربونني بشكل عشوائي غير مميز .

فهمت منهم ومنه انهم يتهمونني ليس فقط بالانتماء للجبهة الشعبية بل وفي القيام بعملية (عسكرية ايضا باستخدام مسدس كاتم للصوت ، هذا على الرغم من ان كل الادلة التي يستندون اليها غير ذات معنى على الاطلاق . فهذا المنهار البائس الذي اعترف بالانتماء احدهم همس له بمعلومات عني مفادها انني منتم للجبهة وانني قمت بتنظيمه في العمل للجبهة .

طلبت منهم ان اتكلم اليه ، اذ كيف لي او حتى لهم ان يأخذوا كلاما كهذا اغلبه ان لم يكن كله يستند الى التصوير والخيال والاعتقاد الشخصي لتلك الفتاة ومسؤول تنظيمها .
ـ انت يا فلان ـ سألته ـ هل لك معي اية علاقة ؟

هل رأيتني او سمعتني انظم فلان
ـ لا

اذا ، فمن اين جئت بكل هذه الادعاءات الباطله ؟
لكني تبينت فيما بعد ان الشخص المتهم بالانتماء للجبهة والذى هاله اعتراف زميلته عليه قد اقر تحت التعذيب بأنه منظم وانني المسؤول عنه .

ولكنه ما ان استفاق واستعاد رشده حتى انك واضطر المحققون الى عقد مواجهة بيننا نحن الاثنين هو وانا ليثبتوا لي زعمهم كيف انني نظمته .

اما الاخر الذى شهدت بأم عيني اى عذاب ناله من الايدى الغاشمة للمحققين ، فقد

تراجع امامي عن اعترافه السابق وانكر اذ قال لهم
ـ لا ٠٠ لم ينظمني .

لقد استمر الاستجواب المشفوع بالتعذيب طوال الوقت دون ان يتركوا لي اى فترة للراحه . فالنهار يتواصل مع الليل والتحقيق يستمر بلا انقطاع حتى ان سبتهم لم يعفهم من مواصلة التحقيق مستهدفين تكثيف الضغط علي املين ان يجدى هذا نفعا في دفعي لاقرار ما يلصقونه بي من تهم .

صحيح ان مراحل التحقيق الاولى كانت اصعب المراحل ليس لكونها مكثفة وحسب ، بل لانني ، نفسا وجسدا وارادة ، لم اكن فيها قد تكيفت مع وضعي الجديد الذى يتعرض فيه كل كياني للتوتر والضغط المتواصلين ، صحيح ٠٠ ولكن هذا الضغط اخذ يتواصل من جانب المحققين كلما زاد تعنتي واصرارى على موقفي الاول .

لقد اغاظهم اني رغم اعتراف اثنين بل ما ثلاثة اشخاص ضدى في قضية خطيرة كهذه وانا اصر على الرفض ، فأخذوا يشددون من تعذيبهم ويدخلون عليه التنويع والتغيير املين في كل اسلوب ان يجدى بما لم يجد سابقه .

فقد اجلسوني على الارض الرطبة مكبل اليدين من الخلف وزجوا بساقي المرفوعتين ضمن نطاق كرسي خشبي واوثقوهما واخذوا ينزلون علي بالفلقه حتى بات الدم النازف من قدمي يتدفق بغزارة . لقد كان هذا في مرحلة التحقيق الاولى التي استمرت ثلاثة ايام متواصلة بلا اى لحظة للراحة باستثناء دقائق معدودات . لم انم خلالها ابدا وكذا لم اتناول اى كسرة خبز ، كانوا يتناوبون علي . لقد تحولت قدماي المدميتان الى ضخمتين لا تمييز فيهما ، ولم استطع بعدها الوقوف او السير .

في نطاق هذه المرحلة ، وفي اعقاب جولة التحقيق الاولى التي لم تجد نفعا عمدوا على ادخالي الى غرفة كان الشابان يمكثان فيها ، اذ انني ولا ادرى اى طاقة وجدتها في داخلي

، رغم التعذيب الذى شهدته حتى الان ، لم افقد السيطرة على تفكيري ، وتوقعت ان هذا تخطيط منهم لدفعي للكلام مع الشابين في حين يجرى تسجيل الحديث في شريط مخفي ، وايقنت هنا انني مطالب بالحديث بشكل دقيق جدا حتى لا يكون في كلامي اى دلاله على شيء يمت باهتمامهم بصله . واخذت اسال الشاب المنهار عن سبب ظلمه لي بهذا الشكل وانا ليس عندى شيء مما يقول . كيف به يعترف علي . بناء على تخمينات هي غير صحيحة بكل تأكيد . وهكذا تحدثت الى الشاب الاخر ، حتى اخذ بالبكاء واعترف لنا انهم لقنوه ما يقول وان الكلام ليس منه .

وهكذا نجح تفكيري . فقد كان لهذا اللقاء الذى ارادوا به ايقاعي في فخ ما قد يكون التسرع او الانفعال العاطفي او التأثر بوضع الشابين او اى شيء اخر يدفعني للاعتراف ، كان له نتائج ايجابيه اذ تحول اللقاء الى تأكيد مجدد لعدم وجود اى شيء عندى ورفع من معنويات الشابين على حد سواء . ولهذا لم يمهلونا طويلا ودخلوا علينا بعد ربع ساعة او اقل واخرجوني بقسوة .

ارجعوني الى زنزانتي وجلبوا لي لاول مرة منذ اعتقالي غذاء مكونا من كسرة خبز وخياره ، فالقيتهما في وجههم رافضا تذوق اى طعام وانا على حالي هذه وقبل ان تنتهي جولة التحقيق الاولى المكثفة هذه والتي استمرت ثلاثة ايام متواصلة زجوا بي في خزانه صغيرة واغلقوها علي . لم يكن فيها متسع لاكثر من القرفصاء ومكثت فيها ثلاثة ساعات طوال . وما اطولها من ساعات .

نقلوني الى معتقل اخر اعتقدت انه معتقل صرفند والاحرى حملوني على نقالة المرضى اذ لم اكن استطيع السير بتاتا . زجوا بي في زنزانة معتمه في طابق ارضي حيث الحصى هي الارضية والسقف منخفض والجو موحش تماما . لم يمهلوني طويلا حتى جاؤا بادواتهم القهرية ليمارسوا علي وحشيتهم وضربهم العشوائي المؤلم بالايدى والعصي . تركوني بعدها ، ولكن ليس قبل ان اصبح كالجثة الهامدة ، حتى التململ لم انل قدرتة او متعته. مكثت على هذه الحال والتعذيب مستمر ضدى ستة ايام اخرى ، لينقلوني بعدها الى

سجن الخليل حيث كان بانتظارى جولة ثالثة من التحقيق والتعذيب .

نقلت الى الخليل بنفس الطريقة . وقبل ان يدخلوني زنزانتي عرضوني على ممرض بغية فحص قدمي المدميتين فناولني قرص دواء . فاطمأن المحققون على وضعي ليقرروا انني جاهز مجددا لمواصلة التحقيق فواصلوا مهمتهم القذرة . وبالمناسبة لم تتم عملية "فحصي وعلاجي" الموهوم الا بعد ان رفض الضابط المناوب في السجن استلامي على الحال الذي كنت فيه .

صعدوا بي الى اعلى العمارة حيث غرف التحقيق وزنازينه . ادخلوني غرفة هي عبارة عن قطاع تكون اسفل الدرج وهو مفعم حتى الاشباع بالقذارة والنتن ، تملاءارضيته المياه المتجمعة . بعد ساعة تقريبا اقتادوني للتحقيق . دخلت غرفة كان فيها ثلاثة محققين اخذوا يضربونني بينما يجرون استجوابهم ومحاولتهم انتزاع الاعتراف مني . لقد تجددت الاساليب هنا ، فقد صاروا يعروني تماما ويحلو لهم على ما يبدو اختيار اكثر المناطق حساسية في جسدي ليمارسوا عليها وحشيتهم . لقد ركزوا على جهازي التناسلي ، فاخذوا اما يضربون بالعصي او الايدي او يقومون بفرك الخصيتين او بادخال سيخ في مجرى البول ويأخذوا بضرب القضيب بالعصي ، هذا اضافة لدفقات المياه الثلجية وفتح المروحة لخلق اجواء باردة جدا تهبط بحرارتي الى ادنى مستويات ممكنه . وفي لحظة كنت فيها معذبا منهكا عاري الجسد ادخلوا علي احدى قريباتي التي اعتقلوها وطالبوها بالاعتراف شفقه بي وتحت التهديد بالتعرية امامي هي الاخرى . اما هي فقد جاء ردها نبيلا شهما كما وثقت اذ قالت : هو اخي لا يعيبني ان اراه على هذه الصورة ولكني شعرت بقوة خارقة تجتاحني وتود ان تحطم هذا المسخ الذي يسمى احتلال ويسمى محققين . وبكل العزم الذي عهدته ولم اعهده في نفسي ارتكزت على ركبتي ووجهت للمحقق ضربه مزدوجه بكلتا اليدين اللتين كانتا مكبلتين بالاصفاد . ضربوني قاسيا حتى فقدت الوعي ونقلوني الى زنزانة اخرى واراحوني تلك الليلة (ربما كانت الليلة العاشرة للاعتقال على ما اذكر) .

في الصباح عدت مجددا الى التحقيق ، تفننوا معي اكثر فأخذ محقق منهم يضربني بقبضته على رأسي حتى كاد الدم يسيل من الجبين . وكان يطلب مني ان افتح ما بين الساقين ، وعندما ارفض ينهال علي بالعصا ضربا على الجهاز التناسلي وعلى كافة انحاء جسدي .

بقيت في سجن الخليل تسعة ايام تواصل فيها التحقيق بلا انقطاع باستثناء تلك الليلة التي ذكرتها سابقا وبضع ساعات للراحة بين الجولة والاخرى . وقد حصل لي ان التقيت بالزنازين باشخاص فهمت انهم معتقلون على خلفية اعتقالي بهدف تحصيل معلومات مكثفة وسريعة عني للضغط علي . وقد نقلونا جميعا من الخليل الى سجن نابلس ليتواصل هناك التحقيق مجددا .

في سجن نابلس شهدت تحقيقا يتواصل في اجزائه مثل المحطات السابقه اذ كان بعض المحققين المشرفين ينتقلون معي ويبقوا ثابتين في مواقعهم التحقيقيه في حين يدخل الى الطاقم في كل مرة اوجه جديده . فالتحقيق واساليبه تتواصل في اجزاء وتتجدد في اخرى . لقد واجهت في سجن نابلس اشكالا متنوعه من التعذيب كالارجحة في الهواء بينما انا معلق من القدمين وذلك لدقائق معدودات بالطبع ، كالشبح من اليدين لمدة تتراوح بين الخمس عشرة والعشرين دقيقة مما يفقد الايدي الاحساس ويشعرني وكأنهما ليسا مني وذلك بفعل انحسار الدم عنهما وانتفاضهما ، كالتقييد بماسورة المياه وفتح الصنبور لينزل على الرأس نقاطا متقطعة . وهذا الاسلوب بالمناسبة لئيم جدا رغم بساطته ، فانك تفقد الصواب كلما هبطت نقطة وفي انتظار النقطة التالية حتى تحس ان رأسك يتفتت ، كشد الشعر بقسوه بالغة وسحب كامل الجسد من خلاله ، كفرك العينيين والضغط عليهما بالاصابع ، كاجباري على السير على ركبتي فوق الحصي ، وغيرها ناهيك طبعا عن الضرب بالعصي وبالاطراف .

قضيت فترة طويلة من مدة التحقيق في زنزانة منفرده لا اختلط بأحد باستثناء ما تمنحه لي الصدف اذا جلبوا اشخاصا آخرين الى زنازين مجاوره فأتمكن من الحديث قليلا

معهم . كما اني مكثت مدة طويلة بلا اي نوع من الغطاء ، وعندما تلقيت بضعة بطانيات كغطاء لي كان قد مر على اعتقالي خمسة واربعون يوما بالتمام والكمال واغلبها في زنازين رطبة ملؤها المياه المتجمعة على الارضية فأضطر للارتزواء ، اذا ما استطعت الحركة ، في ركن من اركانها استجمع بعض دفء مفقود.

عدت او اعدت بالاحرى يوما من التحقيق فوجدت شخصا ما في فراشي ، الفيته نائما ، فرحمت غفوته ولم اوقظه الى ان افاق بمفرده ، تعارفنا : قال لي انه من قضاء الخليل وانه يدعي يوسف عليان . وجدت نفسي مضطرا لمبادلته الحديث رغم انهاكي بحكم الشعور بالواجب ، والحقيقة انني استأنست به ، ولكن حديثنا بقي في اطار التعارف السطحي .
في اليوم التالي عاد الي مضروبا بشدة بعد ان غاب ساعة او بضع ساعة واحضروا له الطبيب اذ كان ضلع من اضلاعه مشعورا فوجدت من واجبي العناية به . كنت اغسل له وجهه واطرافه ، كما كنت اساعده عندما يبغي التبول او الاخراج ، ولم اتوانى حتى عن ان امسح له بعد تلك العملية .

لقد اعتاد كلانا الاخر وتوثقت بيننا اواصر الثقة والاحترام ، فاذا به يعترف لي قائلا
- حسن ، يا عزيزي ، لم اعد قادرا على الصمود
وعلى الرغم من انني حثثته على الصمود اكثر من مره ، غير انهم في آخر مرة استدعوه فيها طال غيابه ولم يعد هو بل جاءوا الى وفتحوا باب الزنزانة استدعاء لي للتحقيق . وهناك ، في غرفة التحقيق عرفت انه قد اعترف بالانتماء وانه قد حاول تهريب اشياء ممنوعة وانه قد اتلفها بمساعدتي ، في مرحاض الزنزانه.

فجن جنونهم . كيف انني بعد كل هذا التعذيب والارهاب والالام والاوضع القاسي الذي اعيشه لمدة طويلة اجرو علي ممارسة نشاط "تخريبي" تآمري كهذا - واين ؟ في زنازين التحقيق ايضا ؟؟؟

شددوا الضغط علي وصار التعذيب انتقاما اكثر من محارلات لحثي او اجباري على

الاعتراف على شيء ما : بعدها وعلى مدى تسعة ايام متواصلة استمر التعذيب ليل نهار ، تسعة ايام لم ار خلالها اي طعم للراحة . ضرب متواصل ، شبح متواصل ، شد بالشعر ، ضرب على الجهاز التناسلي ، حرماني من الشرب الى درجة الجفاف والعطش المضني ، سكب الماء على الارض واجباري بغية اذلالي على الشرب منها تحت ضغط العطش ، وهذه رفضتها اذ شعرت ان كرامتي هنا تنحط الى اسفل الدرك . كيف بي ان اجعل من العطش مبررا لمذلتي ؟ كيف اذا ما اكتشفوا ان التعطيش يجدي معي نفعا ، امتنعت بتصميم لم ادر كيف قويت عليه ، غضبوا حتى برزت عيونهم قهرا وحقدا ، شدوني من شعري ومسحوا بي الارضية . كانو يسلطون النور على عيني لمدة طويلة ، ولم يتركوني لحظة التقط فيها انفاسي او ان اغفو فيها قليلا . كدت باختصار افقد احساسي بوجودي ، افقد حواسي واحاسيسي . ولم يخففوا عني ضغطهم الا بعد ان واجهوني به وتراجع امامي عن اتهامي بمشاركته في اتلاف الممنوعات .

وفي مناسبة ثانية عمدوا علي ان التقي بشخص آخر ، كنت اشك فيه مسبقا ، وقالوا انه اعترف بانني ارسلت صديقا لي الى الخارج بغية التدريب ، كما اخبرهم اننا ، صديقي وانا ، قد قمنا بتوزيع المناشير التحريضية ورفعنا الاعلام الفلسطينية . في اكثر من مناسبة وموقع ولكن عند المواجهة كشفت لهم انه على نيه مبيته ضد ذاك "الصديق" وانه في اثناء نزاع حصل بينهما هدده بأنه سيسجنه فتفاضوا عن هذه النقطة .

بعد ذلك قدم ثلاثة اشخاص . توقعت انهم من قيادة المخابرات ، اجتمعت سويا بهم وبالشخص سابق الذكر الذي كنت اشك فيه .

قال:- هؤلاء ابناء اعمام لي من منطقة ال ٤٨ وهم سيعملون على اخراجنا ، انت وانا . فاعترف لنخلص من هذه الورطة .

هنا وجهت له صفعة قوية على وجهه فانهال المدعون بالعموم علي بالضرب يشاركهم رجال مخابرات آخرون ليكشفوا امرهم ، ولتنتهي المسرحية المبتذلة . لكنهم مع ذلك لم يكلوا بل واصلوا محاولتهم اذ طالبونا ، هو وانا ان نتوجه لغرفة اخرى نتفاهم فيها ،

فتوجهنا . ناولني هناك سيجارة من علبة كانوا قد اعطوه اياها ، فاتلفتها بيدي والقيت بها . فاذا به يبكي ويصرخ .

- حرام عليك ارحم حالك . هذا الذي اراه ليس انت ولا جسدك ، اعترف لتخرج من هنا .

- انت اكثر من يعرف انني لم اتدخل بمثل هذه الامور التي يتهموني بها ، فكيف اعترف بما لم افعله يا هذا . ثم الم تسمع انت بنفسك رأيي بكل الاوضاع البائسة التي نعيشها منذ الهزيمة . وعلى فكرة ما هذه الحقيبة . - اذ لحظت وجود حقيبة سفر في الغرفة ففتحتها ، واذا بها عطور ومناشف وملابس نظيفه.

- اه اه - بتأتأه تفوه - هم اعتقلوني على الحاجز وجئت بحاجياتي الى هنا . لقد جاء هذا اللقاء وتلك المحاولات الاخيرة في الحقيقة ، كما شعرت ، كمحاولة اخيرة ارادوا بها تبرير موقفهم الفاشل في انتزاع الاعتراف . ذلك ان التحقيق استمر بعدها ولكن بشكل متقطع ومشبع بالشعور باليأس والكلل .

بالاجمال قضيت مئة يوم في زنازين التحقيق . وقد عرفت انني اعيش هنا آخر اللحظات وان هذا الكابوس سينتهي يوم جاء احد رجال المخابرات الكبار . توجه الى مطالبا المصافحة فرفضت . كرر ، فرفضت قال - على كل حال انني احييك واقول لك مبروك . انا متأكد من ان لديك امور خطيرة تخفيها ولا تريد الاعتراف بها . لكنك اول شخص افشل معه ويهزمني . لم يمر علي شخص واحد ولم يعترف حتى ولو كذبا ، ومع ذلك ، فانك ستبقى في الزنازين الى ان تنفق"

في اليوم التالي لهذا اللقاء فوجئت بهم يدعونني لتغيير ملابسي بملابس جلبوها من مخزن السجن . لم اكن حتى هذه اللحظة قد ابدلت ملابسي التي اعتقلت بها وكنت اقدر مدى قذارتها ونتانتها من خلال ما المسه من شعور بالقيء يصيب محققي عندما يحتكون بي . فقد تحول ما ارادوا به اذلالي ارهاقي الى مصدر ضيق لهم هم انفسهم . ارتديت ملابسي "الجديدة" وخرجت لالتقي في مكاتب الادارة بمندوب الصليب الاحمر والذي كان اول شخص مدني التقي به منذ اعتقالي اذ لم احصل على حق زيارة الاهل او المحامي او اي شخص آخر . تحادثنا قليلا .

- هل تريد شيئا خاصا يا حسن
- اكون شاكرا لك فيما لو رتبت لي زيارة اهلي ، واخبارهم بمكاني .

وهكذا حقا فعل اذ زرت بعد يومين لتأتي زيارة الاهل كدليل على انتهاء رحلة التحقيق البغيضه وانتقالي في اليوم التالي ، اي اليوم المئة لاعتقالي الى غرف السجن اقضي فيها اشهر وسنين انتقاما ظالما .

- تلك هي قصتي اختتم حديثه ولم يعد ثمة شيئا يمكن له او لي ان نقوله ، فقد قيل كل شيء ولم يبق سوى الانفعال والتفكر الصامتين .

تجربة رقم ٤

قابلت مناضلا اخر وتعرفت اليه والى عائلته ، والده واخوته . تحادثنا طويلا وبمرح عن المعاناة التي سببها . اعتقال يوسف قد زالت بتمرده وبالتقائهم به سليما كريما وحل مكانها شعور نبيل يفعم قلوب الجميع بالمسرة والفخر .

الاب منتش بلا حدود . فهذا الابن الذي رباه واعتنى به لم يخذله يوم المحك وبقي رجلا كما اراده ان يكون . وبكل ما في طاقة العينين من اعتزاز اخذ يوجه له نظرات عطوفه بين حين وآخر . يتحدث عنه بحب واكبار ، وكذا الام والاخت اللتان لهما دورهما في منح يوسف طاقة لعبور المحك بسلام .

يوسف شاب في مقتبل العمر ، لم تكن تجربته في الحياه سوى ما تعهده حياة الصبا من افراح واتراح كالدراسة ولربما الحب المراهق والشوق الطبيعي نحو الجنس الاخر وغير ذلك . في نظراته ذكاء فطري يطوي خلفه مكرا فلاحيا اصيلا ولكنه طيب في آن معا. وذلك المكر الذي يشهده امرء عند البسطاء من الناس بحكم ان الحياة بقسوتها تعلمهم ان يستخدموا ما في عقولهم من طاقات للفهم والابداع ليتجاوزوا ما يواجهون من عقبات وموانع . طلبت منه ان يحكي لي قصة اعتقاله ..

عندما جاءوا ليعتقلني كنت لحظتها عند قريب لي في بيته . في تلك اللحظة وحينما شعرت ام صديقي انهم يستهدفونني راحت تشجعني قائلة
- لا تخف يا يوسف . فأنت رجل قدها وقدود

اقتادوني معهم الى حيث التحقيق . وبدأوا يستجوبونني باسئلة اجتماعية عامة وبادخال اسئلة شخصية بين الحين والاخر . اسئلة تخص عاداتي اليومية وانواع الملابس التي ارتديها والسجائر التي ادخنها ، مركزين بالذات على نوع ولون الملابس التي كنت البسها قبل ساعتين تقريبا .
- اين كنت قبل ساعتين ؟
- كنت نائما في البيت كعادتي بعد العودة من المرسة .
- كنت نائما يا ... وسارعني بلطمة شديدة واضاف
- ماذا كنت تلبس واين اخفيت كنزتك وحطتك الحمراوين .
- انا لا املك ولم اعتد ان البس كنزه او حطة حمراوين .

فرشقني قائدهم بنظرة غاضبة ولطمني لطمة شديدة اخرى على وجهي تخللها كلام سمعت منه ان لا ينفع معي اللين والمسايرة .

وعاجلني بصفعة اخرى وغيرها يشاركه اخرون في الضرب مستخدمين ايديهم

وقبضاتهم. اخذوا يتلقفونني من يد الى اخرى وبين كل جولة يطالبونني بان اعترف . .
- ولكن عم اعترف ؟ تساءلت بالحاح

وفهمت منهم بين الكلمة والاخرى انهم يتهمونني باطلاق النار على دورية وان هناك اشخاصا قد رأوني وانني كنت البس حينها كنزه حمراء واضع على رقبتي حطة حمراء . عندها فقط فهمت مغزى اسئلتهم عن ملابسي وعاداتي .

استمروا في ضربي واهانتي باقذع الشتائم مطالبين بالاعتراف
- لا تريد ان تعترف يا ... صرخ احدهم في وجهي . ماذا عن الذين رأوك بأم اعينهم ؟ سأجلبهم لك حالا .

ادخلوا الى غرفة التحقيق ثلاثة شباب يافعين لا يتجاوز عمر الاكبر من بينهم السادسة عشر ربيعا وهم اقرباء لي . اقروا امامي والدموع في اعينهم انهم قد رأوني وانا اطعن الجندي ووصفوا الملابس التي قالوا انني كنت البسها في تلك اللحظة .

فاشفقت عليهم ولم يثر اعترافهم ضدى اى شعور بالنقمة ، بل تفهمت موقفهم الحرج هذا ورأيت كيف ان تعذيبا اليما قد اصابهم وانهم ما كانوا ليعترفوا لولا الضرب الوحشي الذى تلقوه من الايدى الغاشمة للمحققين وهم صغار السن يافعين . والحقيقة انني في هذه اللحظة احسست بالارتياح كون شهود العيان صغار وضعفاء بشكل يتيح لي ان اشكك باقوالهم واضع بعنادى وتصميمي على عدم الاعتراف شكا مقابلا في قلب كل محقق .

كدت هنا اقاطع يوسف في حيثه حيث انني اعرف انه كان هو نفسه شابا يافعا لما يكمل السابعة عشره ابان اعتقاله ، كدت اقاطعه لأسئله حول ذلك ولكنني صممت لاني اعرف انه تواضعه لن يتيح لي ان اعرف من شعور الانسان المناضل المسؤول ازاء الاخرين ، وبالتالي يمنحه هذا موقفا متفوق به من يضاهونه سنا . فتابعت اقواله حيث قال :

اخرجوهم واخذوا يضربونني بشدة على كل منطقة من جسدى خاصة الحساسة منه كالمعدة والرقبة والجهاز التناسلي . كدت انهار تحت وقع ضرباتهم ، وما اصعب هذه اللحظات لانها هي التى ستحسم كامل الموقف : لقد تيقنت انني اذا ما انهرت واستجبت لطلبهم بالاعتراف ، فقد انهار معي كل احلام شبابي بل وانهار معه كل ذرة احترام لنفسي واحترام الاخرين وخاصة اهلي لي . وبينما كنت اجاهد افكاري واقاوم سلبا ضربات محققي اوقفوا الضرب وتبادلوا كلاما لم افهمه بالطبع كونه عبريا . ولكني تبينت معناه فيما بعد عندما خرج احدهم وعاد يجر والدى الذى ظهرت على وجهه اثار اللكلمات . لقد ثبت لي ابي صورة ذاتي عندى وبقيت كلماته التى اطلقها ببساطه واصرار تطن في اذني حتى اخر يوم في اعتقالي .

قال لي :- اذا في شيء عندك قوله ، بس اصحى تكون ... وهذه الاخيرة كلمة بذيئة ولكن كم كانت في تلك اللحظة معبرة صادقة وعميقة . هو لا يريدني ان اعترف باى حال . هو يريدني ان ابقى رجلا كما عهدني . وانا لن اخذله .
- ليس عندي شيء افوله - اجبته واجبتهم في ان معا ، فاذا بابتسامة تعود اليه والقلق الذى غطى كل قسمات وجه اختفى ليحل محله شعور بالطمأنينه والارتياح .

اكتشفت في سياق التحقيق ان ليس المهم كما اعتقدت مجرد الاصرار والعناد ، بل لا بد من حل التناقضات التى تفرضها مجريات التحقيق . واذا كان يمكن رد ادعاءات شهود العيان والطعن بأقوالهم كونهم صغار ويؤكد انني فعلا كنت في البيت مستلقيا استريح من متاعب الدراسة . وهذا الشخص كان اختي . ادخلوها على فاذا بها تؤكد انها شاهدتني ولنا راجع من المدرسة وانني دخلت غرفتي واستلقيت على السرير .

لقد كان موقفها القوى غير المتردد قوة ليس على معنوياتي وقدرتي على مواجهة التعذيب . والضغط المعادى وحسب ، بل وعلى المحققين انفسهم ، وافقد ذلك منطقهم بعض الاساس الضرورى ، فاستشاطوا غضبا وارادوا تعويض ما ينقصهم من منطق بما يملكون ويفيضوا من قوة عدوانية ، راحوا يضربونني بقسوة هائلة وكان احدهم وهو

ضخم جدا ويملك كفين ثقلين ضخمين حتى اكبر من معدل جسده يضربني بكلتا يديه على رقبتي حتى اغمي علي . وعندما صحوت حيث انهم رشقوني بماء بارد كنت اشعر بالم شديد في حلقي . حاولت اصرخ ، او ان اقول شيئا ولكن صوتا رقيقا اشبه بالانين هو كل ما كان يصدر عني ، كنت اتأوه بصعوبه في حين خرج لساني من فمي دون ادراك او تحكم مني ويتدلى ببلاهة اغاظتني انا نفسي ولم ادركنهها . فانتبهوا على حالتي كونني لم اكن في لحظتها اعي اي ردود فعل اقوم بها على افعالهم بينما لا يصدر عني سوى ذلك الانين الضعيف والمتردد وذلك اللسان المتدلي . ولم اع انهم جروني كيفما اتفق وزجوا بي في سيارة عسكرية وساروا بي الى حيث لا ادرى . وفي اثناء مسيرتنا حاول احدهم ان يصب بعض شراب الكولا في فمي فلفظته ولم استطع بلعه ، نزلنا كما خيل لي الى مستشفى حيث كل مظاهر وروائح المستشفيات . اقبلت ممرضه بلباس وفي يدها كيس بلاستيك البست رأسي به وشدته عند الرقبة الى ان اخذت اطرافه تدخل في فمي . عندها ربتت على كتفي والتفتت للجنود المرافقين قائلة : (انه يتظاهر) .

فاعادوا بي فورا الى حيث اتوا بي . فقد ارتاحوا لنتيجة الفحص واطمأنوا الى انهم يستطعون مواصلة التحقيق دون من اضرار قد تسبب لهم لوما او حرجا ما . عادوا الى قسوتهم وتحقيقهم المشفوع بالتعذيب . كان قد مر على اعتقالي حتى الان ثلاثة ايام لم انم او اتناول الطعام او اقضي حاجتي في الاخراج والتبول ٠٠ ورغم قوة النعاس والتعب ورغم ان افتقار للطعام لا يؤبه له هنا ولا يثير اى احساس بالجوع ، فأن الحرمان من قضاء الحاجة ، لا سيما التبول ، يغدو اقسى انواع الحرمان . لقد المني هذا غاية الايلام حتى وجدت نفسي انطلق بصعوبة بالغة كلمات متقطعة مطالبا التبول . فلحظت حينها اغتباطا شيطانيا على الوجوه والقسمات المعادية ، فهم لم يطمأنوا فقط الى ان ليس ثمة اى ضرر قد مس قدرتي على الحركه ، بل وجدوا ضالة كانوا يبحثون عنها في ان يضغط علي امر ما اشعر بالحاجيته كي اعترف . فمنعوني من التبول واشترطوا السماح لي بذلك بالاعتراف وواصلوا الحاحهم . ولكني لم اكن ارد على اى سؤال يطرحونه الا بلازمة غير واعية هي اريد التبول ، فتيقنوا ان الحرمان من هذه الحاجة قد تسيطر على فكرى تماما وتحول بيدى الى قوة اواجه بها ضغطهم المقابل ، وبالتالي فقد ضاع كل تأثير له علي

ودفعهم هذا الى ان يتراجعوا ويسمحوا بالتبول .

وفي اليوم التالي للتحقيق وبعد ان خابت جملة من اساليب الضغط المباشر اخذوا يلعبون معي اللعبة التي كنت قد سمعت عنها مسبقا الا وهي لعبة المتعاطف والمتطرف.

فهذا يشد وذاك يلطف الاجواء ويبدى التعاطف ويحاول كسب الثقة بغية الارتياح له كمدخل لنزع الاعتراف . لقد سمعت عن هذه اللعبه ولربما ساعدني ذلك على فشلها ولكني اؤكد لك انني بعد هذه التجربة تيقنت كيف ان المرء في ظروف التحقيق والتعذيب كفيل بالاستجابة لادنى شعور بالعطف والحنان . فقد انسقت في البداية وراء الاستجابة لعطف المتعاطف والحقيقة انني وجدت ذلك افضل مدخل لافشال هذه اللعبة على ان ابقي واعيا دوما لاحكامها . كنت تعبا بل مرهقا للغاية وكنت ارغب في استراحة معينه تمنحني اياها الشروط الخاصة بهذه اللعبة ، فأخذتها . ولكنها لم تدم طويلا ، فهم سرعان ما تبينوا فشل اسلوبهم وعادوا جميعا لاساليبهم المعتادة في الضرب والتعذيب .

اما انا قد قررت قرار الصمت وعدم الاعتراف . ولم ادر بعدها اى تعذيب نالني ، ذلك انني كنت غلبا ما اصحوا عليهم وقد القوا علي بماء بارد فاصحوا لحظة ثم يغيب وعيي عني مجددا . وبين لحظات الاغماء والاستفاقه احسست بهم يتشاورون ويحاولون معالجة موضوع غيابي المتكرر عن الوعي وردود فعلي العشوائية غير المنسجمة وسمعت احدهم يقول من الشك . .

- هذا مريض

والحقيقة انه عبر بكلمات هذه عن الارتباك الذى لحظتهم يتخبطون في غائب عن الوعي وجاءوا لي بالممرض ليفحصني . ومع اني لم ادر ما هي تقديراته لمرضي ولكني منذ تلك اللحظة فقدت قدرتي على الحركة ولم اعد استطيع التفوه بأى كلمة . لقد صمت وكان صمتي مطبقا مطلقا .

لقد عذبوني كثيرا واستخدموا ضدي حملة كبيرة من اساليب التعذيب الجسدى والنفسي فاضافة للضرب المباشر بالايدى والعصي خاصة على المواطن الحساسة كالرقبة والمعدة والاعضاء التناسلية بينما يغطون رأسي بكيس من الخيش الاسود الخانق ، هناك ايضا الشبح والتبريد بالماء البارده وممارسات الارهاق المختلفة ، كفرض الحرمانات المتنوعة ، كاجبارى على الوقوف على قدم واحدة مع رفع الايدى الى اعلى لمدة طويلة ، كالصعود والهبوط مرات متكررة قاسية وغيرها .

اما التعذيب النفسي فهو الاخر قاس ومتعدد الاشكال . فقد حاولوا ايهامي بأنهم سيبقون على اعتقال امي وابي واخوتي وقد اروني اياهم اكثر من مرة بغية تأكيد استمرار اعتقالهم واستدرار لعواطفي تجاههم . كما هددوني بان يحرقونني وطنيا ويراقبون امر ادخال الوهم في ذهن الناس بأني عميل متساقط ، كما هددوني بلاعتداء الجنسي وشتموني واهانوني بلا حدود .
هذا فضلا عن التقليل من اهميتي كأن يقولوا :
- ها انت تتعذب وحدك ولا احد يهتم بك والتقليل من اهمية صمودى كأن يقولوا :
- لا احد دخل عندنا ولم يعترف فها هو فلان (ويذكرون اسما لصاحب عملية كبير حصلت في الوطن المحتل) قد اعترف امامنا وغيره وغيره ناهيك عن العزل المتواصل في الزنازين بلا اى غطاء وحرماني من النوم ، ناهيك عن التجويع واثارة الشهية عن تناول طريق الاكل امامي دون اطعامي .

لقد حاولوا معي كل هذه الاساليب وغيرها ولكني لم اكن اقدر على المشي وتحول اصرارى على الصمت وعدم الاعتراف الى صمت مطبق اكده فقدان القدرة على النطق . طالبوني بان اكتب ولكني رفضت .
- حسنا ، قال احدهم ، خذ هذه الورقة وذاك القلم واكتب على راحتك في الزنزانة .

وضعهما في جيبي . لم اعترض . ساقوني فورا الى زنزانة اخرى لم اكن قد دخلتها بعد فوجدت فيها جماعة من السجناء حاولوا حثي على النطق بافهامي بالاشارة انني قد فقدت

القدرة عليه . لقد شككت فيهم منذ البداية وسرعان ما تأكد شكي بأنهم متعاونون عندما بادرني احدهم بغباء يسأل عن السبب الذى يجعلني احمل ورقة وقلما في جيبي ، مع اني لم اخرجهما ولم اريهما بعد لاحد . واضاف موجها اتهامه متظاهرا الحرص والحذر .

انت عميل وتريد ان تكتب لاسيادك ما تأخذه منا من معلومات هنا ...
أومأت له ان لا ، غير صحيح ولكني ارتحت كوني اكتشفت لعبتهم . وقد تبينوا هم ايضا ذلك فتخلوا عن مظهر الشرف والوطنية كغطاء لانتزاع الاعتراف مني عن طريق تبرئه ساحتي من هذه التهمة ، ولبسوا لباسهم الحقيقي : عملاء يستهدفون مشاركة المحققين في تعذيبي والضغط علي لانتزاع الاعتراف .

لقد ضربني هؤلاء وعذبوني كثيرا ، ومع ذلك لم يكفوا لا العملاء ولا المحققين محاولاتهم وعلى مدى خمسة وثلاثين يوما متواصلة قضيتها في غرف التحقيق .

تركز التحقيق منذ اللحظة التي فقدت فيها القدرة على الحركة وطوال مراحل كاملة ، على نقطة اساسية هي محاولة حملي على النطق بالقوة . فقد اقتنعوا وان لم تكن قناعة تامةمطلقة اذ كان يشوبها دوما شكوك ما ، باننى اتظاهر بعدم النطق او الحركة وقد عرفت واقتنعت ان هذه المسألة باتت هي المركزية التي يتوقف عليها كامل مستقبل التحقيق ، بل ومستقبلي وشرفي ، فهي جهاز دفاعي من جهة وهي مرماهم من جهة اخرى . وكنا هم وانا على مدى مراحل التحقيق وكأننا نمارس لعبة خطرة . هم يركزون على مرماهم وانا اثبت جهاز دفاعي واعزز ثوابته . ولكني انتصرت ، واصارحك القول لاني كنت قويا ثابتا طوال الوقت ، فقد انتابني اكثر من مرة لحظات شعرت فيها بالضعف ، لحظات كنت اخشاها وافر منها ، مستنجدا بأهلي ، بابي الذي علمني الرجولة واوصاني بألا اكون ... ، ابي الذى يريدني ان اكون مثله حين اعتقلوه لمدة ثلاثة اشهر واستشهد مناضل معه تحت التحقيق ولم يعترف . كيف اخذله ، كنت اتساءل ، ثم انا في لحظة ضعف هزيلة لاسيء لسمعتي وسمعة اهلي ؟ كيف كيف ؟؟ كنت احث نفسي على التساؤل باستنكار . لقد ساعدني هذا كثيرا على التمسك بموقفي ، كما ساعدني توقعي عواقب

الانهيار والاعتراف . فلا يسهل حينها عليهم حبسي طويلا وحسب بل وقد يجدون مبررا لهدم منزلنا لتعيش عائلتنا عيشة الفاقه ويشمت بنا الخصوم .
كل هذا لكي اتخلص من قسوة ستزول لا محالة . لماذا ؟ هكذا كنت افكر .

كنت اتذكر اصدقائي دوما اتذكر امي الطيبة ، اتذكر اختي التي وقفت معي واكدت كلامي ، اتذكر جارتنا ، ام صديقي التي وثقت بي وقالت لي " انت قدها وقدود " فهل اخون كل هؤلاء ، هل اطعن ثقتهم واغتال شرفهم ؟ فتجدني بعدها اكثر اصرارا واشد ثباتا ، فتزول لحظة الضعف ونواصل المحققين وانا مسيرتنا المشتركة متعاكسة اتجاهات .

حتى هذه اللحظة كنت اتعامل مع عدو مكشوف اسمه المحققين ، وطرفانا كانا يعرفان هدفهما ، غير انني بعد هذه المرحلة انتقلت لاواجهه نوعا جديدا من الضغط ، نوعا غامضا حيث ان الطرف المقابل فيه لا يطرح نفسه كمحقق بل كمعالج ولكنه يقوم بذات المهمه بعد ان صار محور التحقيق نفسه يرتكز على نقطة النزاع المثاره وهي قدرتي على النطق . لقد كان هذا في القسم الخاص في سجن الرملة المركزي ، ذاك القسم المخصص رسميا لاستقبال ومعالجة المرضى عقليا ونفسيا من السجناء ، فقد استقبلت هناك استقبالا فظا بادى المعاداة ، اذ دفعتني احدى الممرضات ورشقتني بتعابير تحريضية مفادها انني قاتل وايادى مغمسة بالدم اليهودى . اخذوني زوجوا بي في زنزانة مشتركة مع سجناء جنائيين شرسين يعانون من وطأة المرض النفسي او العقلي . وسرعان ما اشتبك هؤلاء معي دون سابق انذار حتى جاء الممرضون وانتزعوني من بين ايديهم . لقد كنت هذه تجربة قاسية اذ لاول مرة يحصل لي ان اتعامل مع اناس غير اسوياء ، حيث انني الخاسر في كل الحالات . فلو هزموني في اعتدائهم خسرت وكذا لو هزمتهم ، وهذا ما لم استطعه بالطبع .

تعرضت خلال فترة اقامتي التي دامت حوالي الشهر والنصف لمختلف انواع المضايقات من السجناء ومن الممرضين ، فقد " عالجني " الاخيرون في مرات عديدة بالحقن المخدرة ، بالضرب ، بالزج في الزنزانة الانفرادية وغيرها من الممارسات الحاقدة . ولكن التجربة ،

الاقسى كانت مع الطبيب المسؤول وهو دكتور سيلفان الذى حاول اكثر من مرة الضغط علي بوسائله كي امشي معتمدا انني اتظاهر . هددني بالبقاء في ذاك القسم الى الابد وفي احدى المرات قال لي انه سيحقنني بحقنه مصيريه ، فهذه حسب قوله ستعيد لي حواسي اذا كنت فاقدا لها حقا ولكنها ستصيبني بالشلل للأبد اذا كنت اتظاهر فوافقت اذ قدرت بان ليس ثمة امر من الناحية الطبية له مثل هذا السحر المتناقض . وعندما تلقيت الحقنة تظاهرت بالخدر ، فاخذ الطبيب يصفعني بقوة على وجهي حتى اضطررت للاستفاق . صحيح انني لم افقد الوعي جراء تلك الحقنة التى حقنني بها في الرقبة ، ولكن رقبتي بقيت متشنجه وتؤلمني الما فظيعا حرمني من النوم او من الجلوس السوى لأن الالم كان قد انتشر الى كل الجسد . لم استعد قواى ولم ينته المي الا بعد حقنة اخرى اوصى بها ذات الطبيب وكأن للأخيرة تحذير واضح .

لم أيأس من وضعي واصريت في كل مرة على ان اطالب الطبيب كتابة بان يطلق سراحي من هذا القسم كوني سليما عقليا ، وان فقداني للحركة لا يعتبر خللا نفسيا او عقليا ، ولكنه كان يرفض في كل مرة . ويكرر محاولات ضغطه . بقيت في هذا الجحيم مدة شهر كامل قلت وقد اخرجوني منه بعد ان يأسوا على ما يبدوا او اقتنعوا بصدق مرضي ، لا ادرى ، المهم انني خرجت وانضممت الى باقي السجناء الاسوياء والشرفاء من ابناء شعبي .

لقد مرت تلك المدة ، لم ادر كيف مرت ، كانت قاسية حقا ، وقد ساعدني في ذلك ما قدمه العديد من المناضلين السجناء المتواجدين في اقسام السجن الاخرى ، فقد علموا بحالتي وامدوني بكل ما استطاعوا من دعم مادى ومعنوى ، ولربما كان لضعفهم الجماعي على الادارة اثر في تقصير مدة اقامتي في هذا الجحيم او حتى من انهائها.
هكذا انهى يوسف قصة تجربته مع الاعتقال . وقد جاءت نهايته مفعمة بنشوة الانتصار مشددا والابتسامة تلوح بفخر على شفتيه في نطق كلمات " انضممت " . ان يعرف تماما مغزى هذه الكلمة ، مغزى ان يكون المرء بين الصفوف ، واحدا من ذاك الحجم الهائل من الاسرى والمعتقلين الين يقدمون بصمت ويخدمون بانكار ذات . وقد

يكون لتلك النغمة المفعمة بالمغازى لانضمام يوسف الى ركب السجناء تفسيرا خاصا اذ انه قد استعاد معهم وبهم ، بدفء حضنهم ، وفي اتون النضال الذى يخوضون لأجل حياة كريمة خلف القضبان ، استعاد قدرته على المشي ، كما ان هذه الاجواء هي التي اضفت على ما يتمتع به من صفات شخصية اصيلة طابع العمق والفهم والثبات .

تجربة رقم ٥

هذا المناضل له قصة طويلة مع الاحتلال ، بل لعلها ملحمه . التقيت بفهد في بيته المتواضع ، سأكون اكثر دقة لو قلت في غرفته الخاصة اذ لم يكن البيت الذى يملك حق التصرف تماما سوى غرفة واحده في شقة تتقاسمها به جميع العائلة وابناؤها المتزوجون .

منذ ان دعوته لمقابلتي جاء وأخوه . عرفت فورا ايهما فهد فكل الملامح والحركات كل الاطار المضامين التي اتوقعها من رجل صعب عرك الحياة وتمرس في صعابها كانت فيه ، رجل قوى البنيان مرصوصه ، كتله من القوة الجسدية يتحرك ببطىء قد يكون من تأثير الخلل الذى اصاب ساقه واضطر أن يسير اعرج وبطيء ، ولكن الاغلب هو ان يكون ذلك البطء بعقل الثقة الهائلة التي لقنته اياها الحياه ومرارة العيش بكرامة في ظل احتلال بشع لا رحمة في قلبه . فالاحتلال بالمناسبه يحب مثل اولئك الناس ويحترمهم بقدر ما يحقد عليهم ويستهدفهم . فهو يعرف ان في قلوب امثالهم يكمن الخطر الاكبر . انهم يحوزون القوة الهائلة ، وقوة الايمان المطلق بحق البشر في الحياة الشريفة والحرة ، بحق الانسان في ان يعيش حرا في وطنه وبقوة الايمان تلك ، وبقوة العزيمة التى تغذيها ارادة

فولاذية وعناد نظرى اصيل واجه فهد اكثر من تجربة اعتقالية ، نجح فيها جميعا ولم تستطع قوى الظلام ان تنتزع منه ادنى اعتراف سواء كان يضر به شخصيا او يضر بجماعته . لقد تحول فهد الى اسطورة شعبية في البطولة والصمود ، حتى اني سمعت اغنية تتردد على السنة الشبان والفتيان تتغنى ببطولته . والحقيقة انني ذهبت اليه بينما هو في فكرهم كمصدر الهام وفي قلوبهم كشعلة ضياء تنير لهم دربهم وتشد عزيمتهم اذا ما جاء يوم الامتحان العسير . قلت اني ذهبت اليه وانا على بعض معرفة به ولهذا وجدت نفسي لا اهتم كثيرا بتفاصيل المعاناة والتعذيب ، فمثل هذا الانسان لن يستطيع الحاحي ان يدفعه لكي يتكلم بألم عن تعذيب وحشي تلقاه وقد تلقاه فعلا . ان قصص التعذيب الوحشي التي تمارسها قوى الاحتلال خلف القضبان او في ردهات غرف التحقيق غدت معروفة للصغير والكبير . وجدت بدورى ان التركيز على امر كهذا لن يفيد القارىء في شيء بل سيكون تكراراممللا لقصص متشابهه التفاصيل متطابقة النتائج .

ولهذا فاني سأكتفي في هذا المجال ما هو استثنائي في حالته وبتعداد وسائل لم تستخدم مع كل معتقل ، بل جرى استخدامها خصيصا لهزم مناضل عنيد يعرفون صلابته ويدركون ان لا مفر من تحطيمه كليا قبل ان يأخذوا منه شيئا ، بل ان هذا في الحقيقة هو ما حصل فعلا .

لقد قضى هو ما يربوا على العشرة اعوام في غياهب السجون والمعتقلات . وغالبا ما كانوا ييأسون من انتزاع الاعتراف منه رغم ما جرى كشفه ، وفي اكثر من مرة من معلومات ومبررات افادت التحقيق في اجبار اخرين على الاعتراف واستخدام اعترافهم واحيانا انهيارهم للتأثير على فهد . كانوا عندما ييأسون منه وبعد ان يكونوا قد نكلوا بجسده واضروه دون ان تتراخى شكيمته او تهن عزيمته يلقون به في غياب السجون محكوما عليه اداريا ، وهي تلك العقوبة التي تعني عمليا ان المناضل معروف لدى السلطات وانها مقتنعه تماما بما فعله ضدها ولكنها عاجزه عن تقديمه للمحكمة بعد اعتراف يدلي به هو نفسه .

لقد كان التحقيق مع فهد يجرى دوما حتى في لحظات الاستجواب اللفظي ، وهو مكبل اليدين . فالمحققون يعرفون مع من يتعاطون ، انه بنظرهم ، كما هو فعلا شخصية خطيرة صعبة وليس يؤكل لحم الطيور كلها . ففي اول اعتقال له كانت التهمة الموجهة اليه خطيرة حقا ، رد فورا على الاعتداء الجسدى الذى رأى محققه ان يتبعوه معه كما يفعلون مع كل معتقل يريدون نزع الاعتراف منه ، فاذا به يهاجم الضابط الذى لطمه ويوجه اليه الضربات محاولا انتزاع المسدس الذى يضعه على وسطه . لم يتغلب عليهم بالطبع اذ كانوا كثرة تمكنوا منه بعد معركة قصيرة وكبلوه ، ومن يومها كان التكبيل هو اول اجراء يتخذون ومنه ليس الاهم . لقد عرفوا مع من يتعاملون ، مع رجل حقيقي لحبش كماعبر عن ذلك احد ضباطهم ان هذه المعامله الواضحة مع مناضل قوى العزيمة صلب الارادة هو الاجراء الاهم لسياق التحقيق ولنجاح النتيجة .

لقد اعتقل مرات ومرات ولم تنجح طواقمهم بكل الوسائل الفظيعة التي استخدموها ان تنال من نفيه وتدفعه للاعتراف حتى عندما كانوا يواجهونه باشخاص منهارين يأخذون بالترجي والتذليل امامه كي يعترف ليعفيهم من تعذيب اليم يصيبهم ، كان يقابل مثل هؤلاء باستخفاف بل واحتقار . وعندما نطق فهد هذين الوصفين امتلاء كيانه كله بالتعبير عنهما ، واضاف بتصميم انه كان يضربهم ويهينهم امام المحققين الذين يسارعون لحمايتهم من غضبه .

في كل مرة اعتقلوه فيها استخدموا ضده اساليب جديده . فالضرب امر روتيني رغم ضرورته كوجبه اساسية في اطار التحقيق ، لا يجدي مثيلا مع رجل مثله ، ثم الصدمات الكهربائية ، الماء البارد والتعريض للحرارات المختلفة ، التنكيل الفظيع باعضائه التناسلية ، الشبح ، كل هذه الاساليب لم تجد في كل المرات ، حيث انه اذا كان المراد منها انتزاع الاعتراف ، فانها ينبغي ان تكون بجرعات مناسبه تستهدف الكسر وليس احداث الضرر . اما في حالته فقد استهدفت التحطيم والاجهاز .

لم يكونوا يريدون لفهد ان يخرج من التحقيق في المرة الاخيرة سليما ، كان القرار ان

يحطموا نفسه قبل جسده كونها عدوهم الاساسي والحاجز الذي يقاومهم ويصدمهم كان لا بد من حملة على الجنون والاختلال النفسي بهدف الاجهاز عليه كعقوبة له على اعماله النضالية بدل السجن الذي يجلبه الاعتراف ثم المحاكمة .

لقد كان الضغط على فهد شديدا . فالضغط النفسي متنوع وقاس كالحرمان من الراحة والنوم . وحين نقول هذا ونكتفي فلن نعبر عن مدى القسوة التي مر بها فهد . فعدم النوم ليوم او يومين لا يعني شيئا ولكنه اذا تواصل على مدى اشهر وبفعل تخطيط مستهدف ، فانه سيؤدي الى الجنون لا محاله . كالعزل المطلق والتشكيك ، كالاذلال باشكاله المتنوعه كأن يجبرونه على ان يأكل من برازه او ان يشرب من بوله بدل الطعام والشراب . اما الضغط الجسدي الاخر قاس وتنوع كالضرب المركز على المناطق الحساسة فهو كالرأس والاعضاء التناسلية ، كالصعقات الكهربائية وغيرها .

لقد كان هذا كفيلا بتعريض فهد للضرر العقلي اضافة لاضرار جسدية ثابته الاثر حتى اليوم ، فقد كسروا له انفه وحوضه مما يؤكد الوحشية التي وسمت الضرب الذي تعرض له.

لقد حملوه على الاختلال العقلي كعقوبة له على صلابته ثم نقلوه بعدها الى قسم معالجة المرضى عقليا بحجة معالجته في حين كان ذلك استمرارا لتعذيب لا يستطيع هو نفسه الان ان يتحدث عنه . فهو لفترة طويلة حتى بعد ان اطلق سراحه بسبب هذا الاحتلال ومكوثه فترة طويلة اخرى للمعاجة في مستشفيات مدنية لم يدرك تماما ما يجري معه . ولكن من حصل له ان التقي به في تلك الفترة واحس وعرف بالملموس اي تجربة قاسية مر بها هذا الفهد.

لقد اعتقل فهد عدة مرات وفي كل مرة كان تحقيقه يمتد على مدى اشهر بكاملها وفي مواقع تحقيقية مختلفة ، وفي كل مرة كان يجري استخدام اساليب جديدة لتحطيمه وانتزاع الاعتراف منه ولكن كل هذا لم يكن يجدي نفعا معه . فما هو سر بلك القوة التي

يتمتع بها وتمكنه من هزم عدوه في عقر داره وفي موقع بأسه وتسلطه ؟ هذا ما كنت ابحث عنه واردت ان اتحدث اليه عنه اكثر مما كنت اريد الاستماع الى قصص التعذيب والتشويه المعادية القذرة .

سألته : انت قوي جسديا وهذا امرا بارز ، فما هو دور تلك القوة اثناء التحقيق ؟ فأجاب فهد: قوتي الجسدية تمنحني شعورا بالثقة بالنفس وهي تساعدني على تلقي الضربات بألم اقل . ولكن الاهم من القوة الجسدية هي الارادة . فهي الاساس لانها هي التي تسير الانسان وتنطق لسانه او تصونه .
- وحين كان الضغط يشتد عليك - الححت بالسؤال بحثا عن سبب القوة عنده - من اين كنت تستكد قوة الصمود .

من ذاتي كنت أرود في ذهني ان الثبات هو الامل الوحيد وهو طريق الخلاص . فأنت حين تؤمن بالشعب وبالقضية ، فان مصيرهما يصبح عندك اهم من مصيرك الشخصي وحريتهما اهم من حريتك

واردف قائلا : في التحقيق تطرح مسألة الموت والحياة نفسهما بكل ثقلها ويتداخل هنا طرفا المسأله . فأنت حين تكون مستعدا لأن تموت على ان تدلي بالاعتراف ، فان هذا لا يعني انك لا تحب الحياة . انني احبها بالقطع ، بل احبها جدا ، ولكني كنت اضع هدفا اساسيا امام ناظري وهو اما ان اكون او لا اكون .

اما ان تساوي وجودك واما لا داعي على الاطلاق لهذا الوجود . اما الموت او الحياة الشريفة ، فاذا ادى الامر الى ظلم آخرين ، فاني افضل الموت على حياة يشير لي فيها احد ما باصبع الاتهام .
فسألته ، وهل تخاف من لحظة ضعفك ؟

اجاب وسيماء استنكار يكسر وجهه: لم امر بها قط . انني لا اضعف بل اكره الضعف

والضعفاء . فهؤلاء عندما كانوا يأتون الى والدموع في اعينهم والذي يحيطهم من كل جانب كنت ابصق عليهم واضربهم . كنت في اكثر اللحظات شدة اعلل النفس بان هذا لن يطول . اليوم او غدا ، او ربما بعد غد ولكنه لن يدوم وهكذا هو الامر فعلا . فبدلا من ان اعترف واقضي سنوات طويلة في السجن اصمد قليلا واصون شرفي وكرامتي واحمي نفسي وغيري من الضرر .

وكما قلت لك اذا مت في هذه اللحظة ، فأكون قد مت شريفا . اننا نحب الحياة ، نحب الحرية والتقدم ، نحب الناس ، والصمود فقط يمكننا من ان نصون الحياة وان نحمي الناس وندافع عن الحرية والتقدم .

تحدثت الى فهد مطولا وفي حديثه كانت كلمة الارادة تتكرر باستمرار . فقد كان يحتاج لها دوما لاجتياز الصعوبات ، ليس لمواجهة صعوبات التحقيق بل وصعوبات الحياة ومعاناة الحرية بعد الاعتقال . لم يكن فهد قد انهى سوى خمسة صفوف ، وقد اشتغل كعامل مهني قبل اعتقاله . وفي اطار السجن اكمل تعليمه وحصل على شهادة الثانوية كان يدخن ولكنه كف عن ذلك نهائيا منذ سنين فالارادة فوق كل شيء - هكذا اخذ يكرر ويقول . ان الارادة هي التي منحته بالاساس طاقة الصمود وهي التي امدته بالقوة التي تتطلبها الاضرابات عن الطعام التي كان يبداها ويستمر بها لأيام طوال وصلت اطولها سبعة وعشرين يوما . لقد خاض خلال فترات التحقيق اربع اضرابات عن الطعام ترافقت التعذيب . ان هذه وحدها معناة رهيبة ناهيك عن معاناة التحقيق ذاته . لكنه لم يتحدث عنها ، بل اخذ يتحدث عن معاناة الحياة بعد الافراج والشقاء حيث ضعف المورد الاقتصادي ، حيث محاولات الشراء من الخصوم كي يكون رجلهم وغيرها الكثير . لقد عاد فهد للحياة ورغم صعوبتها الا انه هانيء فيها . فهو رجل حر كريم مرفوع الرأس وفي نظري ونظر الكثيرين من ابناء شعبه بطلا يستحق التخليد .

انتهى عام ٨١

تجربة رقم ١

عام ١٩٦٧ ، لم يثار نقاش فعلي وصراع حقيقي حول مفهوم "الاعترافات" "والصمود" كما عليه الحال في المرحلة الانيه. وهذا بحد ذاته علامة فارقة ايجابية في جسد الثورة ، ودليل نضج القياده الفلسطينية داخل الارض المحتلة ، التي ولدت وكبرت وترتبت في سياق العملية النضالية الثورية الفلسطينية .

في السنوات الماضية ، موضوعة الاعتراف والوشاية بالغير . أوهدم التنظيم وتسليم اعضائه والسلاح ... وكل ما يتعلق بالعمل الوطني كان ظاهرة مرضية "مقبولة" كشر لا بد منه ، مرض مزمن مصابه به التنظيمات الفلسطينية بدون استثناء ...

الاعتراف كان مسألة مسلم بها واعتيادية ، لا تعيب أحدا .... والحديث عن نقيضها كان قانونا مجهولا لم تكتشفة الحركة الوطنية الا مؤخرا .... وكالمعتاد بدأ في اضيق الاوساط واكثرها طليعية وثورية ، كظاهرة انفرادية واحادية ، وبدأ ينتشر ويتحول الى ظاهرة نضالية جمعية.

لكن من المتعذر القول ان الصمود والتحدي اصبح نهجا نضاليا في الاوساط الوطنية دون النضال الوطني والقيادة الفلسطينية وبشكل خاص في الداخل لم ترتقي الى االمستوى المطلوب بالنظار التاريخي ، فوعيها الايديولوجي السياسي والتنظيمي وتجربتها التاريخية لم تكتمل بعد...

لا اريد ان ادخل في عملية تحليل لتجربة التحقيق التاريخية والتي رافقت وجود الاحتلال الصهيوني ونقيضة النضال وبالتالي التحقيق .. الاعتراف ... الصمود .. فكل شيء

يضمر ضده ....

لكن لا يمكن تسجيل التجربة الذاتية دون وضعها في اطار المرحلة التاريخية ، حتى يصبح من اليسر استيعاب العبر ، من تجارب مجموع الرفاق والاخوه المناضلين .. فما قبل الثمانينات لم نسمع صوت عالي الوتير، يدين حالات الاعتراف بل والصحيح نهج الاعتراف ... لم تقف القيادة الوطنية لا على مستوى فصائلي ولا على مستوى وطني في داخل الارض المحتلة او خارجها ازاء هذه الظاهرة المرضية والتي شكلت احدى نقاط الضعف القاتلة للعمل العدائي ...

لم يتم دراستها ولا تقييمها ولا حتى الاستفادة من تجارب الحركات الثورية التحررية والتي تعرضت لظروف تحقيق وحشية كما هو حاصل في فلسطين وسابقا في فيتنام والجزائر لا اريد ان ادخل في مناكفة حول الاسباب والظروف الذاتية والموضوعية ، لكن مثل هذا الصمت لم يساهم في خلق حالة ثورية علي أقل تقدير ، بينما المطلوب كان نهجا ثوريا متحدي لرجال المخابرات الصهانية .... بل ساهم في خلق نهج تبريري لكل حالات الاعتراف أثناء فترة التحقيق والوشاية بالرفاق الاخرين ... لم نكن نسمع كلمة عتاب او حساب للمعترف الواشي ..... بل تعودنا سماع جمل تبريرية بنمط :"السجن للرجال ... كنوع للمواساة والتضامن الاولي .... فماذا نسمع الان " هل صمد "فلان" " اعتراف "اصبحنا نسمع مرة ان الرفيق " فلان " لن يعترف سيصمد اصبحنا نسمع كلمات قاسية بحق المعترف والواشي ومديح وثناء واحترلمن امن يصمد اصبح الحديث عن الاعتراف والصمود ظاهرة منتشرة في الشارع الوطني .... وبدأت تتحول لنهج كفاحي ذو مضامين ايدولوجية وسياسية وتنظيمية ....

اصبحت مقياسا ومحكا لكل مناضل ... فهل تصبح مقولة "لا نضال بعد الاعتراف" لاعود للتنظيم بعد الاعتراف هي فيصل الالتزام.... هل نرتقي لمحاسبة كل معترف وواشي ونخضعه لعملية عقابية تتناسب مع حجم عملية الهدم التي تسببب بها ... هل ندخل الصلابة الامنية لشروط العضوية والترقية الحزبية بشكل فعلي ... اسئلة كثيرة ، والتعبئة الامنية المستمرة ، كفيل بوضع النقاط على حروف هذه الاسئلة .

عندما اعتقلت في أول مره قبل ما يزيد عن خمسة سنوات ، لم يكن الوعي الامني والصلابة الامنية في نضجها الحالي ... ولم ادرك .. والابعاد الحقيقية للصمود ، وخاصة انني كنت في حالة تنافر مع الرفاق ... مما جعلني اشعر بحاله ضعف في مواجهة الموقف .. فعن ماذا ادافع ..... هذا السؤال في اعتقادي هام وجوهري في سياق عملية التحقيق .. فعندما تشعر انك تدافع عن التنظيم والرفاق والجهد الذي بذلته ، تخوض معركة التحقيق ومعك كل الرفاق الذين تعرفهم وآخرين لا تعرفهم ..

فشعروك ان الجميع يوجه انظاره نحوك يشد على يدك .. يحثك على الصمود .. تصبح في هذا الوضع ممثل لكل هؤلاء ... روح الجماعة معك ... فكل عمليات العزل والارهاب، لن تستطيع ان تعزلك عن الحزب عن الثورة ....

في حالتي ولكوني كنت منقطعا عن الحزب ، اخذت معركة التحقيق جانبا ذاتيا ، فعوامل الصمود هي اعتزازية بنفسي وكبريائي ووفاء للرفاق الذن عملت معهم سنوات طويلة .... حنيني لماضي واستعدادي النضالي في المستقبل ....

حاولت ان اتذكر حالات صمدت فعجزت ذاكرتي عن استذكار اكثر من حالات اقل من عدد اصابع اليد الواحدة ... ان ترى نماذج صمدت مسألة هامة جدا .... لقد تبادر لذهني تساؤل بماذا يختلف عني "فلان" الذي صمد ... الجواب لا شيء لدى كل المقدمات ... صنع ما صنع .... اعتقالي الاول بلا شك كان محكا اوليا لسنوات العمل الحزبي والتي لم تختار بمعارك قاصلة ومواجهة مباشرة .... وخاصة انني انتمي لفئة المثقفين الثوريين .... وبصراحة أقول كانت في داخلي ما تزال روح البجوازية الصغيرة "حول الذاتية" التي حاربتها بلا هوادة طيلة سنوات الدراسة ، لدرجة اعتقدت انني قتلتها فالاعتقال ينبش الماضي ويجعل المناضل يتوقف أمام سيرة الحياة بكل تفاصيها... وخاصة حول صعوبة الطريق الذي اخترت .... هنا بدأنا فلسفة المقارنة بين صعوبة النضال والتضحية وبين الهدوء والمستقبل والشهادة الجامعية والوظيفة المحترمة . هنا اين موقع الذاتية ونفسية البرجوازية الصغيرة المهاودة .... الصراع يدور وتنتصر نفسية الثوري المثقف ... عندما يعلن صراحة انه ينتمي لمعسكر تمتد حدوده على طول جبهة النضال من كل صفوف الاستغلال والبطش ... كنت اشعر بضعفي عندما افكر في ذاتي ومصالحي الشخصية ...

اشعر انني اقترب من الهاوية ..... وعندما اعود لدائرة العمل الثوري الحقيقي باعتباري جندي في جيش جبار يخوض معركة الحياة أوالموت ، ومطلوب مني ان أحرس خندقي وامنع العدو من التقدم ومن اختراق خط المواجهة من بابه عندما اضع العملية في نصابها الحقيقي كونها صراع بين ضدين .. أنا احد اقطابه والمحقيقين الصهاينة قطبه الاخر... كنت أقول لماذا اقدم معلومات لهؤلاء الاوباش الفاشيست لقد طرحت على ذاتي سؤالا صعبا ومعقدا .... هل تريد ان تناضل أم لا ! هل لديك شك في كل ما قرأت وتعلمت عن الصراع الطبقي والتحرر الوطني ! هل عقائدية المناضل شيء خرافي؟ انني اعترف بأن نقطة ضعفي كانت كوني لم اشعر في تلك المرحلة انني ادافع عن الحزب كنت ادافع عن كرامتي الشخصية وكبريائي وسمعة عائلتي...

لهذا سيزورني المحامي والاهل والزوجة والاطفال .... كنت خائفا من عملية تشويه خلقتي الذاتية في التحقيق حلقة ضعف قاتلة للمناضل ... على المناضل ان يفكر دائما في الاخرين فعملية التحقيق ترمي في الاساس الى عزل المناضل واخراجه من دائرة الجماعة ... تدفعه نحو مصالحه الشخصية "ضع رأسك بين الرؤوس واندە ياقطاع الروس" "اللي تحت العصا يعيش مثل اللي بعدفيها" عيون كل الناس تبكي ولا عين أمي" .. فالخيانه والاعتراف هي أعلى نزعات الذاتية "لأهرب أنا بجلدي ومالي ومال الاخرين" ... .

الذاتيه تدفع لاختيار الطريق الاسهل والانتهازي" الغاية تبرر الوسيلة" ... روح الجماعة والعمل الجماعي والنضال الحزبي الجماعي ... يضع حدا لكل الهواجس والنزعات الذاتية ويدفع المناضل للانخراط في معمعان النضال الثوري دون التفكير بمصالحه الذاتية ... ورغم كل هذه الهواجس انتصرت ارادة التحدي ولم اطأطىء رأسي.

كيف ... كان وضعي في المره الثانيه رغم وجود ادلة قاطعة باعتراف خمسة بين الرفاق لقد تغير الحال فتحصنت أمنيا بعد مكوثي في معمعان معركة العمل التنظيمي والنضال ، والنقاش عن الاعتراف والصمود اصبح موضوعة مركزية في علاقاتنا النضالية ، وتجذر موقفي الطبقي أكثر فاكثر عندما استقر وضعي الاقتصادي فلم يخرج عن دائرة الفكر الذي احببته والطبقة التي أنجبتني.

لقد تزامن اعتقالي باعتقال رفاق آخرين وبدون علمي ، وعندما تمت مداهمة المنزل في منتصف الليل في جو من الارهاب والاستفزاز والاسئلة المحيرة ،"على عكس المرة الاولى"

بدأت تتوالى لدي روح التحدي وانا ما زلت في المنزل ، رددت على الاسئلة بطريقة متحدية وواثقة وكان لدي استعداد ان افتعل معركة كلامية وحتى بالايدي اذا لزم الامر ... قبل ان ابارح المنزل اتخذت قراري النهائي"التحدي والصمود" مهما كانت الادلة حتى لو توفر لديهم مليون افادة لن أقول غير "لا اعرف " لم اقرأ" "لم اسمع" "لم ارى" واحصر اجوبتي بهذه الجمل الصغيرة والقاطعة ... بدأ التحقيق مباشرة ، وكانت المهمة الاولى معرفة سبب الاعتقال ... في الثلاثة الايام الاولى من التحقيق لم أدلي باية معلومات .. حتى اذا سألني عن اسمي فهو بحاجة لثلاثة اسئلة حتى يعرف اسمي بالكامل كنت اجيب على الاسئلة بكلمات صغيرة وجمل محددة ... كنت العب دور المحقق وليس المتهم ... اسمع اكثر مما اتكلم .. لا أرد على الاستفزاز ولا اندمج في الحوار .... هذا الحال دفع المحقق للقول "لست وجه نعمة " "الظاهر انك عنيد" مما دفع المحقق لتقديم تنازل بالبدء بوضع الادلة والمعلومات التي حصل عليها من اعتراف غيري ... بشكل تدريجي وسريع..... بدأ بالمعلومات التي يحوزته دون ذكر مصدرها .. يريد مني ان اضيف الجديد .... وعندما فشل اضطر لان يسألني من المصدر .. عن معرفتي بالرفاق المعترفين ... انكرت معرفتي بالاول .. والثاني والثالث والبقية .

..... انكرت اية علاقة حزبية بهم .....

كان المحقق يراهن على انهياري بمواجهتي بالمعلومات وبالاسماء .. كان جوابي حادا قاطعا لا اعرف وهذا كلام كذب ....

بدأت لهجة التحقيق تتغير ... قال الضابط لا تريد التفاهم والاعتراف ، فلدينا طرق أخرى لاجبارك على الحديث .. الاكبر منك ركعوا هنا .. وهم يبكون .. قلت لنرى ..

وبدأ الشبح وكان يستمر يومين متتاليين دون نوم او اكل .. وبعدها تبدأ جولة التحقيق من جديد ... يعيد ويكرر نفس الادلة ! جوابي كذب .. لا اعرف ... يقول الضابط وما هي الحقيقة ، كل الناس كذابين يا ابن ....

قلت الحقيقة نسبية بمفهومي .. والحقيقة هي ما أقوله انا فقط لانني اعرف عن نفسي اكثر من كل الناس ...

في مجرى التحقيق كان دائما بوهمني ان التحقيق لم يبدأ بعد ، رغم انقضاء عشرة ايام ، عشرين يوم حاول ان يبقي عقلي مرعوبا من المجهول .. العنف لم يبدأ بعد .. لشبح لم يبدأ بعد ... لدينا ادله جديده ... افادات جديده ... شهود جدد .. نحن غير مستعجلين يكررها باستمرار وبعد فشل كل جولة تحقيق "كل ليل يأتي بعده نهار"سوف تنهار لوحدك وتقول كل شيء .. الافضل ان تريح نفسك ... لانك في النهاية سوف تعترف .. سوف تبقى في التحقيق ثلاثة أشهر ...

في كل جملة يزج كلمة الاعتراف .. يريد المحقق ان يدخل هذه الفكرة الى رأس المناضل .. يريده ان يقبلها ... يريده ان ينهار ويفقد القدرة على الصمود .. يريد اقناعه بان جميع المخارج مغلقة ولا يوجد سوى مخرج الاعتراف ....

على المناضل ان يلغي هذه الفكرة نهائيا من قاموس تفكيره .. عليه ان يفكر بالصمود وما بعد الصمود نشوة الانتصار .. سعادة الرفاق والاهل والاحباء ... سمعته الوطنية والحزبية ... مواجهته للرفاق .... عليه ان يتذكر ان ضابط المخابرات الوديع الدبلوماسي سيتحول لذئب سادي .. بعد الاعتراف .. سيحول المناضل لاضحوكة وقزم .. سوف يحتقره ويفرغه من مضمونة الانساني والاخلاقي والوطني .... سوف يتسبب باحداث ازمة ثقة داخلية ... سوف يعصره ثم يعصره ويقذفه الى سلسة المهملات ...

في مراحل التحقيق الاولية يراهن ضابط المخابرات على عنصر المفاجأة .. وعندما يفشل يبدأ بالضغط المباشر والتخويف .... الشبح بكل اشكاله " واقف - جالس على الارض - جالس على الكرسي - مربوط بالكرسي ... مربوط بالماسورة .... الشبح بالخزانه او المرحاض او الدوش "التجويع لعدة أيام منع المناضل من الذهاب للمرحاض ... المنع من النوم لعدة أيام .. الضرب على الخاصرة والشد من الشعر والضرب بالباب أو الطاولة ... الدفع عن الكرسي ... دشات الماء البارد" .... وعندما تفشل هذه الاساليب ويصطدم بمناضل عقائدي صلب ليس لديه استعداد للمهاونة والتنازل ... تبدأ رحلة الخداع والحيلة والمراهنة على عنصر الخوف من المجهول ...

جهاز المخابرات يحاول ايهام المناضل بانه من المستحيل الخروج من التحقيق دون تقديم اعتراف ... وان الايام التي انقضت ما هي الا مقدمة ... فعلى سبيل المثال ... عندما تنتهي ... فترة التحقيق الاولى ... يتم مجددا التمديد لشهرين أو اكثر .. بقصد ارهاب

المناضل والايقاع به ... واقناعه بأنه لا مفر من الاعتراف ... لقد انقضت المدة الاولى ... لقد صمدت اسبوعين ... وهل ساصمد شهرين ثلاثة اربعة ... الهدف من هذه الحركة احباط المناضل ودفعه للتفكير بالاعتراف ..... فمثل هذه الحركة مدروسة ومقصوده وعلى المناضل ان لا يربط الصمود والخيانة بايام التحقيق ، عليه ان يفكر بشيء واحد فقط الصمود مهما كانت الظروف ... قد تكون هذه الحركة الاخيرة لعلها تسقط الستارة بعد ان فشل الارهاب ....

علينا ان ندرك ان عملية التحقيق مرهونة بفترة زمنية مهما طالت ، وان المحقق عبارة عن موظف موكله له مهمة للانجاز خلال فترة زمنية محددة .. فجهاز الخابرات جهاز وظيفي ... بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني ... عن البروقراطية ... وتحديد صلاحيات والمهمات ... وعندما فشل المحققون في انتزاع اي اعتراف ، بسيط جدا جدا.قالوا سنجلب المعترفين قلت لتجلبوا من تشاوؤن فموقفي لن يتغير .. قالوا واذا اكدوا الاعتراف كونك المسؤول عنهم ... قلت هذا كذب وانا لا اعرف شيئا ... كان ردي قاطعا ... عادوا فكرة المواجهة طيلة ايام كنوع من الضغط النفسي والارهاق ... وفي الوقت نفسه شددوا من عمليات الشبح المتواصل والتجويع والربط بالكرسي لعدة ايام دون نوم .... وبعد انقضاء ما يقارب الاسبوعين احضروني لغرفة التحقيق بعد ان تأكدوا انني مرهق جسديا وذهنيا ، لدرجة شعرت انني لست بوعيي ، فضربت رأسي في الجدار لأستعيد وعي ... احضروا مجموعة من ضباط المخابرات ... كان من بينهم ضابط كبير يوجد في وجهه ندبه .. خلقوا جوا متوترا وارهابي صراخ وشتائم .. بضع ساعات .. تشمير القمصان .. بدأ الدفع والضرب في الباب والشد من الشعر .. والبصق والشتائم ... لقد ركزت نظري في هذا الكبير وبدأت اشتم في داخلي ... وافكر في لطمه..

تذكرت الرفاق والاصدقاء ... الزوجه والاطفال والاهل ... تذكرت زويا الروسية وفوتشيك التشيكي وزوربا اليوناني ... تذكرت كلمات فوتشك ... " أية رجولة هذه تهاوت أمام حفنة من العصي" ....

كان الجميع يبتسم ويشدون على ايداي .. تبسمت .. طرت بتفكيري من غرفة التحقيق اصبحت بين الرفاق خارج السجن ....

وفجأه جلبوا الاول .. كان ذليلا .. ضعيفا ... متهاويا .. جبانا .. مهزوما .. بدأ يحكي بعد

ان سأله ضابط المخابرات عني ... لم امهله فتصديت له كذاب حقير .. كلب عميل ووقفت لضربه .. فشدني اثنان من الاوباش الصهاينه .. لم أوفر له فرصه لاكمال حديثه .. سحبوه الى خارج الغرفة ...

قالوا هل سمعت ماذا ... قلت هذا عميل من عملائكم .. انا لا اعرفه ولم اراه في حياتي لا تريد ان تحكي سنرى ... سوف تبقى هنا ثلاثة اشهر .. سوف يذوب اللحم والشحم . قلت انا لست بافضل من غيري ...

سوف تحاكم حسب قانون تامير . ليكن هذا ....

لقد ايقنت ان الجولة الاخيرة كانت مواجهتي بالمعترفين ، لم يجلبوا الثاني والبقية .. بدأ التهديد بالمحاكمة وكتابة تقرير خطير للقاضي ، واعطائي عشرة سنوات .. وهذا كله دلالة على الافلاس والفشل ... لم يبقى شيء يواجهونني به .. ماذا يريدون .. وعن ماذا سيحققون ... لا اريد ان اعترف .. صمت واجوبه قصيره..

قال الضابط الكبير .. اعرفهم هؤلاء .. فهم عقائديون ...

في هذه المره كانت وتيرة التحدي مرتفعة .. كان واجبا علي ان أقدم اي اعتراف او معلومة لهؤلاء الاوباش...

في ساعات الوحده والصمت والتحقيق والصراع كان دائما يقفز أمامي رفاق اعزاء جدا كيف سيكون موقفي أمام الرفاق الذين يرون بشخصي نموذجا ... كيف سيكون موقفي أمام امهات وزوجات الرفاق الذين جلبتهم ووضعتهم في موقف اصعب من الموقف الذي لم استطع مواجهته كيف سيكون موقفي وقت زيارة الاهل والهبوط الى غرف السجن وانا الذي تسبب في سجن كل هؤلاء كيف لي ان انتزع هؤلاء الرفاق من بين احبائهم .. وازج بهم في السجن مقابل ان لا اقف أيام أو اجوع او أتعب ...

سيكون قرار هيئة المحكمة قاس جدا ... الطرد من الحزب والوصف بالخائن للامانه الحزبية التي اقسمت بأن اصونها في طلب الانتساب .

لقد رفضت مجرد الاستمرار بالتفكير في هكذا وضع ، لانه اسهل لي الف مرة ان اتحدى واصمد من ان اقف ذليلا جبانا أمام رجال المخابرات الصهاينة ... ومهزوم ومنكسر أمام الرفاق لقد تعلمت من الاعتقال الاول ان لا أحسب أيام السجن ، فالزمن يمضي ... وليس المهم كم يوما قضيت في التحقيق او السجن ، الاهم كيف قضيت هذه المدة ... لقد تعلمت

انني سأخرج في حالة الصمود وسابقى اذا ما جبنت وخنت.

تعلمت ان على المناضل ان يضع امامه احتمالات صعبة جدا ... هي في الواقع اصعب مما قد يتعرض له لقد هيأت نفسي لثلاثة اشهر في زنازين المخابرات .. ولظروف تحقيق اصعب واكثر عنفا مما تعرضت لذلك كانت التجربة رغم قساوتها اسهل علي من التصور الذي وضعته لنفسي ....

في الاعتقال الاول انتظرت زيارة الاهل والصليب الاحمر والمحامي بفارغ الصبر ... حسبت كل يوم مضى كما لو كان سنة بكاملها .... لكن في المرة الثانية كان لدي هدف واحد فقط ان لا اعترف ومهما كانت الظروف قاسية ... وفعلا خرجت بعد تسعين يوما ورأسي مرفوعة مضيفا بذلك رقما جديدا في سجل نهج التحدي والصمود ... لكن هذا لا يعفيني من الاعتراف أمام الرفاق انني في المرة الاولى كنت خائفا من التشويه .. بينما في الثانية خفت من الموت في التحقيق .. وكانت معادلة صعبة عندما قارنت بين الاستشهاد والاعتراف رغم انني كنت اميل للاول على حساب الثاني ... لا انكر انني واجهت صعوبات في التحقيق مما دفعني للوقوف أمام مسيرتي الذاتية وممكنات النضال او الانطواء والانكفاء ، فهذه الافكار تراود الكثيرين في لحظات التعرض لعمليات البطش المكثف والمبرمج ضمن دراسة تستند لتجربة عشرين عاما من الصراع وتراث وخبرة الة القمع الاستعماري بهدف تفريغ المناضل وتحطيم الروح الوطنية لديه واذلاله ودفعه لخيانة رفاقه وتورته....

فالهدف المباشر للمحققين الحصول على معلومات أمنية تساعدهم في توجيه ضربة قاتلة للتنظيم وكسر الروح النضالية للمناضل ودفعه لحافة الهاوية والخروج من دائرة النضال الوطني العادي والدخول لدائرة النزعة البرغماتية والنفعية والذاتية ، واذا امكن اسقاطه وطنيا ... يبقى ان اقول ان تجربتي الثانية كانت اسهل رغم ان الادلة كانت دامغة وثابتة ضدي لكن عوامل التحشيد والتحدي التي تشربتها قبل اعتقالي في المرة الثانية مكنتني من اجتياز هذا الامر "محطة التحقيق" .

فالصمود كلمة تحمل معاني كبيرة بحاجة لاعداد حربي مبرمج وتعبئه مستمرة للرفاق وللجماهير الشعبية بالاضافة للعوامل الذاتية لدى كل مناضل .

كيف كانت تجربتي الاعتقالية الرابعة عام ٨٤ قبل ان اعتقل بعدة أيام توقعت ذلك ... همست في أذن زوجتي حتى وافهمتها بماذا تجيب فيما لو سئلت ... وطرحت عليها من باب المداعبة ماذا تقولين لو "اعترفت " ابتسمت وقالت عيب في التجربة الثالثة تحني هامتك ... واردفت انت لا تعترف مهما كانت الظروف هذه المرة ظروف الاعتقال تميزت كونه جماعيا ... قبل الاعتقال التقينا جميع المعنيين في الامر طرحنا الموضوع ودرسناه ... نقاشنا كان قصيرا كما لو كانت المسألة غير هامة وعرفنا ان لديهم ادلة ضدنا ... قرارنا كان الصمود والتحدي . وتعاهدنا ان نقول كلمة واحده تقول "لا أعرف" .. بعد اسبوعين اعتقل الاول وبعده بثلاثة أيام اعتقل الجميع ، لخلق حاله عند كل واحد .... ان الرفيق اللاول قد انهار واعترف ....

حضروا في منتصف الليل ... وباشر الضابط لماذا لم تحضر فنحن نبحث عنك ... اجبت انا لا اعمل عندكم ومن بحاجتي يأتي لعندي ....

في هذه المره لم يكن للخوف مكان وكان لدي استعداد ان لا اتكلم طيلة التحقيق اذا اقتضى الامر بدأ التحقيق فورا ... جلس الضابط مسؤول قسم التحقيق في سجن (ع) وقال نحن نعرف انك تعرف اساليب التحقيق وسبق واعتقلت ولم تعترف ... وحتى لا نطيل هذه المرة ، سوف نبدأ من النهاية .. قلت هذا افضل حتى لا ابقى فترة طويلة هنا .. قال لنرى ... تناول ملف نبشه وتناول عدة اوراق ونشرات تكفي لتشكل مادة تحقيق واثبات أولي ... لاحظوا في المرة الثانية ... استمر التحقيق ثلاثة ايام حتى واجهني بالاعترافات والادلة ... اما في هذه المرة ففي الساعة الاولى واجهني بكل ما يملك من ادلة ..

قال ما رأيك بهذه الاوراق .. وضعها على الطاولة وابرز اسمي ... قلت لاأعرف عنها شيء ولم اشاهدها في حياتي قط ... قال هذا اسمك .. قلت اسمي ولكني لم اكتبه ، قال اذا تعرف من كتبه .. قلت لا اعرف .. قال الافضل ان لا تعاود وتلي القصة من أولها قلت لا اعرف شيء هذه لا تعنيني .

هذه المرة التهم الموجهة خطيرة وهامة من وجهة نظر جهاز الشين بيت ، وهذا ما يفسر فرز ضباط الجرائم العليا ولديهم تجربة عمرها من عمر سنوات الاحتلال ...

لم اعد اعكر في عوامل صمود ، فالمسألة محسومة بشكل نهائي .. لن أقدم اية معلومات

مهما صغرت وعلي ان اسجل موقفا ثوريا ... لقد تولدت لدي رغبة باختقار المحققين ومجابهتهم لقد كنت انتظر لحظات العنف بسعادة وليس بخوف حتى يفهم هؤلاء انهم لن يستطيعوا أخذ حرف واحد في هذا الاعتقال يمكن تقسيم التحقيق لثلاثة مراحل .. الاول الاستفادة من المواد التي بحوزة رجال المخابرات حيث رافق ذلك الشبح المتواصل والتحقيق لساعات طويلة ... الثانية الضغط على افراد الاسرة باعتقال زوجتي وأمي .... الثالثة الحيلة والخداع واللعب على تناقض وجود اكثر من شخص تربطهم صلات في قضية التحقيق .

في العشرة ايام الاولى انحصر التحقيق في الاستناد للادلة والنشرات والرسائل وذلك لانها تشكل مدخلا لاستمرار التحقيق بهدف الوصول للقضية الثانية ... وبدون ذلك لا يمكن للتحقيق ان يستمر ويأخذ مسارا جديدا ، باتجاه القضية الثانية ... كما يخطط رجال المخابرات .. فشل رجال المخابرات في أخذ اية اعترا ف أو معلومة عن علاقتي بالادلة قالوا ربما الرسائل ليست لك ولا دخل لك فيها قد يكون لفلان او علاقة ... قلت انا لست مسئولا عن هؤلاء ولا اتحدث بأسمهم ... اسألوهم .. نحن نسألك .. انا لا اعرف .. سوف تنهار ولن تخرج هذه المره كالسابق .. وقلت سوف اخرج وسنرى . ... لعلك نسيت اننا نستطيع ان نحكمك سنوات وسنوات ... لن أحكم وسوف اخرج وسنرى قال احدهم عامل حالك مثقف قلت مثقف اكثر منك بالتأكيد... قال نتناقش .. قلت لست في سهرة حتى اتناقش .. ولا في وضع ..نقاش ... قال الثاني .. سوف تندم على فلسفتك ، سوف ندمركم ، سنجعلكم تندمون على عنادكم ... وسوف اجلب امك وزوجتك وأخوك وحتى عظام ابوك من القبر ... قلت ليكن فلن يخسروا فهذا ليس غريبا على ديمقراطية اسرائيل.....

لم اشعر ان هناك جديد في اساليب التحقيق " فالشبح والكيس والربط من الخلف" والشبح بالخزانة والحمام والمرحاض "هي نفس الاساليب وان كانت فترة التحقيق تجاوزت الشهرين .. لكن الجديد هو قدرة ضباط التحقيق فهؤلاء من النوعية الهادئة والتي تتحلى بمنطق وقدرة عالية على تحليل الاشياء وربطها .. وهم يعتمدون على خبرتهم الطويلة ونفسهم الطويل في التحقيق ...

فشل الضغط بدأت الخدعة بالاضافة للضغط ... لا تريد ان تعترف ... لقد اعترف "س" عليك قلت بلا اكتراث اذا قدموني للمحكمة ... فانا لا اعرف شيء ... سحبني من احدى

الخزانات ورفع الكيس عن رأسي الى احدى غرف التحقيق وفتح الباب ، حيث كان "س" وامامه كأس من الشاي ويكتب على ورقة ... ادار رأسه بسرعة وغمزني بعينه ... سحبه الى غرفة ثانية وبعد دقائق اخذني الى نفس المكان الذي جلس فيه س . قال اجلس . تناول ورقة وقدمها الي ... وقال اقرأ ... دون ان انظر للورقة قلت لا قال مش مصدق ان س هو الذي كتبها هذا خطه انظر ... وبسرعة قام احدهم وذهب واحضر س .. وسأله أجاب ولم يتركه يكمل كلامه وسحبه ثانية ... قال ماذا تشرب .. شاي .. قهوة .. قلت لا اريد... قال الا تحب ... اجبت أحب ولكني لا اريد .

ضحك بسخرية وقال .. هذا ما علمك اياه كتاب فلسفة المواجهة ... واستدرك قائلا مل قرأته . قلت لا ... ولكني سوف اقرأه في المستقبل . قدم الورقة ثانية وقال اقرأ .. قلت لا اريد ... صرخ اقرأ يا ابن .. لن اقرأ فأنا لاأقرأ غير خطي ...

قال سوف اقرأك الاعتراف ... قرأها بصوت مسموع ... قال مارأيك .... قلت كلام فارغ ... قال المحقق صحيح هذا كلام فاضي ولا يقدم أحد للمحكمة ... واضاف نريدك ان تكتب مثله ... احضر ورقة وقلم وابتسم ... قلت تريد ان اكتب مثله مسكت اقلم .. سألته ماذا اكتب .. قال ... بشرفي انني اصرح ... قاطعته عن اي شرف تتحدث وهل بيني وبينك يوجد شرف .. أنت محقق وانا متهم ولا توجد علاقة قال بلاش .. اكتب اذا ... انا الموقع ادناه اصرح بمحض ارادتي ... قاطعته ثانيه هذا كذب لو الامر يتعلق بارادتي لكنت في منزلي ... شتم .. وصرخ .. انت المحقق ام انا ... ونهض في حركة هجومية ... فأوقفه الثاني قائلا لا داعي فهذا شخص متعلم ومثقف ... عاد لهدوئه .. قال اكتب قاطعته قائلا ... بتعرف حتى لو نزل ربك وقعد على الطاوله ان اكتب حرف واحد....

تحدث فتره مع الضابط الاخر بالعبرية وشتم ابن زنات ابن شرموطه .. لا تمشي معه هذه الافلام وصرخ لقد انتهت الفلسفة وسوف نبدأ بالمواجهة ... لا يعرف هذا المحقق الصهيوني انني اعلنت المواجهة من اللحظة الاولى للاعتقال . لا بد من التأكيد على ضرورة عدم الكتابة مهما كان المضمون ... فالمحققين يستخدمون كل حرف مكتوب بطرق مختلفة ... على سبيل المثال ما كتبه "س" ليس اعتراف ولا افادة ... لكنه كلام له اكثر من تفسير واكثر من ...؟ وارادوا به الايقاع برفيق أخر .. وفي نفس الوقت توقعوا ان اقع .. في سياق عملية التحقيق حاول ضباط المخابرات استغلال وجود اكثر من رفيق على صلة

بالقضية .. في محاولة للايقاع والايهام بأن احد الرفاق قد اعترف ... أو الاستفادة من معلومات قدمها مناضل ضد آخر ... لهذا لا بد من التأكيد على مسألة غاية في الاهمية ... على كل مناضل ان يجيب على الاسئلة الخاصة به فقط ... اما الاسئلة التي تخص الاخرين عليه الامتناع .. والقول انا لست مسؤولا عن .. فلان ... اسألوه ...

في احدى جولات التحقيق بدأت علامات النرفزه والغضب على وجه احدهم ... بدأ يصرخ ويشتم ... قابلته بابتسامة استهزاء بعد ان ادرت وجهي عنه ... صرخ قائلا مش عاجبك يا ابن ... قلت بهدوء لا مش عاجبني ... قال اذا لا تريد ، سوف لا أحقق معك ... اجبته زي بعضه ... بعدها خرج ولم يظهر نهائيا ... انسحب الاول وتقدم الثاني تغير المحقق علامة الهزيمة التي لحقت بجهاز المخابرات ...

بدأ الثاني واثقا من نفسه هادئا .. لجأ لاسلوب تحليل المعلومات التي بحوزته بشكل منطقي وبعد ان انتهى .. قلت له ان خيالك قريب من خيال "أجاثا كريستي" فهذا الكلام يحدث في الافلام السينمائية .. ليس له صلة بالواقع ..

لقد حاول ان يؤكد كل قضية كما لو كانت ثابتة ولا مناص منها .. كان الهدف دفع المناضل للاعتراف ببعض .. التهم وخاصة البسيطة .... فعندما فشل ضابط المخابرات في انتزاع اعتراف صريح وواضح ,, بدأوا يلجأون للحيلة والمقايضة ... فالتحقيق معي حول قضية من شقين الاولى توجد ادلة واثباتات حولها.... المخابرات يكررون جملة واحدة في كل جولة تحقيق " نحن نعرف انك لست عسكريا " وقضيتك بسيطة ... ومن الافضل لك ان تعترف " حتى لا تأخذ مؤبد كشريكك ... ولكن مطلوب منك اثبات عدم وجود صلة لك بالجهاز العسكري ... بعض المناضلين قليلي الخبرة والوعي يقعون في الفخ فيقدمون اعترافات سياسية وتنظيمية في محاولة تبرئة انفسهم من القضية الخطيرة اي الجهاز العسكري ... وهم بهذا يقدمون خدمة مجانية لجهاز المخابرات ويتسببون بضربة أمنية ... وهذا ما كان جهاز المخابرات وضباطه يخططون له محاولين خداعي ... من خلال تقديم اعتراف على الشق الاول من التهمة ، لتبرئة نفسي من الشق الثاني والخطير ... كنت متيقظا لهذه الحيلة ... موقفي كان التصدي لكل شيء وتفويت الفرصة على المخابرات وحماية الرفاق ... بالنسبة لي .. الخيانة ان تحمي نفسك على حساب الاخرين .. المناضل الحقيقي من يحمي خندقه حتى الرمق الاخير ... واذا امكن خنادق الاخرين .

كان في القضيه شهود ... بعدما يزيد عن عشرين يوما ،أحضروا الشاهد الاول بشكل مفاجيء دون سابق انذار في محاوله لارهابي ، تمت المواجهه باعصاب قويه ودون تردد فتحول الشاهد الى مدافع عن نفسه على اعتبار انه ليس عميلا وهو غير متأكد من المعلومات التى اعترف بها وكانت المواجهه في صالحي ... بقى شاهد اخر لم يحضروه بسبب وفاته في حادث سير ، كانوا طيله التحقيق يهددونه باحضاره على اعتبار انه شاهد قوي ... وبصراحه في بدايه التحقيق كنت افكر في كيفيه مواجهته ... مما تسبب لي بقلق وارهاق نفسي وجسدي ... زلكن بعد مرور عده ايام اتخذت قرارا نهائيا بعدم التفكير في هذا الموضوع لانني قررت ان اقول لا اعرف وهذا كلام كذب ... وتساءلت وماذا يعني ان يحضر الشاهد الاول او الثاني والثالث والرابع ما دمت سأقول " لا كذب " ...

بعد كل جوله تحقيق لا بد من جلسه لمسح .... وتحليل كل كلمه قالها المحقق او المناضل ، يجب تحليل نفسيه ضابط المخابرات ... فهو يفعل نفس الشيء مستندا لمعلومات وادله واعترافات والمناضل مستندا لمعرفته الكامله بحيثات القضيه ... يعرف متى يكذب عليه المحقق وعليه ان يحلل لماذا يكذب ... يجب محاربته بنفس السلاح الذي يستخدمه ... الهدوء والشجاعه والنفس الطويل ... القدره على التحمل والصبر ... " اللي ينتظر الحصرم يأكل عنب " " ان احلك الساعات ما قبل بزوغ الفجر " ... ضع نفسك في موقف اصعب مما أنت فيه اذا شبحت يومين ... هيء نفسك لاسبوع ... واذا جعت يومين لا تطلب الاكل في احدى المرات لم يقدم لي الاكل ليومين ... قلت لضابط التحقيق هل يوجد قرار بالتجويع ... قال لا ... قلت اذا وجد فلن اطلب الأكل ابدا .....

بعد ان ادرك ضابط المخابرات استحاله تقديم اعتراف او كتابه ، حاول ان يناور معي مره اخرى ... قال سوف اسألك عن اشخاص ... وهو في الحقيقه يقصد شخصا واحدا فقط ... بهدف قياس رد فعلي وطريقتي في الرد ... تناول ملفا ضخما ووضعه على الطاوله نبش اوراقه وسألني عن اسم شخص ... ذاكرا اسمه الاول والثاني ، ولم يذكر عائلته ... قلت لا اعرفه . قال فلان ابن فلان اين فلان ... قلت هذا اسم ابي تنشبون ترابه ... ضحك بصوت عالي وبدأ يصرخ على المحققين الاخرين مناديا اياهم ... لقد اعترف " فلان " فلان " اعترف " ... وعندما حضروا .. قال لقد اعترف انه يعرف أبيه ... وبدأوا يتهامسون بالعبريه . كنت على اتم الاستعداد في هذه المعركه للاستشهاد دون خوف او تردد ... ففي سياق

عمليات الشبح المتواصل اغمي علي مرات ... قلت ما الفرق بين الموت والاغماء ... كنت ارفض ان اطلب النجده من السجان ، كنت اقاوم حتى لا اسقط على الارض وأبقى أقاوم حتى اسقط مجبرا على الارض ... نفس هذه التجربه حسمت موقفي بالمطلق بجانب العمل الثوري ، فالهواجس التي برزت في التجارب السابقه لم تخطر ببالي ، ففكره الاعتراف لم اناقشها ذاتيا ، مجرد التفكير بذلك رفضته نهائيا .... فهذا العنصر الهام يشكل ركيزه رئيسيه في الصمود والتحقيق لم ابذل جهدا كبيرا في عمليه التفكير في كيفيه تحدي المخابرات والصمود ... لقد تعاملت مع هذه القضيه كشيء مسلم به ولا بديل عنه ... ففي ايام التحقيق الاخيره حصلت المخابرات على بعض المعلومات في غرفه " العار " من رفيق اخر ... حيث تم استدعائي لغرفه كان بداخلها طاقم التحقيق في سجن الخليل قال الضابط الكبير ... اجلس على هذا الكرسي ، لقد جلبناه خصيصا لكم ... قلت أنا مرتاح على هذا الكرسي ، كرسي اخر ... لقد عرفت ان هذه الجوله نوع من السخريه بمقدرتنا على الصمود ونوع من الاستفزاز لي .... وفي وضع كان الضابط الكبير يشعر بنشوه الانتصار بعد حصوله على معلومات بسيطه ..... ففي مراحل التحقيق الاول وعندما فشل في انتزاع اي اعتراف ....كان يخفي رتبته في جهاز المخابرات وفي اكثر من جوله كان ينفي انه قادم خصيصا للتحقيق معي وان وجوده هنا صدفه لا اكثر ولا أقل على مدار شهر ونصف ؟؟ ولكن هذه المره قال بتبجح لقد قلت لك ان ابو " فلان " لا يمسك قضيه ولا ينهيها ... نظرت له بسخريه ... تبسم الضابط ومعه الاخرين .... تناول مجموعه من الاوراق ..... صاحبك اعترف اخيرا في غرفه " العملاء " " فهم يستخدمون مصطلح العصافير " والان في السجن يطلق عليهم "غرفه الصراصير " ....

قلت هذا شيء لا يعنيني .... طرح الاوراق بالقرب مني فلمحت اسم "س " عليها ، تأثرت حزنت وغضبت وزاد حقدي الف مره على هؤلاء المهاينه لانني كنت على يقين بأن الرفيق " س " لا يمكن ان يقدم اعترافا مهما كانت الظروف ... ولكنه وقع في فخ غرفه العار ... وبعد ان تم تمثيل مسرحيه من عده فصول وعلى مدار ثلاثه اسابيع ....

قال اخر هذا عام تصفيه ج ش و ج ء وفتح .... قلت له اسأل " ابو .... " فهو اكبر منك ويعرف اكثر ...فهذه المعزوفه عفا عليها الزمن و ج ش و جء وفتح وعموم الحركه الفلسطينيه أقوى مما كانت عليه في عام ٧١ بدأ الحديث " ..... " قائلا ليس هذا المهم ....

المهم انك سوف تاخذ وقف التنفيذ " ثلاثه سنوات " وسوف تبقى في الزنزانه ثلاثه اشهر ولوحدك في زنزانه "١٣" .....

قلت لعلك سمعت " بفوتشيك " .... صرخ احدهم لعله فلسطيني بسخريه ..... قلت بسخريه لكنه ليس يهوديا ..... وجه كلامه الضابط الكبير بالعبريه ... يقارن نفسه بفوتشك ابن الزنات ...

قال الضابط الكبير ولكنك لست فوتشيك .... قلت صحيح ولكن على الانسان ان يدرس التاريخ جيدا ... قال فالتاريخ يعيد نفسه ... قلت لقد انكرت ذلك قبل اسبوع عندما قلت ذلك انا ... ورفضت الفكرة لان ماركس قالها ... تبسم وقال معك حق ... قلت سجل فهذا واحد صفر في صالحي ...

قال رغم ذلك ستأخذ وقف التنفيذ ... قلت فانا احب القراءة ولن اخسر في السجن ما دام يوجد كتب كثيرة ... فأنا بحاجة لقراءة المزيد من التاريخ ... واضفت قائلا ... وانا سعيد ومزح بوجودي في زنزانة انفرادية ... وعلى استعداد وامام طاقم التحقيق ، ان اقضي الثلاثة سنوات في زنزانة . لوحدي وهدية مني لك شهر بخشيش كانوا يريدون ان يسخروا مني فسخرت منهم ... تحديتهم وكما يقول المثل "ليس كل الطير يتاكل لحمه" في النهاية لا بد من التأكيد على بعض المسائل الهامة والصغيرة ....

× اولا : في مجرى التحقيق وعندما يصطدم المخابرات بمناضل صلب يبدأون بحياكه الحيل وكي ينجحوا في ذلك فهم بحاجه لرصد وضعه النفسي وردود فعله بعد كل جوله تحقيق ... عن طريق عميل يضعونه في نفس الزنزانه ولمده طويله قد تستمر لمده شهر مثلا ومهمه هذا العميل هي رصد وضع المناضل النفسي وليس اخذ معلومات امنيه .... فاذا صارح المناضل هذا العميل انه يرتاح الى المحقق (ا) لانه لا يجيد التحقيق ولا يرتاح للمحقق (ج) مباشره ينسحب (ا) .... اذا قال الشبح على الارض افضل من الوقوف ....تبدأ المخابرات بالشبح على الواقف ..... اذا قال ان دشات الماء البارد ثقيله ..... يركزون على ذلك ..... واشياء كثيره تحدث طيله وجود اثنين معا في زنزانه لمده قد تزيد عن الاسبوعين فالمطلوب من كل مناضل ان لا يحكي ولا يصرح ولا يفصح عن حالته النفسيه في التحقيق وان أراد فعليه ان يبرز روح التحدي فقط .....

× ثانيا : في الزنازين يجب على المناضل ان لا يدخل في اى نقاش عن التحقيق ولا عن

التهم الموجهة له ويكتفي بالحديث عن الاشياء التي لا تخص التحقيق ولا السجن ولا السياسه ، يسمع اكثر مما يتكلم .... يفكر في كل كلمه ولا يثق بأحد مهما كانت عوامل ومسببات الثقه ..... والافضل ان يتعامل مع كل من يصادفهم على اعتبار انهم عملاء

احذر من الزنازين التي تشترك بشباك صغير أو باب خارجي مشترك ..... فهي فخ والمخابرات تستفيد من كل كلمه تقال من هذه النافذه الصغيره وبطرق مختلفه .... كأن يضعوا عميلا في واحده بالاضافه لأخرين لهم قضيه مشتركه .....عليك بالحذر .... فالوحده والانفرد ليس مبررا لثرثره والكلام الحزين والصمت والهدوء والصبر هي قيم على المناضل ان يجيدها كما يجيد الحديث في السياسه .

احذر من الاشخاص الذين يقفون الى جانبك وانت مشبوح .... ليس كل مشبوح بطل .... قد يكون عميل وهدفه توريطك في ..... كأن يقول لك " فلان " وهذا مرتبط معك في نفس القضيه يقول لك كذا وكذا ..... بهدف ان تقول له بعض الكلام الهام وبهذا تقوم بمساعده للمخابرات دون ان تعلم .....

هذا جانب أما الجانب الاخر فهو ان يقوم العميل في نصف دور مساعد في انهيارك وبدفع من ضابط المخابرات عن طريق تخويفك من التحقيق واساليبه وكيف انه صمد فتره طويله ولكنه لم يتحمل ظروف التحقيق القاسيه والتى لم تمارس ضدك بعد ..... يحكي لك قصه من الخيال عن شخص قد تسبب ذلك في تشويهه أو بقاؤه ثلاثه اشهر في الزنازين ..... أو كيف تم نقله الى سجن المجرمين هناك اعتدوا عليه بشكل وحشي ..... او كيف بعثوه لغرف العملاء وهناك اعتدوا عليه ..... الخ .

ولن نكون الا كما علمتنا اياه الشيوعيه والى الامام .

تجربة رقم ٧

القناعة العقائدية اقوى من اجهزة القمع

بدأت التداعيات تتفاعل في داخلي لدى سماعي بقدومهم الى البيت ، قبل الاعتقال باسبوع وقد تحددت هذه التداعيات بالافكار التالية "أتصور المحقق الذي انتزع مني الافادة في المرة السابقة وأهتاج من الداخل ويتولد الدافع للذهاب اليهم قبل ان يأتوا ، واعود لا تصور انهيار عدد من الرفاق ، لأتصور المحقق الفاشي يتربع على كرسي يتفاخر ويهتز من الضحك حتى تسري في دمائي حرارة غريبة تدعوني لتقريب ساعة المواجهة وفي ليلة اعتقالي وبمجرد طرقهم على الباب كنت مهيئا لاستقبالهم ، فتحت الباب بهدؤ وصرخت بهم كي يخففوا من طرقهم على الباب واقول لهم ما كان عليكم القدوم فلو ارسلتم طلبا لقدمت اليكم بدون الحاجة لاحضار ثكنة جيش كاملة . وتعمدت افتعال مشكلة معهم عندما طلبوا من اختي الحديث معهم حتى انزع من داخلها اي اثر لهيبتهم وابدأ معهم المعركة .

وفور وصولي الى السيارة ، كانت افكاري ساخطة وتلك الكلمات ترن في اذني " اليوم هو المحك " عليك ان تتأثر لحزبك ولنفسك ، من اللذين دنسوه ولنفسك لأنك ضعفت في المرة السابقة وقدمت للجلادين اعترافا . هاقد حانت ساعة الثأر وقد كانت كلماتي جافة حاقدة مع كل من قابلني : جندي شرطي السجن ، المحقق ، دون ان اتعمد ذلك فقد كانت عفوية تعكس التفاعل الذي يدور بداخلي . فما هي تداعياتي النفسية في خضم عملية المجابهة مع المحقق وجها لوجه؟

ما ان رأيت وجه اول محقق حتى ابتسمت ساخرا من ترحيباته وثقته العالية بنفسه ، فصور الشخصيات التي قابلتها للمرة الاخيرة في حزبنا وخاصة الاكبر سنا من بين الجميع كانت اقوى بكثير من هذه الشخصيات الهزيلة التي تمثل امامي القوة . فقوة رفاقي في المحطة بشروط حياتها ، تضحياتها ، عقائديتها كانت كلماتها وتوجيهاتها التي تلمسها من خلال الاعين الوجوه الباسمة والحزينة كانت اقوى تأثيرا بما لا يقاس من صوت المحقق المغرور الذي بدأ صوته ناعما يداعب اذني ولا يخدشها .

لم استطع الاستماع لحديثه فقد كان صوت الجميع ، احب علي من سماع صوته الذي بدأ باستعراض قوة جهازة وضعف حزبنا ، وثقته بأن سيأخذ مني ما يريده ، فقاطعته عدة مرات طالبا منه ان يختصر ويكسب وقته وليبدأ عمله ، حيث انني لا املك ما اقول له سوى انني لا اعرف شيئا عما يتحدث وهذه الكلمات ستكون الاخيرة ، وباختصار كنت

مقتنعا انني لن اعترف بشيء حتى ولو فصل رأسي عن جسدي وانني اواجهة بجسمي شكلا ولكنني احمل قوى الجميع التي كونت سلاحي في المعركة. وقد كان يزيد من اصراري ميزة المحققين التي بدت واضحة من خلال كلماتهما الى اسقطوها عفويا من ان مسؤولي الجبهة لا يجرؤون على الاعتراف خوفا من الجبهة واصحبها بداخلي "لانهم جبهويون يحبون الجبهة" . الوجوه التي كنت اتذكرها واسمع اصواتها واتصور حبهم المرسوم على وجوهم وفي معاني كلماتهم للرفاق وللحزب وخاصة الاكبر سنا في المحطة ، وعلي ان اكون جديرا بهذا الحب ، جديرا بالثقة التي منحوني اياها ، اتذكر الشهداء ممن عرفتهم فيزداد غضبي ، كنت اشعر انني احمل امانة حفظ رصيد عمل مجموعة نذرت نفسها للحزب وشيدوا البناء وعلي الوفاء بها بعد ان خانها العديد ممن رأيتهم وسمعت عنهم وعن مواقفهم والذين كانوا كأكياس خيش مهترئة امام الاعداء سمعت الجلادين يسخرون منهم ويدعون بأنهم تغلبوا على بعض قياديي الجبهة واجهزتها فازداد اسرارا .

ثلاثة مواقف اخرجتني عن هدوئي ودفعتني لاستفزاز الجلادين والتصعيد من جانبي : الاول عندما حاول احد الضليعين بالتجارة والمساومة والصفقات "ان يحل معي المسألة بعد ان فقد الاول" وعلى حد تعبيرة " على فنجان قهوة وكلام مسؤول لمسؤول " حينها تذكرت من خانوا الحزب وعقدوا الصفقات ، ومن لوثوا شرف الحزب وجعلوا هذا الفاشي المغرور واثقا بقدراته على شراء رجال الجبهة مستهينا بجهود وعمليات البناء والتأسيس للعضو الجبهوي . وفي هذا الموقف كان علي ان ادافع عن الجبهة وخطها السياسي والعقائدي والنضالي وقدرتها على المواجهة لطريقته الرخيصة والصورة التي لا توجد سوى في خياله لعضو الجبهة،الذي اعتاد التضحية ولم يتعلم التجارة ، هذا الاسلوب دفع المحقق للدفاع عن نفسه وعن الصهيونية وعن عقائديته وعن احترامه لمسؤولي الجبهة . تبدى امامي كالقزم وقارنت بينه وبين من احببتهم فوجدته اقل من صرصور قياسا بالجميع وبكل فرد منهم .

وقد شعرت بالانتصار كحزب لا كشخص عليه وقد رأيت صورته ، ومن خلال حديثه ، بأنه يستجديني لانهي التحقيق بأي معلومة حتى يستريح كموظف مقدما كافة التسهيلات الممكنة حتى لا يفشل .

الثاني :- عندما قدم احد المحققين القدامى والذين استطاعوا اخذ بعض الاعترافات مني في المرةالسابقة حينها شعرت بأنهم يستعرضون وانه يجلس كالمستشار الضليع فخرج الدم الى وجهي يغلي كالجمر من شدة الحقد . وبصعوبة استطعت ان احافظ على هدوئي وكلامي المتزن لأ قول له ببساطة قد تتخيل انك اخذت مني بعض او كل ما اعرف في المرة السابقة لكني اقولها لك وبكل صراحة ودون خوف او مكابرة انني اعترفت فقط لاني كنت اعتقد انني اقدم خدمة للجبهة وليس خوفا منك او ترحما على

نفسي وبامكانك مراجعة الملفات . والان اقول لك تأكد من ذلك بنفسك من قدرتك فأنت تملك الامكانات والاجهزة وانا املك قناعاتي القوية وجسمي الضعيف الامر الذي دفعه للتوضيح انه مر من هنا صدفة ولم يأت للتحقيق معي وهو يعرفني جيدا لكنه ينصحني ان اهيأ نفسي للحكم الطويل .

الثالث:- عندما تيقنت بأنهم قد توصلوا لبعض جواهر الكنز الدفينة ورأيتهم سعداء للنصر الذي احرزوه ، وقد ولد هذا الموقف الامانة التي احملها، والتي يجب ان يضاعف الفرد عملية المجابهة التي ولدها الالم والحقد عليهم وعلى غرورهم لتبهيت هذا النصر الذي يشعرون به وتحويله الى هزيمة يحسون بها ويجب ان نلمسها ويلمسها الجميع .

واخيرا فان المناخ الحزبي والحب الرفاقي الذي كنت احس بأنه يظللني في كل لحظة من لحظات المواجهة وحبي للجميع وللحزب ونضالاته وحراسه الاوفياء وانتمائي لهذا الحزب ، كل هذه عملت على تعزيز الموقف الذي اكتسبته من التربية الجديدة في حزبنا لقول كلمة "لا" دون تكلف او تعلثم او عناء لتكون صرخة لا في الزنازين فقط بل في الشارع الفلسطيني العام ايضا ، للتعبير عن الصورة الحقيقية لعضو الجبهة الذي شوهه الاقزام ، الذين داسوا على شرف الحزب وشرف عضويتهم فيه . وقد كنت ارهن عضويتي بحزبيا حتى تجاوز الموقف الذي يجعلني جديرا بالعضوية الحقيقية لحزبنا المكافح ...

هناك عوامل اخرى لصمودي فقد كان صوت زوجتي واولادي يسلحني بالقوة ... تخيلتهم مرفوعي الرأس معتزين اضافة بأنني لم املك اصلا سوى ان اقول "لا" فما هو مطلوب مني كثير . ان المعركة التي يخوضها الجلادون مع حزبنا ورغم خسائرنا لم تشعرهم بضعف اعداد العضو الجبهوي بل صرحوا علنا ان الصغار من اعضاء الجبهة اتعبوهم في التحقيق قبل ان ينتزعوا منهم الاعترافات ، وكتاب فلسفة المواجهة والذي كانوا يتعمدون تسخيفة كنا نشعر بقوته من خلال العبارات التي اسقطوها عفوا ودون قصد.

وفي النهاية انني لا اضع شيئا خارقا سوى الموقف الطبيعي الذي كرسته طلائع الصمود ممن سبقوني وبنوا الجدار النفسي الاول بين العضو والاعتراف ، وخلقوا القناعة ادى جهاز رجال القمع ان الجبهة غنية بكادرات تعمدت ولن تجدي معها كل اساليب البطش وعليهم الاقرار بذلك .

تجربة ريادية

قال لي الرفاق انا طلبتك سلطات الاحتلال اذهب اليهم واجههم واهزمهم فشرف الحزب بين يديك ويجب ان تحميه ، وان تحطم هذا السور الرهيب وانت لست الاول ولا الاخير

، وبالفعل تم اعتقالي ولم يراودني اي خوف او تردد في المواجهة ولماذا اهاب ، وانا ابن الحزب العظيم ابن الدم والبارود ، لماذا اهابهم ، وانا انتمي للانسانية لماذا ارهب هذه الحثالة البشرية تلك العصابات الفاشية لماذا اهابها وانا اقف على ارضية صلبة ، كنت ادرك انني ساعيش وضعا رهيبا في التحقيق ولكني انتمي لمجوعة مقاتلة انتمي لكل حبة في تراب الوطن ، انتمي لكل تراث البشرية التقدمي فأنا ثوري بذلك قدرة انتمائي هذا ، وهم اقزام امام كل ذلك فهم ينتمون الى عالم القمع والوحشية الى قطعان النازين والفاشية الذين هزموا ، وبالفعل فالتاريخ قطعا وبالضرورة سيدوسهم ويخلفهم وراءه وستسير البشرية قدما نحو التقدم على اشلائهم وايدلوجيتهم.

منذ اللحظات الاولى للتحقيق حاول الصهاينة اضعافي واشعاري بأنني فرد وجسد بشري له قدرة محدودة على الصمود والانكار حاولوا ولو بكل الجهد عزلي عن انتمائي الوطني والقومي ودفعي للتفكير في اللحظة فقط ، ضغطوابكل الامكانات ارهقوا جسدي بالسهر الطويل والماء البارد والشبح والضرب والهجوم النفسي وغيره من اشكال التعذيب نقلوني من مكان الى مكان وكانت نقطة تركيزهم انني شخص ضحية ووحيد ، العالم يسير سيرا عاديا وانا ملقى على الارض . وانهم هم من يستطيع انقاذي وانهم يمدون اياديهم لي وان جماعتي سالمين وما شابه ذلك وكنت ارى الدم في اياديهم الممدودة ، فالهدف من كل هذا دفعي للتفكير الذاتي لحماية جسدي من الالم المؤقت ، خلق تشويه والم دائمين حياتي ونفسي ووجودي اذا خنت رفاقي ، ففي اوقات التحقيق يتكشف العالم في عيوني وذاكرتي وقلبي وكياني،اسماء الرفاق تتردد ، من استشهد منهم ،ومن هو بالغربة ومن هو معتقلمن لا يزال يسير على خط الحزب ، والثورة ، ارى البيوت والاطفال والدم والمخيمات وكل الجروح المحروقة ، استرجع ذكريات حياتي تاريخي وعلاقاتي بالحزب والرفاق والجماهير ارى من احب ، وتجمع عيناي صور الداخل والعالم كله وترد في مسامعي كل اغاني وسهرات الوطن ، اذن انا قوي جدا بكل هؤلاء فلماذا اخون : انا ابن كل ذلك لماذا لا اهزم القطعان الفاشية التي هي اصلا مهزومة وهم يدركون ذلك ، ويعملون كل جهدهم لهزناتحويلنا الى اشلاء بشرية فالقضية فقط قضية وقت ونشاط ما دمت اعيش هذه المعادلة فانا قوي اقوى منهم ، اذن يجب ان اهجم عليهم وكيف ذلك ان لا امكنهم من نفسي وان لا اعطيهم الفرصة لايجاد اي ترتيب ذاتي في دماغي وتفكيري يجب ان اوضح لهم ان الحزب الجماهير والثورة هم اقوى حقيقة من حقائق العصر ، في كل اللحظات لم يغب عني معنى الصمود لم يغب عن ذهني صورة امي وابي واطفالي وزوجتي واهلي ورفاقي والحركة الوطنية ، وصور الشهداء البيوت المدمرة اين اكون من كل هذا اذا خنت ، وجودي فانا منتمي والانتماء يعني الموت لاجل الحياة يعني الحياة الجمعية فاذا انفرط ذلك فقد مكنت

اعدائي مني ، فهم يعادون الجموع واي مفهوم تنظيمي جماعي ويضعون جهودهم لتفكيك اي وضع منظم ، كنت ادرك انهم شنوا حرب لبنان بهدف وقف وقمع الانتظام الجماهيري الفلسطيني والعربي والعالمي خلف منظمة التحرير ، كانوا ولا يزالون يدركون معنى الفكر السياسي المنظم للجماهير ، ولذلك يضعون كل امكاناتهم السياسية والمادية والنفسية لضرب اي شكل منظم وواعي وهذا ينطبق على عقولنا ومواجهتها في التحقيق ، فهم اعداء للتقدم والانسانية والديمقراطية لقد استطعت من التحقيق فهم الصهيونية على شكل اوضح فالمحققون الصهيونيون يعملون اطار المشروع الصهيوني الكبير ويدركون ان وجودنا الثوري يعني هزيمتهم فلذلك يسخرون كل الطاقات والدراسات لهزنا.

اذكر انه في يوم من ايام التحقيق كنت في غرف التحقيق . كان المسؤول احد الضباط الصهاينة المتغطرسين عصبي المزاج لانه لم يقدر هزمي كان معه مجموعة من ادواته ضغطوا عليبقسوة ومنعونيمن الكلام لأنني ، باستمرار احاول ان اعمل على قطع تسلسل تفكيرهم فهم يصممون البرامج والخطط لكل حالة ويسيرون عليها ويجب علينا باستمرار عدم السماح لهم بطرح خططهم وقطع تسلسل وانتظام طرحهم ومنعهم من التأثير علي كنت كلما احاول الرد لافشال خطتهم يمنعوني من ذلك واستمروا ساعات طويلة في التحقيق معي وفي كل لحظة يتصل المسؤول ويقول لهم ان فلان جيد واوضاعه تسير بشكل عادي ويأتي محقق ويروح اخر ، تأتي ورقة وتذهب ورقة واتصالات تلفونية مستمرة ، وانا مرهق الجسد وقوي الارادة عندي تصميم وعناد ، كنت في داخلي مقسم فاهدافهم واضحة وسأفشلها فاين هم واين قوتهم امام كثير من الرفاق الذين عرفتهم ، في اخر التحقيق قال لي الصهيوني انا تاجر ، انت متورط وتملك قضايا كثيرة وانا لا اريد لك السجن اريد ان تخرج لاهلك انت الان تحت رحمتنا نحن نقدر على ارغامك ومنعك من النوم وعندها قال لي انت متعب خذ صندوق دخان . اذهب الى الزنزانة كل واشرب وارتاح وبعد ساعة اضرب على الباب ، وقل للسجان انني اريد مقابلة الضابط فلان فكر جيدا اننا نعمل على انقاذك ، وهنا وقفت وصرخت به قلت له تريدني ان اصبح عميل رددتها ثلاث مرات واهتز لها كل كياني لمجرد التفكير بذلك تحديتهم وقلت لهم لا فقال لي هذه تجارة تعطيني بيد اعطيك بيد اخرى،قلت له انت تطلب مني ان اشرب دم امي واطفالي واهلي فاغتاظ العنصر الصهيوني وصفعني صفعة قوية تعبر عن هزيمته وقال لي سترى سأحكمك كذا سنة ستموت في السجن فانا خلفي دولة وانت لوحدك انزل الى السجن وسيضيف لك اعضاء الجبهة بأنك بطل ولكنني سابقى وراك وسأدمرك قلت له هذا قدري قال لي هذا ما سنحدده نحن فنحن اقوى منك ، وهنا شعرت بانني قوي بصورة اكثر من السابق ولقد رويت هذه الحادثة لاحد من خان قلت له لو فكرت مجرد تفكير بأخذ راحة واستلام صندوق السجاير لا عتبرت نفسي خنت الحزب والثورة والجماهير .

لقد واجهوني بمن اعترف علي رأيت في وجهه الهزيمة والالم والضياع شعرت انني امام كتلة من اللحم لا ارادة فيها ارادته بيد المحقق وجه شاحب وعيون داكنة لا تستطيع النظر الى اعلى ابدا كنت اقول لا بقوة وبصوت عال وبتحدي وهو يقول نعم بصوت خافت ضعيف ، لم ارضى لانسان ان يقف هذا الموقف الذليل حزنت وتألمت هذا بسبب هشاشه الانتماء فأي حدث يهزم هوءلاء لقد كان انتمائه ضعيفا فهزم امام اختبار بسيط ، وبعد تلك المواجهة وبعد انكاري وبعد عجزهم جاء مسؤول المخابرات وقال لاتباعة ارموه اسجنوه ، احكموه لن يعترف فنحن نعرف هؤلاء وعاد وسألني هل قلت له نعم قال هل اعترفت قلت له لا يوجد لكم شيء عندي ولا يوجد شيء اعترف به ، وهنا اكد عليهم ان لا طائل من التحقيق معي وهددني بأنه سيكتب تقرير للمحكمة وسيتابعون محاكمتي على قانون تامير .

وبعد ذلك وبعد المواجهة سجن السافل الذي اعترف علي كضغط عليه وضربه اكثر ، لقد شعرت انني ملكت العالم كله وانا الان منتصر وغنيت اغاني الوطن رغم ان صوتي سيء سمعت ذلك الواشي اغنياتي في محاولة لاشعاره ان القيد يزيد عضو الحزب اصرارا ولانقاذ ما تبقى لدية من صور الانسان ، وبعد اقل من ساعة انزلوه الى السجن وقال لهم ان المخابرات وضعت خلفه شخص تكلم معه وغنى له وعند ما نزلت الىالسجن قلت لهم انني انا من غني اغاني الوطن بقوة وهو من خاف منها فهو لا ينتمي لها مطلقا فكيف له ، ان يتفاعل مع الاغنيات التي هي نتاج للدم ، والتراث والوطن وهو من تنازل عن انتمائه وركع امام الاحتلال خوفا من ان لا يجزو رأسهم .

لا شك ان التحقيق معركة بمعنى الكلمة في سجل تاريخنا الذي هو تعبير شامل عن وجودنا ونشاطنا ضد التكوين المعادي لشعبنا ، وهذه المعركة الشاملة رغم انها تدور في غرف التحقيق فهي تهدف الى هزم ارادة شعبنا المناضل فمنذ عام ٦٧ لحد الان اكثر من ٣٥٠ الف نشيط تعرض للتحقيق في غرف وزنازين الاعتقال الصهيوني ومن هذا الحجم الكبير نسبة لعدد شعبنا ندرك الهدف الصهيوني ، فهم يقومون بنشاط كبير ومبرمج والتأثير النفسي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والهدف من ذلك اضعاف ما يستطيعون اضعافه وهزم من يستطيعون هزمه وكذلك اشعار المعتقلين ان الكيان الصهيوني قوي جدا وأيادية طويلة ، ولكننا بادراكنا لهذه المعادلة يجب علينا ان نصمد بكل معنى الكلمة فكل انتصار صغير يعني بتراكمه تشكيل انتصار كبير على الة العدو الصهيوني . ولا اخفي حقيقة واضحة هم دائما يحاولون تهميش نضالنا ولكنهم يخافوه ، بشكل عالي جدا. ودليل ذلك مجرى عملية التحقيق التي تمر في مراحل مختلفة وكلها قاسية وبقسوتها نشعر اننا بالفعل اقوياء وان الصهيوني يشعرنا اننا ضعفاء ويعمل كل جهده لهزنا ، واذا كنا بالفعل ضعاف فلماذا كل هذا الجهد .

واذكر بهذا الصدد محاورت العزل لاشهر او ايام طويلة في زنازين ضيقة مع احداث

اصوات ونشاط دائم في غرف التحقيق حتى يشعر من بالزنزانه انهم في كل لحظة يأتون لاخذه وهنا لا بد لنا ان نبقى على اتصال روحي دائم بكل من نحب وبذكرياتنا عن الحياة فهذه المسألة وهي ، احداها تخلق الاحساس بالقوة وبضعف اجزاء العدو ولا شك ان المعتقل بالزنزانة يراجع كل حياته وكل تاريخه وكثير من هذه الاوقات حددت مصير اشخاص فمن يشعر بالزنزانة انه ضعيف ووحيد يستسلم لهم ومن يفكر بمجموع حزبه وان الصهاينة اعداءه يزداد حقدا عليهم ، ويرى الحياة جميلة وانه حقق ذاته بشكل قوي ، لقد كنت دائما اصرخ في نفسي وعقلي وكياني انني لن اسمح لهم بلانتصار علي وكنت اقول في نفسي لرفاقي انني احيكم ولاهلي بانني سأرفع رأسكم للأعلى كنت استرجع جرائم الصهيونية وادرك ان اي جريمة جديدة لو استطاعوا لارتكبوها ولكنني سامنعهم بكل جهدي اننا جزء هام من البشرية التقدمية ، كنت اقول لنفسي هذه وهذا السجن مقام على ارضنا بنته بريطانيا واخذه النظام الاردني والان الصهيانة اننا نريد ازالة السجون من على الارض الا لحجز المجرمين والخونة كيف لهم يفعلوا هذا بنا على ارضنا كيف لهم ذلك كنت دائما في الزنزانة افهم ترابط وعلاقة القوى المعادية الامبريالية البريطانية استخدمت هذا السجن والرجعية الاردنية وكذلك الاحتلال الصهيوني معركة كبيرة منذ عشرات السنين وفي كل مرحلة كان الهدف اقتلاعنا من ارضنا لن يتم ذلك باصرار وعناد مناضلينا .

في بعض الظروف وجدت نفسي اجيد الغناء والشعر والابداع الفني غنيت للوطن في الزنزانة اكتب بمعاناتي قصائد ورسمت على الحوائط الباردة الخشنه اسم فلسطيني وامي ورفاقي لقد ارتفعت معنوياتي واحسست بمعزة الوطن .

كنت مستعدا للموت اما الخيانة فلا

لقد تفاجأت بقدومهم لاعتقالي ، فقد انقضت تلك الايام التي توقعت فيها الاعتقال ، وقد سألت المختار فيما اذا اخذوا اخرين ام لا فأجاب بالنفي ، وعندما اخذوني ودعني اهلي ب "مع السلامة" فهم يزودوني بزاد معنوي يعينني على رحلتي الشاقة ، وفي الطريق الطويل من القدس حتى نابلس دارت في ذهني افكارة عدة ، هل من جديد ولماذا الاعتقال ؟ فكرت قليلا .. ثم ادركت ان ذلك الواشي قد انهار بعد فترة طويلة من اعتقاله واعتقالي حصيلة جبنه وانهياره ، لقد اختار لنفسه مصيرا مزريا .

وفي الطريق داعبت بعض التفاصيل لكنني حزمت امري بأنهم لن يأخذوا مني كلمة واحدة سأواجه الفاشيست وبطشهم فهم لا يملكون غيره ، سأواجههم فاسلحتنا كثيرة ، محبة الحزب والرفاق قيمة نضالية عالية يجب استثمارها كسلاح فعال لمواجهة التحقيق ، ويجب ان نرفع راية الحزب عاليا وان نصون الحزب وقيمة النضالية ، في التحقيق

يجب ان ننتصر للوطن ولقضيتنا العادلة والام شعبنا ، فمن يدافع عن قضية عادلة لا يمكن ان يخونها . نعم سأخوض المعركة بكل عناد فانا لست وحيدا فيها فهناك العشرات من الرفاق تقف معي وتساندني ، لن اخذلهم ولن افرط بشرفي الحزبي والوطني ، لن اخون رفاقي وسوف انتصر لهم ، لن اكون سببا في دموع الشيوخ والاطفال والامهات ، لن اسبب العار للحزب ولزوجتي وعائلتي ، سأصمد ولن اسمح للعدو ان يكسب قيد شعرة ، طافت هذه الافكار في ذهني وبرزت الصورة الرائعة للصامدين امام بينما صورة المنهارين يكللها الخزي والمصير المزري .

بعد وصولي الى مركز تحقيق نابلس اجتمع ثلاثة من المحققين وقد حددوا مسار عملهم منذ البداية حيث التعذيب المتواصل ومنع النوم والاكل حتى اضع ما في جعبتي ، وقالوا اما الاعتراف واما الموت المؤكد . لم يرعبني ذلك وقد خلته نوع من التهديد ، ثم تابع احدهم ساخرا بأن هذا غير مكتوب في "فلسفة المواجهة " ، وفي الحال ايقنت ان "فلسفة المواجهة " ليست مجرد كتاب اكاديمي ميت ، انها حياة انها معين صمود انها تجارب وعذابات ودماء وخبرات المناضلين ، وقيمة ذلك تكمن في الاستفادة من هذه الخبرات لتشغيل العقل جيدا لمواجهة اية ظروف صعبة سواء كانت مشابهة ام مغايرة ، سأتمسك بفلسفة المواجهة ولن اخون عذابات المناضلين ، سأستنفر كل عناصر القوة بداخلي لاواجه التحقيق .

ابتدأالتحقيق وابتدأ التعذيب وسارت جولات التحقيق متواصلة ثلاثة ايام مع لياليها ، لم ارتاح ولم اكل ولم اشرب ، لقد صددت كل شيء وكانت اجابتي الوحيدة هي النفي فقط . و"لا يوجد عندي شيء" خلال هذه الايام الثلاثة تحطمت كل محاولاتهم بطرح الادلة او الاقناع او الاثبات ، فبدأوا بكشف مالديهم ، واتوا بالواشي التي لم يكن لها اي معنى بالنسبة لي ، كان هزيلا بائسا ، احضروه ثلاث مرات ، في المرة الاولى كنت قد شتمته واحتقرته وفي المرات القادمة نظرت اليه بنوع من الشفقة عندما اتى ذليلا ليؤكد اعترافه .

خرجت من هذه الايام الاولى وقد نال التعذيب شيئا من جسدي ، حيث ادمت يداي وتورمت ، لكنها لم تزيدني الا اصرارا على المواجهة والصمود .

نقلوني الى الخليل وكما يبدوا انهم سيحققوا ما وعدوا به (تعذيب ، منع النوم والاكل) حيث زادت شراستهم وبطشهم ، ونلت هنا من التعذيب ما كان كافيا لتحطيم جسدي ، وتقلب علي خلال الاسبوع الاول من التحقيق عدد كبير من المحققين بلغ ٢١ محققا بجولات حادة ومتواصلة ، في الاسبوع الاول لم اعرف طعم الراحة ابدا لم اغادر غرفة التحقيق ولم اعرف الزنازين ، محققون يغادرون واخرون يأتون ، واجابتي هي "لا اعرف شيئا" و "لايوجد عندي شيء" وادركت انهم يبحثون عن منفذ ، عن اي نقطة ضعف ، عن بداية التركيع حيث هددوني باحضار زوجتي والتشنيع بها ، اجبتهم: انتم فاشسيت

سفلة لا تتورعون عن فعل شيء افعلوا ما شئتم فانا لا يوجد عندي ما اقوله . وعندما احضروا زوجتي وأسمعوني صوتها الذي كان هادئا ابتسمت ، وغمرني ايضا شعور بالمسؤولية الاجتماعية اضافة للوطنية والحزبية . احد المحققين قال وهو يعذبني ، بأنهم لم يصلوا بعد تطور الى سي اي ايه فاولئك ؟ يعملون على الجسد ، يضغطون عليه ثم يواصلوا الضغط .. اخيرا سيضعف الجسد ويؤثر على الدماغ فيتكلم ، وقفز الى رأسي فوتشيك الشيوعي العظيم وكتابه تحت افواد المشنقة . حقا ان هذا التهديد وهذه العبارة لن ترعب الا الضعفاء الذاتيين الذين يريدون ايقاف مزيد من وقع العصر على اجسامهم ، اما المناضلون فانهم يدركون ان الارادة هي الحكم وليس الجسد فارادة التحدي والمواجهة والاصرار على الانتصار هي سلاح المناضلين ضد الاحتلال والفاشيست ومن اجل الوطن .

انقضى الاسبوع الاول من التحقيق وكان جسدي منهمكا واثار التعذيب واضحة على جسمي ، الايدي منتفخة ومدمية وكذلك القدمين ، كسر في الصدر ، الام في الحنجرة وضعف الصوت وما يتركه اسبوع من عدم النوم من آثار ، حيث بدأت بالهذيان ناديت على زوجتي ولم اميز اين انا . وكانت حصيلة هذا السبوع جسد منهك وارادة اقوى . مع نهاية هذا الاسبوع جاءني محقق جديد وقال انظر ما حصل لك بعد اسبوع من التعذيب وبداية الغيث قطرة ، وسأل : اذا تابعنا الضغط عليك هل تتكلم ؟ اجبته بدافع التحدي : جرب وكان نصيبي لاحقا الزيد من شراسة التعذيب فقد اعتبر اجابتي تنطوي على بصيص امل في الاعتراف .

كان ذلك غلطة ، المفروض اني اجبته : مهما ضغطت وضغطت فلن انبس ببنت شفة ، فهذا من جهة يقوي موقفي ومن ناحية اخرى يوقف اندفاعه كمحقق ، اخذوني للعلاج واعادوني الى نابلس حيث كانوا جاهزين للانقضاض بكل وحشية حالما وصلت .

كانت معنوياتي عالية وارادتي في التحدي قوية وابتدأ اسبوع اخر من التعذيب والتحقيق بنفس الشراسة السابقة ، ساهم في اضعاف جسدي اكثر من السابق واصبحت قلة النوم ترهقني اكثر فأكثر ، وبدأت تصدر عني حركات لا ارادية وجسمي يرتعش . هؤلاء الحثالة لن اسمح لهم بهزيمتي ، لن اسمح لهم باهانة الحزب واهانتي سأعمل على تحطيم مقولتهم بأنهم جهاز كبير وقوي وانا وحيد. وعلى الرغم من كل بطشهم لم اكن وحيدا ولم اشعر بالعزلة قط ، لم يستطيعوا ان ينتزعوني عن رفاقي ولو للحظة واحدة ، حيث كنت استجمع وجوه الرفاق واراهم دوما متضامنين معي ، دوما مروا امام عيني ، فهذا يبتسم وهذا يرفع قبضته مساندا وهذا يوصيني ويوجهني ، نعم لقد كان الرفاق معي في هذه المعركة خير سنيد سنيد.

بدأت احس بالاعياء والارهاق وطالتني نوبات الاغماء من التعذيب عدة مرات ، ما العمل ؟ يجب ان أستنفر كل عناصر الصمود والتحدي ، سأتحدى اوامرهم تماما ، سأطلب النوم وان لم يستجيبوا سأنام ولو لدقيقة رغما عنهم اثناء التحقيق ، وهذا المحقق الذي سيأتي لينتزع شيئا بالتعذيب والضرب ، لن يخيفني فجسدي متهاوي ولينتزع منه قطعة لحم لكن لن يأخذ كلمة واحدة . والاخر الذي يأتي ليبحث وينبش ليقل وليستنتج وليسأل ما شاء ، فذلك لا يعنيني واجابتي واحدة هي لا ، اعرف شيئا ، وهذا الذي يلعب دور الانساني سأستفزه وسأبقى على الجر عدائيا طوال الوقت ، لاستفزه فيغضب ويضرب . المهم انني سأبقى يقظا ازاء اية محاولة من قبلهم لاقترافي والايقاع بي .

حيث اخذوني لمحكمة الكفالة بعد مرور اكثر من عشرة ايام ٣ ساعات في زنزانة المحكمة رأيت المحامي واهلي الذين لم اميزهم توا . وفي هذا اليوم شعرت انني اقرب للبيت منه للسجن وانعشني كثيرا ان اسمع زوجتي تسر في اذني : "ابقى صامدا " - شعرت بفرح الصمود والانتصار واقسمت ان ابقى كذلك .

وجاءني رئيس طاقم التحقيق ليقول : انظر لنفسك وحالتك : كم يوما آخر تستطيع الصمود ، يوم .. اثنان .. ثلاثة ثم بالنهاية تنهار وتتكلم ، اختصر الوقت والعذاب واعترف وارحم نفسك . اجبته على الفور ، ربما اصمد يوما او اثنان وربما اسبوع ، لكن بالنهاية سأموت فلا يوجد عندي شيء .

وتابع نحن لا نريدك ان تموت ، فما حاجتنا بالجثة ، نحن نريدك ان تتكلم قلت في نفسي لن اتكلم ابدا واجبته انه لا يوجد عندي شيء . ومع تزايد بطشهم والالام بدت هنا وهناك مرت في ذهني قصة "الشيخ والبحر" ، قلت لهم هل تعرفون لمن هذه القصة اجابوا بالنفي قلت انها للكاتب ارنست همنغواي من البلاد التي تعلمتم فيها البطش والفاشية ، قلت احد افكار هذه القصة الاساسية تقول انه "من الممكن ان يدمر الانسان لكنه لن يهزم"، ردوا :- سنرى ايها الفليسوف . واستمر التحقيق والتعذيب لكن ميزان القوة بدأ يميل لصالحي حيث جاءني احدهم قائلا وقد كان جسدي يرتعش من التعذيب ، ماذا لقصد ، و.. و.. اصيب بالشلل ، و.. اصابه العفن كاداري في السجن ، وتابع انه لن يتركني الا بمثل هذا المصير او اعترف . هذا المحقق الفاشي الارعن السافل اراد ان يبرز لي الجانب المرعب لا يعلم انه وضع امامي اجل واعظم صور ومعاني التضحية والبطولة والفداء حقا لقد كنت مستعدا للاستشهاد الفعلي على ان اخون حزبي ووطني .

انتهى الاسبوع الثاني ، اسبوع اخر من التعذيب سيبدأ ، لكن مع تقدم ايام التحقيق كنت اشعر بمزيد من القوة وتعاظم ارادة التحدي لدى ذلك انني بدأت المس بداية تفتت

عناصر قوتهم . ظهر الملل على المحققين وبدت رغبتهم في حسم وانهاء التحقيق بسرعة . لقد اصبحوا ، مرة يريدون اعترافا محدودا واخرى التعاطي مع ما قاله الواشي واخرى يريدون عقد صفقة او اوقع على افادة باي ضمان ومرة يحضرون ورقة ويقولون هذه كتبتها وانت نائم ... لجأوا الى مزيد من العنف في محاولة لكسر ارادة التحدي لدى وفي محاولة للحصول على اعتراف .

جولة جديدة من التعذيب بدأها محقق طموح : (شبح) على الكرسي والقدمين مربوطين في الشباك ساعات طويلة ومتواصلة ومصحوبة بالضرب الشديد وقد حاول هذا المحقق ان يبصق في فمي فقاومت وبصقت بوجهه وتسبب في تمزيق عضلات كتفي التي صحبها الم فظيع ثم استعمل دش الماء البارد طوال ليلتين بدورات متكررة (ماء بارد - كنديشين - بدفئة) لقد كان ذلك مرهقا وبعدما افقت من اغماءة قصيرة قلت له هذا اخر سلاح بيديك فلم يبق وسيلة او فن من فنون التعذيب الا واستعملته ولم تفلح في اي من هذه الاساليب والافضل لك ان تذهب وتسترح بجانب زوجتك .

ثم بدأوا بتهديدي بالابعاد وعبأوا اوراقا ادعوا انها تخص اجراءات الابعاد ، ثم التقطوا لي صورة فجائية بدا بجانبي فيها رجل تحقيق ، وبدأوا بابتزازي بتلك الصورة ، نعم لقد استفزني ذلك وانفعلت فلم اكن اتوقعة ثم تمالكت نفسي بسرعة وحلت دون التقاط صور اخرى ، قالوا ان لم تتكلم سنرمي بالصورة للسجن وللناس ليتعرفوا على العميل ، قلت لهم افعلوا بها ما تشاؤون فانا واثق من نفسي والناس تعرفني حق المعرفة ، واذا كنتم تغامرون بكشف رجل مخابرات اطبعوا منها الاف النسخ من يضرني ذلك بشيء. احدهم قال : انت عقائدي وما نلته من التعذيب لم يؤثر بك ، اسمك وسمعتك هم سلاحنا بهذه الصورة ، نحن متأكدون انك ستقول مزقوا الصورة وسأعترف ، وتأكد ان الذي امامه لم يطلب ذبك مطلقا . ادركت الان تماما انهم استسلموا وان التحقيق بدأ يقترب من نهايته ، في اليوم الى ١٨ ارسلوني للزنزانة للنوم ، ولم استطع ليلتها النوم فقد يحققون معي فاثرت ان ابقي مستيقظا خوفا من ان ينتزعوا مني شيئا اثناء نومي ، لم انم ليلتها على الرغم من انني كنت متهالكا من اجل دقيقة نوم واحدة .

حركاتهم دلت على انهم يخططون لحيلة جديدة تحت مبرر الابعاد ، حيث طلبوا غرف العار وتمثيلية الابعاد . وعندما بدأت الرحلة كنت قد عزمت امري ان لا اميل للاسترخاء ولا للحظة وان كلمة واحدة داخل غرف العار او مع ان يشاركني رحلة الابعاد فربما تكون لعبة . وعندما قدمت اعتراضي ورفضي للابعاد قالوا لننهي المشكلة قلت : اية مشكلة ، اجابوا : اعترافك ، قلت ليس لدي شيء والمشكلة عندكم انتم وليست عندي . اخذوني

للخليل مرة اخرى وكان بانتظاري اثنان من كبار المحققين ، بادرني احدهم قائلا : عندما سمعت عنك اعتقدت انني سأكون امام شخص جبار قوي . وها انت ضعيف مشرف على الموت ، لماذا لا تعترف وتريح نفسك ، دعنا نسوي المسألة بالشكل التالي : نحن لا نريد منك كل شيء فقط مكسب صغير لنا وخسارة لك . ان هذا سيكون ارحم واخف وطأه من الشلل او الجنون او الابعاد ... وبداخلي ادركت المفارقة المكسب الصغير الذي يطلبه هو خسارة كبيرة .. كبيرة بالنسبة لي وليست صغيرة كما يقول . انه يجمل الخيانة ، فلماذا اخسر وبأي حق يكسبون وبعد هذا العناء الطويل ، لا لن يكسبوا اي شيء وكانت اجابتي المألوفة : لا يوجد عندي شيء . ثم قال احدهم ان ممثل الصليب الاحمر سيقابلني غدا كخطوة ، اخيرة لاتمام اجراءات الابعاد ، واذا كنت لا تريد الابعاد ، ما عليك الا ان تطرق الباب . الابعاد ذلك المصير القاسي والصعب سيكون ارحم بما لا يقاس عن ذلك المصير المزري والقاتل الذي يسببه الاعتراف والخيانة . وارسلني للزنزانة مهددا ومنذرا بمزيد من قساوة التعذيب . نقلوني ليلا الى نابلس للمتابعة ومواصلة الضغط ، وكان هناك نصيبي ضرب متواصل بالعصا على القدمين (فلقة) من الساعة العاشرة ليلا وحتى الرابعة صباحا مطالبين بالاعتراف وعندما تعبوا وانهكوا من ذلك وكانت تبرز اجابتي الوحيدة " لا يوجد عندي شيء" هب احدهم وقال يا مجنون نحن لا نريد منك الا اقرار بما قالة الواشي ، قلت في نفسي لاكن مجنون فهذا شرفي . ارسلني لزنزانة ثم استدعوني في الصباح وقال المحقق اسمع نحن سنواصل ما وعدنا به من قساوة وتعذيب . نلت نصيبك من (الفلقة) والان سيأتي دور الكهرباء وبعدها زوجتك و.. و.. الا تريد ان تغير موقفك قلت لا فأنا ليس لدي ما اقوله ، ولا يهمني من يحدث لي الان او مستقبلا ، فجسدي واهن واحتمالات مرضه قائمة في اي وقت ، ولا فرق معي ان جننت او شللت الان او بعد سنوات والابعاد لا يخيفني . غاب دقائق وعاد . قال اشرب قهوة قلت لا . قال اشرب لا اريد ان اشتريك بها ، قلت له اعرف انك لا تستطيع ذلك ولا اريد ان اشرب القهوة . قال انني الان افهمك وبعد الان لن توضع الكلبشات في يديك . انه يعلن انتهاء التحقيق بطريقة غير مباشرة . انه يعلن فشله .

لقد وضعوني في زنزانة نتنه افراديا ، وابقوني فيها لوحدي حتى اليوم التسعين انتابني في البداية حالات من الاغماء بسبب اثار التعذيب ، وبدأت اعاني من الوحدةاو العزلة . وكان لا بد من كسر طوق العزلة هذا ايضا في الزنزانة كما كسرته في التحقيق . كيف يكون ذلك . بدأت بمراجعة فترة التحقيق الشرسة اين اخطأت واين اصبت اذا عاودوا التحقيق سأتصرف بطريقة اكثر تطورا . واول ما قفز الى ذهني مقارنة تجربتي

من حيث الجوهر والتعاليم واتباع الاشادات بما ورد في " فلسفة المواجهة " حقا وجدت ان من يتمثل روح فلسفة المواجهة ويستثير كل الخبرات الواردة فيها ستكون له سند قوي للمواجهة والانتصار في معركة التحقيق ، وكم وجدت ذلك المحقق الارعن سخيفا حينما كان يسخر من فلسفة المواجهة . كان الوقت في الزنزانة طويلا وممملا ، وعملت على قتله بمراجعة مواقف مشرفة في التحقيق والحياة واستذكر روايات ذات مضامين ثورية ومع تقدم الايام كنت قد تجاوزت ما تخلفه العزلة من اثار وبدا الوقت ينقصني بسهولة . بين الوقت والاخر كان يمر محقق وآخر ليقولوا بسخرية ، ستبقى في زنزانتك حتى الموت ، الم تصاب بالجنون بعد . الم تبدأ بالحديث مع الجدران ، وكانوا يأخذوني بين الوقت والاخر للتحقيق لكنه كان تحقيقا هشا سمته الاساسية التعذيب فقط ، كنت اواجه هذا التحقيق بلامبالاة واضحة فهم قد نفذت كل صفوف تعذيبهم ولم يبقوا على سؤال او مدخل للتحقيق الا وجربوه وفشلوا ، وكان مجرى تحقيقهم هو هل تريد ان تعترف والاجابة لا يوجد عندي شيء ثم تعذيب - ثم تكرر نفس السؤال والاجابة حتى ان احد المحققين فقد صوابه واستمر يدق يدي بالكلبشات الى ان اغمي علي وافقت على نفسي وانا ببركة ماء داخل الزنزانة . وفي هذه الفترة كنت اسمع صوت الواشي اواعرف انه موجود عندما ينادون اسمه حيث كنت اتضايق جدا لمجرد بقائه في الزنازين ، فهو ضعيف هش ، وقد فرحت حينما عرفت انه غادر الزنازين الى السجن .

وبعد انقضاء ٩٠ يوما من العزل حيث كنت مشتاق جدا لسماع صوت عربي او الحديث معه وكنت حذرا من الثرثرة فهم يدسون عملائهم لفترات طويلة في الزنازين ، ونقلوني لزنزانة اخرى ووجدت بها احد المعتقلين فرحت لذلك ، هأنذا اخيرا التقي مع مناضل ونتبادل الحديث ، ولم تدم فرحتنا حيث بدأت الزنزانة تكتظ بسكانها حتى اصحنا اشخاص واحيانا ٦ او ٧ والجميع يمكث يوم او اثنان او اسبوع ثم يغادر وانا باق الى ان قابلت ممثل الصليب الاحمر الذي اعلمني انهم يستطعون ابقاء المعتقل لمدة ٦ شهور في الزنازين ، وسرعان ما تقبلت ذلك وهيأت نفسي لقضاء هذه المدة في الزنازين الفظيعة الحارة بدون ماء كافي حيث امتلاء جسدي ببثور جافة بقع مؤلمة وعانيت من ضيق التنفس . انقضت عدة شهور وانا لا ازال في الزنازين قابلت اثنائها مناضلين صمدوا واخرين غرروا بهم بقانون تامير او من خلال غرف العار وهناك من انهار او تعاطى مع اعترافات عليه . نقلوني بعد ذلك الى الحبس الانفرادي التابع للسجن قضيت هناك قرابة شهر ونزلت بعدها الى السجن بين الرفاق والمناضلين ، لقد استقبلني الرفاق استقبالا رائعا وقد التقيت بالكثير من الرفاق الصامدين ؟ اعزاء منتصبي القامة ، هاماتهم مرفوعة شامخة

، واما الضعفاء فيعيشون عذاب الضمير .

انتهى عام ٨٢

حينما يقترن التصميم بالنباهة والحذق

جاء اعتقالي في فترة كان فيها حزبنا يعيش حالة اشتباك واسعة بينه وبين جهاز مخابرات العدو الفاشي، وقبل اعتقالي كنت انظر للاعتقالات الواسعة التي تجري بمرارة وحسرة. وفي الحقيقة فقد كانت تتنازعني في ضوء أخبار الاعتقالات المتتالية رغبتان متناقضتان. الرغبة الأولى : أن يبرز من بين من يعتقلون من يصد الضربة ويمنع امتدادها ليتم حماية منظمتنا ومنع تصفيتها. والرغبة الثانية : كنت أرغب ان تسنح لي الفرصة للذهاب للتحقيق فيما لو استمرت الاعتقالات في التوالي وذلك لكي اسجل نموذجا مغايرا للنماذج المعترفة والمنهارة، ولكي القن الفاشيين الصهاينة درسا عمن يكونون أعضاء الجبهة الشعبية الحقيقيين.

كنت في تلك اللحظات مفعما بالحقد على العدو وعلى قراره السياسي بضرب منظمتنا، كنت احس بالحقد المشروع والعادل ضد وجوده، وكان السؤال الذي يطن في بالي : بأي حق يبيح الصهاينة لأنفسهم ضرب منظماتنا؟ وما هي المبررات التي يبيح على أساسها بعض الرفاق لأنفسهم المساهمة في تمرير الارادة الصهيونية هذه عبر اعترافاتهم واستخذائهم؟ .. ان الصهاينة اذا كانو لا يمتلكون أي حق فيما يفعلون، فان مواجهتهم انما تتم بالصمود والتحدي، لا بالاستخذاء والاعتراف.. هذا كان شعوري وهذه كانت قناعتي في تلك اللحظات الحاسمة قبل الاعتقال، وكان في ذاكرتي سكان "قرية معركة" وسواها من قرى الجنوب اللبناني الذين كانوا يشتبكون مع الجنود الصهاينة ويمنعونهم من دخول القرى لاعتقال أي فرد، وكنت أقول لنفسي : اذا لم يستطيع شعبنا حتى اللحظة منع العدو من دخول قرانا وأحيائنا لاجراء الاعتقالات وأعمال التعذيب والقتل، فان علينا على الأقل أن نواجه العدو بالصمود كما واجهه أبناء "قرية معركة"، وكما واجهته كوكبة الصامدين الذين سبقوني من حزبنا ولتكن تلك المعركة في ساحة التحقيق اذا تم اعتقالي، فأنا مهيىء للاعتقال والصمود بكل جوارحي، زادي وزوادتي تجاربي التي كانت تمدني بالثقة، وثقتي بالحزب ونضالاته ورموزه وشهدائه ومناضليه الصامدين، واعتزازي بنفسي وكرامتي الثورية ونفسي التي لا تقبل الاستخذاء والركوع مطلقا، كنت مهيئا سلفا للصمود، فمعركة التحقيق لا تعدو كونها احدى المعارك التي يخوضها المناضل مع العدو. واذا كان المناضل يمثل قدره ابداعية في حقل التنظيم أو الدعاية أو العمل الجماهيري، فلا بد له أن يتوج هذا الابداع بالصمود، والا فانه سيسقط سواء تمثل في منظم كفؤ يرسب في معركة التحقيق، أو في محرض ممتاز ينكشف لاحقا بان قدراته التحريضية الخارجية ليست سوى بريقا يخفي هشاشة وضعفا داخلي.

كان الاعتقال .. حيث خرجت معهم بدون أي تأني أو اختلاج، ولم يفاجئني من البيت

الى ساحة الشبح، واعتبرته انتقالا من موقع نضالي الى موقع نضالي آخر، وبعد وصولي مباشرة وشبحي رحت اتحدث مع شاويش الزنازين الذي عرفت انه يهودي شرقي، فرحت احدثه عن معاناة اليهود الشرقيين في الكيان الصهيوني وسياسة التمييز العنصري ضدهم، ثم أبلغته باسمي وبمهنتي وذلك ليعرف المعترفون النائمون في الزنازين اني أتيت، وبقيت على هذه الحال حتى الرابعة صباحا حيث الى خزائن المخابرات، وبعد دخولي بقليل طرقت باب الخزانة فجاء ضابط المخابرات، فطلبت منه الذهب للمرحاض، فقال "اعترف ثم تذهب لقضاء الحاجة"، كان هذا أول حديث لي معهم، وقد كان هذا الحديث كافيا لكسر هيبته في داخلي، فهذا الساذج الغبي يستخدم أساليب فجة ومباشرة، ويتعامل بمنطق تجاري"أن اعترف مقابل قضاء الحاجة"، فما أسخفه وما أسخف منطقه التجاري الباهت، هكذا قلت في ذهني وأجبته "لا أريد قضاء الحاجة". فذهب وعاد بعد ساعة ليطلب مني مرة أخرى الاعتراف مقابل الخروج لقضاء الحاجة. فرفضت فأغلق الباب بقوة قائلا "طيب خليك"، وفي عصر ذلك اليوم أدخلوني الى محقق آخر، وكان معه محقق الصباح. ضربني المحقق الآخر بضعة صفعات وركلات ثم خرج وبقي محقق الصباح طاليا مني للمرة الثالثة خلع ملابسي حيث أعطاني حماما باردا ثم تركني ألبس بحيث بقي نصفي العلوي بالشباح فقط. وبعدها وضع الكلبشات والكيس وقام بتشغيل الكونديشن وذهب، وبقيت على هذا الحال حتى صباح اليوم التالي، حيث "استفتح" بي ضابط مخابرات تخصصه الضرب وقالوا انهم يسمونه "قباض الأرواح"، وأنه هو الذي جعل "محمود الفرباوي" يضرب رأسه بجدار الزنزانة، وأنه لم يقع أي شخص بين يديه الا واعترف، ومع صياحه المفتعل كان يرميني من طرف الكرسي الى الأرض، ثم يضربني على الكلبشات وأنا ملقى على الأرض حتى تضغط الكلبشات على يدي أكثر، ويسحبني من زرد الكلبشات لأقوم ثم يكرر عملية الايقاع عن الكرسي مرة ثانية وثالثة، وبقيت على هذه النحو حوالي الساعة والنصف، خلال هذه العملية شتمت عليه بصوت عال. والملفت للانتباه أنه بينما كان يمارس عملية "التبشيع" المذكورة، كان هناك محققا آخر يقف متفرجا، كما أن كاتبين للافادات كانا حاضرين لكتابة الاعتراف عند حدوثه فورا، ويبدو لي أن كاتب الافادات يدخل دوما مع هذا المحقق الذي تعود ان يحصل على الاعترافات. فأثارني هذا الانطباع وأصررت على تحدي هذا المحقق الوقح وافشاله، وبذلك انتهت هذه الجولة مع هذا المحقق الجبان بوصوله الى فشل مبين. ومن جهتي خرجت من هذه الجولة بثقة أكبر بالنفس وبقدرتي على تحمل الألم.. نقلوني للخزانة حيث كانت الكلبشات قد انغرست في عظم اليدين وكانت مؤلمة جدا، وظلت مغروسة حتى العصر، حيث عاد المحقق نفسه ليطلب الاعتراف مقابل حل الكلبشات. أجبته بالجواب الذي ظل يتكرر طيلة فترة التحقيق "ليس لدي شيء أقوله أو أعترف به"، ذهب وبعد قليل أتى محقق آخر ذو مظهر ناعم،

بحيث بدا لي للوهلة الأولى خليعا، يصلح أن يعمل كارتيست وليس كمحقق، وراح هذا المحقق يتلو الأمثال العربية والمواعظ ويحدثني عن تحقيقاته مع الشباب ووضعهم في الزنازين فرادى فاعترفوا ليتخلصوا فقط من الوحدة ..الخ، لقد كانت حقا فرصة ممتعة للتفرج على هذا المهرج والاستمتاع الساخر بطريقة سرده بسرعة رواياته التي يتلوها على كل المعتقلين، ومما يلفت النظر أنه قال لي خلال قيامه بفك الكلبشات المغروسة في يدي أنه لو استمرت مغروسة في الرسغين لسببت لي الشلل، وطلب مني أن أقوم بتمارين لأصابعي كي لا يحدث الشلل. لقد كانت هذه محاولة للتخويف، فلا شلل ولا ما يحزنون ينتج عن انغراس الكلبشات في الرسغين، ولذلك لم تنطلي محاولته للتخويف علي، ولم أخف من تهديداته بكسر اليدين والرجلين وتسبيب أعراض أبدية لدي، وهي الأمور التي هددوني بها في مرحلة لاحقة، ولا أبالغ أيضا اذا قلت انني لم أكن خائفا من الاستشهاد.

انتهى الحوار مع "الآرتيست" بقدوم المحقق الآخر البسيط والأضحوكة، حيث أعطاني دوشا باردا، ثم أجلسني عاريا بجانب المروحة حوالي الساعة، بعدها أتاني لينتقل من دور المحقق الذي يضرب الى محقق ناعم هو اللآخر وراح ينصحني بالاعتراف متحدثا عن أمني وسلامتي الشخصية، لقد أصبح "حملا وديعا" حقا !!، وبعد هذه النصائح انتهى تحقيقه معي، فقد فشل من اليوم الأول، وصار يدخل علي فقط في الخزانة التي كنت مشبوحا فيها يسألني عن اسمي، وعندما يسمعه يتجهم ويخرج بسرعة، لقد خلقت علة وقروحا داخلية لحذا الرعديدالذي يتمظهر تحت ستار من القمع يحاول أن يخفي وراءه شخصيته الحقيقية. عدت الى الخزانة بعد تلك الجولة، وصارت أيام التحقيق تتوالى بين شبح وضرب ومحاولات لاستخدام المنطق الاقناعي بالاعتراف .. لن أسرد لكم ماذا حصل خشية التكرار، ولذلك سأكتفي بسرد بعض الحوادث والمواقف التي حصلت أثناء التحقيق:-

احتفال ١٢/١١

في ليلة انطلاقة حزبنا وبينما كانت اصوات الرفاق والاخوة تصدح في السجن بالغناء، استدعاني ضابط المخابرات، وقال هل تعلم ماذا هنالك الليلة؟ قلت لا، قال الليلة عيد انطلاقة الجبهة الشعبية، ونحن سنحتفل معك. فماذا كانت طبيعة الاحتفال؟ دوشا باردا، بصقا على الوجه، ثم محاضرة حول عضويتي في الجبهة قمت بنفيها، وبعد حوار طويل كانت النتيجة أن صب ماء في ظهري وشغل المروحة وخرج ليبقيني طول الليل تحت هواء المروحة وبرد الماء الذي غطى كل جسمي وملابسي. ولكن اسمحوا لي ان اصف ماهية شعوري في تلك اللحظة، لم أشعر ابدا بالخوف من هذه الممارسات، فقد كنت مفعما

باصوات الرفاق الصادرة من المعتقل وراحت تتوارد الى ذهني صور احتفالات حزبنا في الوطن المحتل،تصورت الجموع الغفيرة كلها تنطلق لتهتف وتغني باسمها، تصورت معانيات الرفاق في الجنوب اللبناني وخط حزبنا الذي كنت دائما ادافع عنه واشرحه، تصورت صورة "الحكيم" وهو يلقي خطابه امام الجماهير الغفيرة في ذكرى الانطلاقة.. تذكرت كل ذلك فانتابني جو اليف عشته طيلة تلك الليلة، دفء عشته رغم برودة المروحة والماء في الكتفين والظهر ورغم النافذة التي تجلب الهواء البارد من الخارج، ولا اكذب حينما اقول ان هذه المشاعر هي التي منحتني القوة في كل لحظات الشبح والتعذيب، ورغم ممارسات ضابط التحقيق التنكيلية بانني كنت اعيش حالة هزء داخلية من ضابط المخابرات، وكان شعوري الدائم أنني أقوى عقائديا ونظريا، كما ان التاريخ هو لصالحي، وشكلت هذه القناعة زادا كبيرا لتعميق الصمود، وباختصار مع هذه المشاعر لم اكن احس انني لوحدي بل معي الحزب كله، وان انتصاري هو انتصار للحزب، وهزيمتي هي هزيمة له، فانا الواقف في الجبهة الامامية جبهة المقاومة كيف اقبل على نفسي ان اجلب الهزيمة للحزب ولكل الرفاق الذين احبهم، وان اخون المعاني العظيمة والايجابية التي تتضمنها مقولة "الانتماء الحزبي".

شبح

عملية الشبح اتخذت شكل الشبح الطويل المتواصل، ايام متتابعة بلياليها، ومع الرفيق محمود فنون وصل الشبح الى ثلاثة عشر يوما متتالية ليل نهار، وبدون طعام أو شراب، والشبح يتخذ اما شكل الوقوف، او الجلوس على الأرض الباردة بينما الباب الرئيسي مفتوح ليجلب الهواء البارد من الخارج، او في الخزانة او في غرفة التحقيق مع "كوندشن" او مروحة او كلاهما مع بعضهما حيث يكون جسمك غير مغطى سوى بالملابس الداخلية ويتم حرمانك من الأكل احيانا ولمدة ايام متتالية، وفي الايام الاولى للتحقيق تقطع جولات التحقيق الشبح بشكل مكثف (ربما عدة مرات في اليوم الواحد)... وهنا يتكثف "الطلب المتواصل والملح" حيث يكون الاعتراف مطلوبا من المناضل، وتتصور المخابرات ان تكثيف الجولات قد يقود الى انتزاع الاعتراف من المناضل، وحينما تفشل فانها تلجأ الى اسلوب الاهمال عبر تركك مشبوحا لفترة طويلة بدون جولات تحقيق، ويتصور بعض المناضلين أن امخابرات تنساهم، وقد تبين في الشروحات "للمستجدات في اساليب التحقيق" أن لا نسيان ولا ما يحزنون، بل اسلوب مقصود لجعل المناضل يعيش حالة عزلة قد تدفعه لطلب ضابط المخابرات لتقديم الاعتراف كوسلة للتخلص من العزلة، وغالبا ما يقترن الاهمال بتركك بدون طعام، وقد اخطأت مرة حيث انني بعد يومين بدون اكل

ضربت على الباب طالبا الطعام، فجاءني المحقق ورد علي بسخرية: نعم يوجد مايونيز وكافيار وخروف محشي وسمك ..الخ، ثم اردف: شو انت هون في اوتيل، مفيش أكل، انت مفيش الك اكل، وذهب. وبعد ذهبه شعرت بالندم لأنني ارتكبت خطأ جعل هذا الصهيوني المتبجح التافه والفارغ في آن واحد يسجل نقطة لصالحه ضدي، فقد كان يتوجب أن لا أطلب الطعام واطلب ان يتعلم كل مناضل من خطئي هذا، وليعرفوا انه لا يوجد شيء اسمه النسيان عند المخابرات، فكل ما في التحقيق مرتب، حيث اوقات الشبح تكون محددة بالاتفاق بين ضابط المخابرات وبين الشاويش المناوب، فلا يطلبن احد طعاما ولا يسألن عن مدة الشبح ومتى تنتهي، وطول النفس هو سيد الموقف في هذه الحالة التي تريد أن تشعرك فيها المخابرات أنك ملك لها، وتحاول اجبارك للتوجه اليها لطلب حاجاتك، وفي ذلك محاولة للاذلال وفرض الهيبة.. ان المناضل الذي يدخل التحقيق عليه أن لا يوجه انتباهه لتعداد العصي التي تقع عليه، بل عليه أن يركز كل جهوده لتلقي العصي والصفعات وسواها وان يردها خاصة. ان معركة التحقيق لن تدوم الى ما لا نهاية.. فليتحمل هذه المعركة طيلة فترة اشتعالها وبعد انتهائها تكون فترة لالتقاط الانفاس.. أما أن يطلب الراحة خلال المعركة، فهذه هي بداية السقوط والمقدمة الأولى للتراجع.

تماثل

ورد في سياق "المستجدات في أساليب التحقيق" ان المحقق "الصديق" قد تحول الى محقق متماثل. معي حدثت هذه المسألة من محققين اثنين:
أحدهما حاول أن يظهر نفسه كيهودي ليبرالي يؤيد الدولة الفلسطينية المستقلة ويؤيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، ومستعد لاقامة صداقات مع أي فلسطيني يود ذلك.. الخ،خدعة هذا المحقق كان من الممكن ردها عبر القناعة النظرية بأنه لم يكن من الممكن أن يصبح ضابط مخابرات لو كان فعلا يحمل هذه المواقف، هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد تعززت قناعتي عندما اكتشفت ان هذا الذي يمثل دور "الحمل الوديع" معي، كان يمثل دور "المحقق السفاح" مع مناضلين آخرين في نفس فترة التحقيق، فهو ليس حملا، بل ان العملية عملية توزيع ادوار بين المحققين لتسهيل عملية تحصيل الاعترافات.
المتماثل الثاني كان اكثر ذكاءا، فقد حاول أن يدخل لي "بالمنطق"، سرد لي رواية حول أبيه الذي كان يعمل في "الحرس الوطني الصهيوني" أيام الانتداب، ومارس عمليات ضد الانكليز في فلسطين، وعندما اعتقله الانبليز قال لهم أنا في الحرس الوطني، ولكني لا أريد أن أعترف لكم بشيء، وقال أن أبوه أقر للانجليز بانتمائه، أما نحن أعضاء الجبهة الشعبية فاننا نفتقر للافتخار حسب زعمه، وسنظل غير قادرين على هزيمة اسرائيل طالما

بقينا نفتقر لهذا الافتخار.. عندها تذكرت فورا "ديمتروف" وكيف اعتز بانتمائه الشيوعي أمام المحكمة بدون ان يعطي اية معلومات عن انتمائه، فلماذا لا افعل مثل ديمتروف؟ أي اقول انني جبهة شعبية مع رفض اعطاء اية معلومات عن علاقاتي واتصالاتي. انكرت علاقتي بالجبهة، ثم خضعت المسالة لنقاش داخلي عندي خلال عملية الشبح، وبسرعة اكتشفت انني اتخذت موقفا "ديمتروفيا" في حالتي الملموسة لا عن طريق الاقرار بعضويتي ، بل عن طريق نفيها...فالفرق بين حالتي وحالة ديمتروف واضحة، هناك اعتقل "ديمتروف" وهو معروف انه زعيم الحزب الشيوعي البلغاري، أما أنا فاعتقلت في وقت ليس هنالك أي اثبات لعضويتي في الجبهة، ولذلك يكون الاعتراف في حالة "ديمتروف" هو نوعا من الافتخار، كما انه لا يمكن تسميته بالاعتراف سوى تجاوزا، أما في حالتي فالاعتراف يكون بمثابة هدية مجانية اقدمها للمخابرات، انه يكون بمثابة تنازل تحت عنوان الافتخار ونفخة الاعتزاز الفارغة التي تشبه الضرب على الصدر وفق العادات الوجاهية المعروفة في مجتمعنا. وقلت: لو قدمت هذا التنازل فانه يؤول الى تقديم تنازلات اضافية اخرى، فالمخابرات ستستخدم هذا الاعتراف كمقدمة لتشديد الضغط لكشف العلاقات المرتبطة بالقضية التنظيمية، واستنتجت لا يجوز سحب المواقف ميكانيكيا على بعضها البعض، وامحدد هو الظرف الملموس... وفيما بعد تبين ان قصة هذا المحقق عن والده ليست حقيقية بل اكذوبة، فليس له والد من هذا النمط، ان هذه القصة ليست سوى لعبة وحيلة مخابراتية لاغراء المناضلين بالاعتراف، ولولا انها نجحت لما كرروا نمط هذا المحقق الزنيم على نطاق واسع مع جميع من يحقق معهم، ويتراءى لي ان هذه القصة قد ابتكرتها المخابرات من واقع فهمها لنفسياتنا الاجتماعية، حيث تسود في مجتمعنا النخوة والتفاخر والاستعراض والمجاهرة بالعداوة، وفرضية هذا المهقق تقول: استفز هذه المشاعر عند العربي تجعله يجهر امامك بما فعله ضدك وباظهار واضح للعداوة... ويكون هذا الافتخار بمثابة اعتراف يبتزونه، فالحذر الحذر من الوقوع في فخ من هذا النمط، وكلمة الفصل هي الانكار الكامل للعضوية بالنسبة للاعضاء والكوادر، أما القادة والكوادر الذين يتكرر اعتقالهم بتهمة الجبهة الشعبية، فلهم ان يجاهروا امام المخابرات بتأييدهم للجبهة كخط سياسي وفكري، وأن يدافعوا عن خطها في وجه تهجمات المخابرات، أما الاقرار باتصالاتهم تنظيميا بها فذلك لا يجوز، خاصة انه يكون مقدمة للضغط عليهم لابتزاز اعترافات حول اوضاعهم التي يقودونها، وأول الرقص حنجلة.

مواجهة

تمت مواجهتي بالمعترف علي بعد مرور حوالي عشرين يوماعلى الاعتقال، وهذا مؤشر

جديد في اسلوب تحقيق المخابرات مع من تعتقد انهم ينتمون للجبهة الشعبية، فهي تحقق على اساس ان الجبهة الشعبية تنظيم له هيكلية متشعبة، ولذلك فهي لا تواجهك بما عندها عليك، وتطلب الاعتراف منك لعلك تعطي اكبر قدر من المعلومات المعترف بها عليك، وعندما تفشل في تحصيل اي شيء منك، فانها تواجهك بما هو موجود لديها عليك، أملا بان يؤدي ذلك لاعترافك ضمن هذه الحدود. ومن اساليب اقناعك بالاعتراف المواجهة مع المعترف عليك، حيث ان هذه المواجهة تاتي كمرحلة ثالثة. فالمرحلة الاولى هي طلب الاعتراف منك بدون ان تقول لك المخابرات ولو كلمة واحدة مما عليك من اعترافات سواك عليك، والمرحلة الثانية هي مواجهتك بالافادات والمعلومات المعترف بها عليك لمحاولة تحصيل اعتراف منك في حدود هذه المعلومات، وهذه بداية تنازل من المخابرات حيث انها تقنع وتكتفي بان تعترف فقط في حدود ما هو عليك بعد ان كانت تطالبك في المرحلة الاولى بما هو اكثر من ذلك. والمرحلة الثالثة هي المواجهة وهي مؤشر لتنازل اضافي من المخابرات، حيث تواجهك بالمعترف عليك أملا بان تعترف في حدود ما يقوله عنك.. ورغم المضمون التنازلي للمواجهة من جانب المخابرات فانها تحاول ان تغطي على هذا المضمون باعطاء شكل قوي للمواجهة عبر اجرائها بشكل مفاجيء أملا في ارباك المعتقل الصامد لدفعه للاعتراف.. فهل يجوز ان نرتبك من الضعفاء المعترفين أم نربكهم؟.. فكيف نتصرف في المواجهات، وكيف تصرفت من جانبي اتجاهها؟.. حقا أقول لكم انه لم ترد مني سوى الشفقة الانسانية على المعترف علي، وذلك لأنه من الناحية النضالية كان قد أخذ قسطا من التصليب قبل الاعتقال، وكان الانطباع عنه انه من النوع الذي لا يعترف ابدا، لكنه تراجع وخان، لم تكن لدي اية نقمة شخصية عليه لهذا السبب، فالمسألة ليست ابدا شخصية بيني وبينه، فعندما خان فانه لم يخونني بل خان الحزب، وبما ان الحزب هو الذي نظمه فالحزب هو الذي يحاسبه وليس انا، هذه الطريقة في تعاملي معه جعلتني لا اعيش اي حساسية شخصية تجاهه بل احتفظ بحب له كانسان مع ترك المحاسبة الحزبية تاخذ مجراها معه ومع سواه، هذا يناقض التعامل مع المعترفين عليك من قبلك وكانهم خرق بالية والتشهير بهم في كل مكان يكون له نتائج عكسية اذ يعطي المسالة طابعا شخصيا يساهم في تدمير بعض المعترفين بدل العمل لمحاولة بنائهم من جديد وتخليصهم من حالة الضعف التي وقعوا بها. خلاصة الحال ان مواجهتنا للمعترفين علينا في الزنازين يجب ان تتخذ طابع محاولة حث الجانب الايجابي عندهم ومحاولة دفعهم للصمود والتخلص من محاولة الضعف خاصة وأن الطريقة الأخرى "السب والتشتيم عليهم واتهامهم بالعمالة في بعض الأحيان .. الخ" انما يخدم العدو في نقل المعركة لساحتنا، وكذلك ربما تدفع هذه الطريقة المعترف عليك للايغال في انهياره وتسجيل اعترافات اخرى، وعند النزول للسجن يتم محاسبة المعترف عليك تنظيميا، أما

انت فعليك ان تحاول نسج علاقة انسانية طيبة معه، وان تساعد الحزب في تطهيره وفي انتشاله من ضعفه اذا كان موقفه في التحقيق وسطيا او انتظار قرار الحزب والتزامنا جميعا به.

مساومة

قبل اتمام المواجهة مع المعترف علي وبعدها، كان احد المحققين يحاول جاهدا الوصول معي الى صيغة مساومة، ومضمون المساومة كان كالتالي: "أجلب لك المعترفين عليك ثم نجلس ونتفاهم"، ما معنى ان نتفاهم؟ معناها ان تعترف بما لديك، وراح يشرح لي ما معنى كلمة تحقيق بالانجليزية وبان معناها الحرفي هو "التفاهم" وليس "التحقيق" وان دور المحقق مع كل معتقل هو الوصول لحالة تفاهم معه، وأنه بدون تفاهم تفشل عملية التحقيق. كان جوابي الدائم له احضر المعترفين علي، فأنا موافق بشرط ان اناقشهم واثبت لك امامهم خطأ اعترافاتهم علي، قال: نحن المخابرات مقتنعون بصحة اعترافاتهم عليك ولا حاجة لك سوى ان تؤكدها، قلت: اذن انت ضدي بشكل مسبق، وأنا ليس عندي شيء فخطتك هي ادانتي، ومن الطبيعي ان يكون موقفي هو الدفاع عن نفسي ضد اداناتك، قال: اعترفوا عليك كذا وكذا، ما رأيك؟ قلت: ليس عندي شيء مما يقولون وهذا كذب، قال: أترى ما الفائدة من المواجهة اذا كنت ستأتي بعدها وتقول لي هذا كذب وغير صحيح. هكذا كان يستمر النقاش بيني وبينه، وفي احدى المرات وافق على ان تتم المواجهة ضمن شروطي (ان يحضرهم لاثبت له عدم صدق اعترافاتهم)، ولكنه ذهب ليستشير مسؤول بهذا الصدد، وعاد ليقول مسؤولي غير موافقين على هذه الصيغة، قلت له: ليس عندي شيء وكل الاعترافات كذب بكذب، ومن جهة اخرى فأنا لا اثق بطريقة نقلك لاعترافاتهم علي فانت مخابرات وعدوي، وأريد المواجهة لأفهم ماذا يقولون بالضبط وأرد امامهم عليك.. رفض ذلك، فقلت لتستمر جولات التحقيق كما هي، أنت تسعى لادانتي وانا مستمر في الدفاع عن نفسي ضد ذلك سواء تمت المواجهة أو لم تتم، وفيما بعد تمت المواجهة بالصيغة المفاجئة التي حدثتكم عنها سابقا، حيث دخل المعترف علي وقال ما لديه وأخرجوه بسرعة لكي لا يتسنى لي مناقشته او الرد عليه.

هذا هو الحوار الذي كان يدور بيني وبين هذا المحقق المتذاكي، والسؤال هنا لماذا استمر ضابط المخابرات في كل جولة يحاورني على مساومة من هذا النمط رغم تكراري المستمر أمامه "ليس عندي شيء ولا أريد الاعتراف بشيء"، والجواب على هذا السؤال يكمن في مسألة أساسية وهي محاولة خلق حوار داخلي عندي يؤدي لتقديم اعتراف ولو هش ولو كان غير تنظيمي... المهم اعتراف يستخدم في المحكمة لتاكيد ما يقوله

المعترفين علي. بالضبط ما يريدونه أن أقبل بمبدأ المساومة وبالتالي بأن أقبل داخليا التفكير في الاعتراف كمقدمة للاعتراف.

نقاش

خلال التحقيق فتح المحقق العديد من حوارات "غسل الدماغ" معي: حول الشيوعية وما يدعونه من وجود قمع للفرد في البلدان الاشتراكية/ حول الدولة وتصارع الفلسطينيين داخلها بعد التحرير (سيذبحون بعضهم بعضا)، غياب عنصر "الافتخار" عند أعضاء الجبهة في عملهم ضد اسرائيل/ وحول القادة الذين يعيشون متنعمين على حساب من يقعون من امثالي... الخ، أي في كل المسائل التي حاولوا فيها هز قناعاتي الايدولوجية والسياسية.

وفي احدى المرات كان النقاش حول موقفي من الكفاح المسلح، هل أويده أم أنا ضده.. والسؤال هو: لماذا يسألني ضابط المخابرات هذا السؤال رغم أنه يعرف أن الجبهة الشعبية تؤيد الكفاح المسلح وتمارسه، جواب هذا السؤال هو أن المحقق كان يريد أن يختبر اذا ما كنت من النوع الثابت في قناعاته أم من النوع الرجراج، المستعد لاخفاء قناعاته تفاديا للضرب او للتعذيب.. ولهذا لم أتراجع من جهتي وبينت له ان مواثيق جنيف الدولية تبيح للشعب المحتلة أراضيه أن يناضل وبكل الوسائل الممكنة، لذلك فان نضال شعبنا المسلح مشروع... لقد أوردت هذا المثال عن عمد لتبيان اننا لا يجوز أن نتراجع عن مبادئنا وأرائنا خوفا من القمع والتعذيب، فالمخابرات تحاول أن تمتحن مدى التزامنا الفكري، واذا لمست فيه تزعزعا فانها سترى في ذلك ضعفا ويدفعها لتشديد ضغطها لاجبارنا على تقديم التنازلات... ان قول الموقف الصحيح قد يتبعه الضرب من المخابرات لنا ولكن لن يتلوه ابدا تشديد الضغط لتحصيل الاعتراف بسببه، وان مبدئيتنا المثابرة التي تعبر عنها مناقشاتنا ستحقق اليأس عند المخابرات من امكانية تحصيل الاعتراف فتندفع بالقاء أسلحتها جانبا واحدا بعد الآخر وتستسلم لصمودنا أمامها في التحليل الأخير، وهذا ما حصل مرات ومرات.

التحقيق لم يبدأ بعد

طيلة فترة التحقيق كانت المخابرات تحاول ان تزرع فكرة بأن "أمد التحقيق طويل"، وبعد مرور اكثر من عشرين يوما جائني احد المحققين وقال:"ماذا تفكر نفسك، ان التحقيق معك لم يبدأ بعد، وكل ما فعلناه معك ما هو الا استجوابات اولية"، وأردف

"أحدهم صمد خمسين يوما واعترف في اليوم الحادي والخمسين، وآخر صمد ثمانين يوما واعترف في اليوم الواحد والثمانين"، "فالمعركة معك طويلة ونحن غير مستعجلين"/ النتيجة: "ارحم حالك واعترف بدل ان تغلب حالك وتتعب نفسك".. هذه التلويحات هي جزء من الارهاب الهادف لاحباط المناضل وايجاد روحية اليأس من الصمود لديه.. ومقولة "ان التحقيق لم يبدأ معك بعد" هي مقولة كاذبة.. فطالما لم يبدأ التحقيق، فما الذي يجري معي اذن؟ ...لعبة .... ومن جهة اخرى تستخدم المخابرات اساليب التهديد "بالابعاد" و "التسليم لقوات لحد" و "الاقامة الجبرية" و "الموت في التحقيق" و "البقاء في الزنازين لفترة طويلة جدا" و "التشويه والمرض الأبدي" ... الخ من التهديدات... وحاولوا ايصالي الى تأنيب ضمير من خلال جلب المقربين علي وهم في حالة جسدية ونفسية بائسة ومنهكة وبأنني المسؤول عن تعذيبهم!!! فكان ردي أنتم الجلادون وانتم من جنى عليهم وليس أنا.

ان كل أساليب التهديد والتلويح هذه لا تجدي نفعا مع من يريد الصمود، وليعلم كل مناضل ان المخابرات لا ترمي أي مناضل في الزنازين الى ما لا نهاية.

معرفة الأشخاص والافادة

بالنسبة للأشخاص الموجودين في التحقيق معك، فان افضل وسيلة هي انكارهم اذا لم تربطك بهم سابقا علاقة اجتماعية أو مكان عمل واحد .. الخ، وقد انكرت معرفة كل الأفراد كما رفضت كتابة اية افادات بالعربية أو التوقيع بالعبرية اذ يجب رفض الامساك بالقلم بتاتا.

عوامل صمودي

عوامل صمودي في هذه التجربة هي عوامل الصمود المعروفة: قوه الانتماء للحزب + قناعتي الايدولوجية والسياسية غير القابلة للزعزعة + احساسي بأنني لست وحدي في المعركة بل معي الرفاق والحزب كله + الاندماج بالحزب وقضاياه ونضاله ومحاربة الذاتية البرجوازية الفردية بالذاتية البروليتارية الجماعية + التربية الحزبية وتشربي لقيمها ومبادئها ومواقفها + العوامل الذاتية المتعلقة + وجودي مع رفاق صامدين آخرين حيث أن وجودنا بجانب بعضنا البعض يشكل عاملا من عوامل قوة العزيمة والثبات في المعركة + الكرامة الثورية والاعتزاز بالنفس المرتكز على القناعة الأيدولوجية والسياسة والتحزب العميق... وقد بينت من خلال السياق اثر هذه العوامل جميعا في تشكيل تربة صمودي.

ان الثرثارين الذين يميلون للاستعراض والبهلوة والارتجال، والذاتيون الأنانيون انفسهم هم اول من يسقط في معركة التحقيق، وقد بينت التجربة ان الانشداد للبيت والعائلة على حساب الانشداد لمصلحة الحزب والنضال كان عاملا أساسيا من عوامل الاعترافات الواسعة التي شهدتها السنين الأخيرة.. لذلك علينا ان نحارب وبدون هوادة هذه النزاعات والمروجين لها وممارسيها... ومن جهة اخرى هنالك ضرورة للاعلاء المستمر من درجة الصمود ومضمونه، فعلى ضوء صمود عدد من الرفاق فان العدو يطور أساليبه وحيله واحابيله وبطشه لانتزاع الاعترافات، فالصامد اليوم لن يصمد غدا اذا احتفظ بنفس السمات التي جعلته يصمد اليوم، حيث ان غدا غير اليوم ومتطلباته أعظم والصمود ومضمونه الثوري لا بد ان يتطور بما يتناسب من متطلبات الغد ومع تنامي قمعية وبطش العدو، وكلي ثقة بأن حزبنا يستطيع من خلال ما تراكم من تجارب وخبرات ان يعلي من قيمة الصمود وان يقوي مضمونه ومحتواه ويغنيه، فاليوم نحن نريد رفاقا لا يصمدون فقط بل يحسبون مسألة الاستشهاد والحكم المؤبد وسوى ذلك من التضحيات التي ينبغي ان نهيء رفاقنا وأنفسنا لها، مع الاشارة الى أن الصمود بات الباب السريع للخروج من المعتقل.

ان تجربتي التي سردتها اليكم مفيدة بايجابياتها ومفيدة بأخطائها. واذا جمعنا كل ايجابيات تجارب الصمود فاننا سوف نستطيع الخلوص لتجربة الصمود المثالية، وان جمعنا كل اخطائها فذلك سيكون فاتحة للتخلص من هذه الاخطاء والوصول لتجربة الصمود المثالية.. وحينما يقرأ كل رفيق تجارب الصمود فعليه ان يضع في خلده هذه المسألة: ان يدرس جميع الايجابيات في تجاربنا ويتمثلها، وأن يتمعن في الأخطاء ليتفاداها عندما يحين الموعد في ظروف محققين أشد وأقسى من الظروف التي واجهناها

هذه هي تجربتي الاعتقالية الاولى التي لم انكس فيها الأعلام ابدا ولن انكسها أبد الدهر

الارادة الثورية الشجاعة تقود صاحبها

مقدمة : هذه قصة تحقيق حقيقية وقعت مع مناضل قرر عن عقائدية شيوعية نيل الشهادة في زنازين مخابرات العدو الصهيوني الفاشية اثناء التحقيق على أن ينبس قطعيا ببنت شفة تفيد العدو.

في خريف ١٩٨٣م

ضربات مدوية على باب البيت... صحوت من النوم ونتيجة أول عملية تفكير واعية أدركت ان الضارب عدو لدود خاصة وان وقع اقدام وتراكضات وصل صوتها الي. اتجهت

نحو الباب متمهلا .. صرخت من هناك...سمعت صوتا حاقدا عاليا يقول... جيش ... فتحت الباب دون تردد... اندفع الجنود المسلحين بالبنادق والمخابرات داخل البيت وكأن "كنز سمسم" قد فتح بابه الصخري... طلبت منهم أن لا يقدموا بحركات ازعاج فهناك صغار نائمون... ولكنهم لم يبالوا كثيرا... وضعوا القيد في يداي من الخلف وسحبني ضابط عسكري ممسكا بذراعي وحولي ثلة منهم متأهبة... قلت للضابط.. أترك ذراعي لماذا أهرب، لا يوجد شيء يدعوني للهرب فليس عندي شيء... نظر في وجهي وقال أنت لن تهرب... قلت طبعا فلماذا أهرب... وضعوني في سيارة عسكرية واحاطني الجنود وكانت أرضية السيارة وسخة رطبة ولكنها البداية... شعرت انني انتزعت من بين أحب الناس الى قلبي، فالآن سوف أغيب عنهم. ولكن هذا الشعور نفخ في داخلي التفكير في أسرع طريقة للعودة اليهم فهم بانتظاري دون شك....

التحقيق بالنسبة لي بدأ عمليا من لحظة دوي الطرقات على الباب. لم يرهبني ذلك، فعملية التحقيق الكاملة بكل فصولها والمدروسة جيدا من قبل جهاز المخابرات لم تدعوني للشك في قدراتي كمناضل وانسان علي المواجهة والتفوق، "فالارادة الثورية الشجاعة تقود صاحبها للنصر او الشهادة وفي كليهما انتصار على العدو". كنت مدركا أن المحققين الآن بانتظاري وقد أعدوا عدتهم وأساليب بطشهم لاجباري على الكلام الذي يشكل بنزين استمراريتهم في اعتقال المناضلين لمنع النضال الوطني من الاستمرار، ولكن لن يكون ذلك أبدا... قلت في نفسي لا وألف لا، لست انا الذي يقرغ جعبته على ورق المخابرات. نظرت في عيون الجند فوجدتهم متأهبين يراقبون كل حركة يمكن ان اقوم بها... قلت في نفسي من اية بلاد استوردتكم الحركة الصهيونية لتأتوا هنا للقتال على أرض ليست أرضكم. ان أسيادكم يضحكون عليكم وانتم تحملون ادوات الموت وهم يعيشون في بيوت فاخرة ويلقون عليكم الأوامر... استسخفت هؤلاء المتحررين على زناد بنادقهم وشعرت بالعزة ان مناضلا واحدا مكبل اليدين يرغم نصف دزينة من جيش العدو على التأهب نحوه... أه لو كنت انا مكانكم فسوف اذهب لاعتقال الفاشست وحدي تحقيرا لكم... كان الليل ساكنا والهواء رطب خفيف انتابني شعور بانني اعانق ما تبقى في من الحرية المحدودة التي نعيشها عبر استنشاق اكبر قدر من الهواء... كان صوت محركات السارات مرتفعا لكثرتها... الآن سيصحوا اهل الحارة وغدا سيتحدثون باعجاب عن الفدائي الذي اعتقل ليلة البارحة وكيف أن رتلا من سيارات الجيش اتى خصيصا .. فلولا انه رجل ذو قيمة لما اتوه بهذا العدد والعدة... اذن يجب تثبيت اعجاب الجماهير والعودة لها مرفوع الرأس... لن انطق بحرف واحد يفيد المخابرات الصهاينة... لم ترد هذه العبارة على خاطري لاول مرة، بل هذه المرة الألف كم قلتها وكم حكيتها... فالخيانة مرة وعار حتى الموت... كنت انظر نحو الشارع... خط أسود يهرب لبعيد وبسرعة يتلوى مع تعرجات الطريق نحو غرف الفاشست، فهنالك يجد الانسان نفسه وحيدا مقيدا محروما من كل مظاهر الانسانية وأرواحا شرسة شريرة سادية تلاحق أعصابه وجسده بشكل استنزافي وقح لتجبره على الكلام... وقفت السيارات، قفز الجند من حولي الى الأرض وسحبني اثنين بشدة الى الأرض... وقفت

ونظرت حولي متفقدا المكان... طلبوا مني ان اقف ووجهي الى الحائط... شعرت ان خطوات التحقيق قد بدأت فعلا فالآن كل شيء ممنوع. النظرات الهمسات الحركات حتى الطعام والتبول والنوم... ايها الفاشست وتريدون ان اسمح لكم عن طريق لساني ان تذهبوا لتأتوا بغيري هنا. ليقف ووجهه لهذا الحائط الباهت بدلا من ان يبقى هؤلاء المناضلون ينظرون من وجوه امهاتهم واطفالهم ورفاقهم... آه يا زمن الردة ويا عهر الأنظمة العربية، سيناضل شعبنا رغم كل الصعوبات حتى النصر... قطع تواصل افكاري يدا وضعت على عنقي وامسكت بطوق ملابسي وسحبتني للخلف بقوة هستيرية... شددت من عزمي كي لا اسقط ونجحت ونظرت خلفي فوجدت ضابطا عسكريا يقودني لغرف التحقيق... لقد وصلنا اخيرا... فمرحبا بالنصر أو الشهادة...

المواجهة الأولى

أدخلت للتحقيق عن طريق الزنازين، ألقيت نظرة فرأيت ابواب مغلقة صامته وكأنها لن تفتح ابدا لمن في الداخل... استقبلني ضابط مخابرات ذو شكل خبيث... قلت صباح الخير.. رد ميت مرحبة... كانت الاجابة متغطرسة جدا فالأجدر ان يقول صباح الخير... لقد تعودتم الغطرسة يا أولاد الكلبة لأن غالبية من يأتون هنا لا يحافظون على رباطة جأشهم وأسرارهم، ولكن سوف تعلمون في فترة الضيافة الاجبارية القذرة هذه انكم في مواجهة نموذج يشكل صورة المناضل الفلسطيني حقا... قال... اجلس... جلست على الكرسي.

- احكي لي القصة.

- اي قصة تقصد، الدنيا مليئة بالقصص.

- انت بتعرف شو بدي انا منك بالضبط.

شتمته في نفسي وقلت لا افهمك، هل جئت بي هنا لتقول لي احكي القصة. هل تريد حديث طويل ام مختصر مفيد...

- اريد منك المختصر المفيد بالقصة، يبدو انك زلمة فهمان.

- اجلب الهوية لأعود لبيتي فميعاد ذهابي للعمل قد اقترب.

لم ينفعل ولكنه قال... مش عيب عليك رائحة فمك وصلت لعدني... قلت..الحق عليك، لماذا أرسلتهم لاعتقالي من النوم، في لمرة القادمة ارسل لي طلب للأتيك في الساعة التاسعة فأكون قد تعطرت وأمضغ العلكة ليكون جو التحقيق ديموقراطيا..

... فتح الباب بقسوة ودخل محقق آخر شاب لطيف الشكل وجلس يراقب اليدان... ادركت انهم يرغبون بتكوين انطباع عن شخصيتي ليقرروا اساليب التحقيق الأنجع معي...

- احكي القصة كاملة، انظر ما لدينا من اثباتات، وقام بابرازها وقال... ان أول الغيث قطرة... امسكت انا بالمثل العربي ولم أكترث بما ابرزه وقلت... انتم تستخدمون امثلتنا حتى في التحقيق.

- اجب على سؤالي، احكي القصة يا "ع" فأنت تعرفها ونحن نعرفها... قلت لا يوجد اي

قصة بيني وبينكم، تستطيع اما قتلي او سجني على قانون "تاميركم" الذي تهددون به كل الناس، اما قصص وحواديث فلا يوجد عندي...

- بل يوجد كثير عندك وفي ثمانية وسبعين يوم ستحكيها يا بطل.

- أنا لا آخذ البطولة منك... ضعني في برميل كيماويات لأذوب فيه لعلك تجد قصة، فلا قصص عندي ابدا. فأنتم ماهرون في تلبيس الناس تهم باطلة، وهذا لن يكون معي.

- يا سلام وابتسم، كمان انت بتفهم في الكيماويات.

- هذه معلومة يعرفها الأطفال في المدرسة.

- معلوم عندكم أطفال الآر بي جي حتى بدهم يحرروا فلسطين.

- لا داعي للغرور فكيانكم يعيش على حنفية الدولار وان اغلقت... واشلحت يدي علامة على الاندثار...

- كمان معبأ وفهمان ويبدوا انك... وأشاح بيده.

وهنا ألقى بمستند ليديني فأخذت أنظر الى أطراف الطاولة وكأنني اقدر طولها بالميلمترات غير آبه لتصرفه وكأنه لا يعنيني.

- صرخ بي عن كثب... القصة بدنا اياها.. فاهم.. بدنا القصة.. احنا ما بنلعب معك.. اجبته انا انسان عادي جدا والكلام الذي تقوله لا علاقة لي به ولا أريد أن ألعب معكم.

تدخل الآن المحقق الآخر..

- اسمع يا "ع" انت ورطان حتى رأسك يعني غرقان بتعرف شو معنى غرقان، عند المخابرات الاسرائيلية يعني بدك تحكي القصة وانت محترم أو حمار.

- لا داعي للألفاظ البذيئة، استخدم كل وسائلكم في التحقيق وسنرى ان كان هنالك قصة أم أنكم تتخيلون وتحلمون..

- نحن لا نتخيل، لدينا أدلة واثباتات وبدنا القصة...

أدركت انهم قد واجهوني بكل ما لديهم في حين انهم يدعون ان أول الغيث قطرة، وهذه الحيلة يجب الاحتراس منها.

صرخ ... قف... ووضع كيس سميك على رأسي وصل الصدر وأحكم القيد بيداي من الخلف وساقني الى حجرة مساحتها متر مربع واحد وأجلسني على كرسي...

ضحكت في نفسي وقلت هذه بداية ديمقراطية لعلهم يحضرون لي صحنا من الفول بالزيت والفلفل على غرار هذه الديمقراطية في التحقيق.

تفحصت الموقع بعد ان زحت الكيس عن عيناي فوجدته خشن الجدران بلون قاتم وباب خشبي عادي، فقلت جيد أنه دافىء والطقس هذه الشهور بارد. ومن ثم أنزلت الكيس على وجهي للتدرب على مواجهة هذه العتمة...

فتح الباب بسرعة وامتدت يد الى وجهي ورفعت الكيس عنه، فوجدت رجل مخابرات يضحك دون سبب... قال... هل تعرفني... قلت هل أنت المهاتما غاندي أم جواهرلال نهرو لأعرفك... قال ماذا قلت... وفي الحقيقي اخترت انا هذه الأسماء لأنني مدرك انها صعبة الاستيعاب وغير متوقعة لارباكه، فان كان قد قدم ليضحك مني ودون سبب سوى

مضايقتي فليكن هذا له، ولأسخر منه أنا... فأعدت عليه ما قلته... ولكنه قال... انا بعرفك انت "ع"... قلت الرجل المعروف يعرفه الجميع ولكن انت لست محقق معروف، يبدو انك جديد على المهنة ولا أحد يعرفك. ضحك وكانه مكلف من أسياده ان يأتي ليضحك ويذهب... قال سنلتقي... فأنت ضيف محرز عندنا وسنتعرف على بعض... قلت لا بأس ان كانت هذه رغبتك ولنذهب للتحقيق بدل هذا الوضع غير اللائق... قال لا لا لا بكير بكير.. انت هنا اسبوعين وبعدين نبدأ... قلت ليكونوا شهرين هل سمعت عن اغنية فيروز يوم ويومين وجمعة وشهر وشهرين... قال لا، قلت له اذهب واسمعها... فأنزل الكيس بشدة ودفع رأسي بقصد ضربه بالحائط مباشرة ولكني محترس. مكثت اسبوع في هذا المربع بشكل متواصل عدا جولات التحقيق المختصرة احيانا والطويلة جدا احيانا اخرى، وكانوا يتعمدوا مواجهتي في ساعات الليل المتأخرة بهدف منعي من النوم، وكثيرا ما كانوا يأتون ليفتحوا الباب علي لازعاجي لمنعي من النوم واشعاري بأن جولة تحقيق آتية لا محالة.

الجوع سرى في أعماقي بحكم العادة فالانسان اعتاد تناول الطعام ثلاث مرات يوميا وهنا في هذا المربع لا طعام قطعيا ولا نوم والمرحاض محظور. اذن فهذه جولة ايها الفاشست، ماذا تريدون امن أجل صحن طبيخ سيء وقطعة من الخبز تريدون مني ان ارجوكم ان تسمحوا لي بالطعام... لن اطلب، فكلما كنت اشد صلابة في مواجهة التحقيق كلما اضطررتهم لاختصار مدته الزمنية. اذن فهو لكم وانا لي الصمود والمواجهة.

اسبوع مر لا أدري الليل من النهار... اختلط علي الزمن وخرجت من فمي رائحة كريهة ومع التنفس تلوث الكيس القذر اصلا بها ومن ثم تأقلمت معها فالانسان قادر على ذلك، ولو لم يمتلك المقدرة على التعايش في الظروف الصعبة المضادة لكيانه البشري لما استطاع الاستمرار منذ ملايين السنين وفي ظروف أصعب.

وفي الأسبوع الثاني بدأ التحقيق بشكله المتوقع فقد ظهر وجهن جديدان لي... وفي يوم تبين لي ان الوقت عصرا سحبت فيه لغرفة التحقيق... رفع شخص الكيس عن وجهي فوجدت رجلي مخابرات أمامي... طلب مني أحدهما ان أجلس بصوت عادي... قلت له أين... قال على الكرسي... جلست... قال أنا "أبو فلان" رتبتي كذا، وذكر رتبة عالية، وقد نظفت قطاع غزة أيام شبابي من جماعاتكم... قاطعته... ليس لي جماعة... اكمل حديثه... فلان اعترف امامي وعلان انا اشرفت على اعترافه ووو ....الخ. كان هذا تهديد وسأضع القصد منه، القول لي انتهت فترة النقاهة وسوف نربيك...

تحدث المحقق الثاني قائلا... لقد أتيت خصيصا لك وأنا من فعلت كذا وعملت كيت وفلان خر أمامي وكتبت اربعين صفحة ووو.... كنت انظر فيهم بهدوء تام وعيناي تنظر في حدقة عيونهم فقط.. وعندما انهى هذا المجرم البشع كلامه قلت لهم... انا الجنرال "ع" لا أحب أن يتحدث أحد معي بلغة التهديد... أنا "الله" اتحدث معه بالاشارات وان كان غير موجود... استخدموا كل أساليبكم... اقتلوني فهذا شرف لي ولا تهددوا بل نفذوا مباشرة كل ما تريدون ولكن لا تهددوني لأنني لا أخاف تهديدكم... قصدت بعثرة خطتهم بارهابي وفعلت ذلك... حين قال أحدهم... اذن رجل لرجل... قلت نعم... قال تتحدى... قلت

اعتبرها ما تريد... قال نريد القصة والاثباتات كثيرة وواضحة وعليك شهود وافادات ونهض من خلف الطاولة قاصدا ضربي... سحبني وانا مقيدبالحديد ودفعني بقوة... قلت له.. اسمع هذه طريقة نازية وانتم عانيتم من هتلر كثيرا ولم تتعلموا... انك محقق فاشل ان استخدمت اسلوب الضرب وأنا لست خائفا ولكن أعدك أن ارفض التفوه باجابة واحدة ان انت مددت يدك علي وهذا وعد من رجل لرجل...

كان الاسبوع الثاني شديدا "الشبح"، كان وقوفا وجولات تحقيق كانت طويلة جدا تصل الى ثلاثين ساعة متتالية. قد كنت ادخل غرفة التحقيق صباحا لاخرج منها في اليوم التالي، وهكذا دواليك.. وكانوا يستخدون جهاز التبريد ضدي ليخرج منه هواء بارد، مع مرور الوقت تتحول الغرفة الى ثلاجة بقصد ايلامي ولكي اصاب بمرض ما مباشرة أو مستقبلا، ولكني تمردت حيث نهضت عن الكرسي من مقابل "الكوندشن" وأخذت أسير في الغرفة بعد أن انتزعت الكيس عن رأسي، وفجأة دخل رجل المخابرات وقال... يا سلام، انت كمان بتتمشى، بتفكر حالك في البيت... قلت... اذا رغبت سأبقى مكاني، فما عليك سوى شراء حبل "مصيص" وتربطني به بالكرسي... قال... ستبقى هنا حتى تموت... قلت... في أمريكا تستخدم غرف الاعدام بالغاز وهنا انتم تلاميذ العم سام تعدمون بالتبريد... فبصق في وجهي، ولكني انحرفت وتخطتني البصقة وخرج. أخذت أفكر في طبيعة التحقيق وأنا مدركا انه لا زال في بدايته، وأخذت صور المناضلين تمر أمامي والأهل والأحباب والذكريات. كنت قد اشتقت لهم جميعا، بكل جوارحي فهم الآن ينتظرون الليالي الطويلة والأيام الثقيلة ينتظرون خبرا من طرفي وليس بأي خبر. انهم ينتظرون

××××××××××

خبرا مفاده ان "ع" لن يخون، كيف اخون ما تم بناءه بعد جهد وتعب وتفكير وأعصاب ووقت لا وألف لا لن أخون ولن أسمح لأحد أن يصفني بالخيانة... لن أجر العار على قادتي والثورة وأهلي... لن اجيء هنا برفاق جدد. لن أسمح للفاشست بانتزاعهم من بين عائلاتهم دون رحمة "لن تتجه سيارات المخابرات الى عنوان أنا اعرفه"، عذابي هذا لا شيء أمام عذاب الضمير. ونظرات العتاب وعقاب المبادىء الصارم. هواجس كثيرة خطرت على نفسي، كنت دوما أردد عبارات ثورية وأغاني، قلت عبارة فوتشك "اذا الرأس رفض لا الفم ينطق ولا المؤخرة" "والجبان هو الذي يعترف، أما الشيوعي فلا"، ولا أدري ان كانت حرفيا صحيحة ام لا ولكن هكذا خرجت من أعماقي، تذكرت أشكال التحقيق الأشد بطشا فقلت أنا في نعمة فلماذا أفكر بهؤلاء الموظفين البروقراطيين الساديين. لن استسلم أبدا وليصنعوا ما شاؤوا، فالانسان سيموت يوما ما فلتكن ميته بشرف وكرامة.

××××××××××××××

الأسبوع الثالث : المعركة :

شددت المخابرات من هجومها علي فتكاثفت جولات التحقيق وتغيرت لكنة المحققين

وأخذوا يهددون بطريقة مبرمجة واضحة " قانون تامير"، سوف نحكمك أكثر مما لو حكيت القصة، أنت غبي، ستذهب ضحية رأسك اليابس... الموضوع بسيط، نحن سوف نساعدك بأن يكون حكمك بسيط... قلت لا تشرفني مساعدتكم أعطوني هويتي وافتحوا الباب لي كفاكم عبثا... ضحكوا انت بطل، عندما تخرج من السجن ستكون بطلا بعد ان صمدت وهزمت المخابرات الاسرائيلية، والأدلة دامغة ولكن اعرف هذه الكلمات، ستدفع الثمن غاليا، هذا وعد، واقسم لك بشرفي وشرف المخابرات انك ستدفع الثمن غاليا، نريد القصة أنت عندك قصة نريدها كاملة، لن تخرج من هنا حتى تحكيها والأدلة واضحة...أوراق كثيرة عادوا وزادوا وحللوا الدلائل التي بحوزتهم، في حين من جهتي لم أكن أعتبرها أدلة، لقد كانت هراء بحق وحقيقة فمنطق المناضل يختلف عن منطق المخابرات، فكل ما تعتبره المخابرات صحيحا هو في نظر المناضل كذب وافتراء وخزعبلات القصد منها حشره في السجن لأنه انسان يحب وطنه وشعبه، ولنني لن أعود الى مخيمي في غزة الا مرفوع الرأس.

قال... انت ستموت لماذا تقتل نفسك، انظر في صحتك ووجهك، نحن مرتاحين، البارحة مثلا انا اخذت حماما وأكلت كذا ونمت مع كذا... الخ، قاطعته قائلا بحزم هذا اسلوب فاضي في التأثير علي وأنا لم أطلب منك برنامج عن حياتك... ولماذا لا تحدثني عن الجرائم التي ترتكبونها بحق شعبنا؟

جلس أحدهم على الطاولة امامي ووضع عينيه مقابل عيني وأخذ يكتب ما لديهم من دلائل، فقربت عيني من عينيه وأخذت أنظر بهما وقلت له عيناك بشعتان... ضحك وقال... أنا لست بنت حلوة هنا: أنا محقق... قلت له لماذا عيون المحقق فلان حلوة... اطردوه اذن... قال انا بحكي معك في موضوع القصة مش العيون... قلت له ان جدل هيجل ربط بين ثدي البقرة وقطعة الخشب، وأنا جدلي يربط بين التحقيق والعيون.

قال... هذا يعني انك لا تريد الكلام... قلت بل أريد... انفردت وجوههم كأنني قلت هذه جوهرة لكم... قالوا احكي نحن متأكدين انك لا تريد ان تموت، قلت... سأحدثكم هذه القصة قالها لكم مناضل قبلي في مدينة فلسطينية أخرى... هل سمعتم عن رود ريجو روجاس... قالوا مين هذا احكي اسمه بالعربي... قلت ان اسمه هكذا، لقد أخذوه للاعدام عندما اعتقلوه ومثلوا عليه مرتين طقوس الاعدام ولكنهم لم يعدموه، ولكنه كتب عن مشاعره قبل الاعدام، فقال ان الحياة تمر كشريط قصير جدا رغم طولها. وأنتم سوف تموتون، قبل الموت ستتذكرون حياتكم كشريط سأكون انا فيه، ستتذكرون الجرائم والعذاب الذي تسببونه لأناس أبرياء مثلي وان قتلتموني فسوف أتذكر حياتي كشريط ولكنه مريح لأموت بعدها مرتاح، هذه هي القصة التي سأحكيها لكم وعندي قصص كثيرة مثلها ولكن غيرها لا يوجد ابدا، ولو سمحتم أعطوني هويتي لأعود الى بيتي... نظر المحققان في وجه بعضهما وقال أحدهما... هذا ليس انسان عادي فهذه الثقافة والتعبئة لم تأتي من السماء...

سررت لهذا التقييم واعتبرته هدفا كاملا في شباك المخابرات... جولات التحقيق طويلة

جدا باطنها مكثف زيادة واعادة في "الدلائل"، أبرزوا الافادات... يا "ع" فكر لا تقتل نفسك، كن مثل كل المساجين لدينا ٣٥٠٠ سجين كلهم حكوا القصص وانت لا تختلف عنهم. يوجد ثمانية وسبعين يوم طوال وعراض، احكي القصة وحتى لو صمدت سنحكمك أعلى مما لو حكيت القصة، نريد القصة يا "ع"، هذا دين لنا عندك نريده، انت تعتقد انك قادر على الصمود... انك تكذب على نفسك فسوف تحكي القصة... استمر الهجوم على نفسيتي بعدة طرق واساليب واحضروا كل ما لديهم مرة ومرات وقالوا اقرأ الافادات انها تدينك وحكمك سيكون عاليا، احكي القصة نريدها لماذا لا تحكيها فنحن نعرفها وهي واضحة وليس هنالك سر ولكن احكيها فحكمك سيكون اقل بكثير لو قلتها، وسينتهي هذا العذاب ونصفي الحساب وتقضي سجنتك وتعود لأهلك وتعيش حياة عادية، أما ان لم تحكي فسوف نربيك، نحن قادرون على قتلك بطريقة، وأشار بأصابعه علامة على لمح البصر... وانت تعرف يا "ع" اننا قمنا بتصفية الكثيرين دون ان يكون هنالك ادلة حتى ضدنا، ونحن القانون والحكومة...و و ... الخ. سمعت له حتى انهى كلامه وقلت له: لقد حفظت الدرس جيدا ولا يوجد عندي قصة وأنت يا حضرة المحقق اذهب وعلمه لغيري فلعله يكون عنده قصة يحكيها لك.

في نهاية شهرين تحقيق أخذت تنمو في داخلي افكار التمرد وأخذت اتخيل انني ضربت المحقق بكرسي وتخيلت انني خرجت من الزنازين محمولا على نقالة وأن امي ضعفت فماتت مكانها وأبي على عكازة هزيل، وتخيلت المستقبل وحرب العصابات والأشبال بالعمرات العسكرية. رايت نفسي أعوم في البحر بين الحيتان الشرسة... كنت واقفا ومرتين سقطت فضربت رأسي في الحائط وكتفي ومرة سقطت فوجدت نفسي مستلقيا مقيدا للخلف والكيس برأسي... صرخ الشاويش قوم وقف وقف... أجبته بشتيمة معتبرة وقلت له تعال وضع على رأسك كيس ووقف لنرى مراجلك؟ كنت قد عرفت ان مهمة الشاويش في الزنازين لا تتعدى افتح باب واغلق باب وادخل هذا واخرج ذاك، ولكن الشاويشية يتدخلون في شؤون المعتقلين في التحقيق اثناء الشبح من منطلق حقدهم فيسيؤون للمعتقلين في أحلك الأيام بهدف الضغط عليهم دونما توجيه من المخابرات او عدمه لهذا كنت اتمرد على طلب الشاويش بأن اظل واقفا طوال الليل، ومرة تحديته بشكل سافر ورفضت الوقوف وتناوشت معه وتحديته وقلت له ارفع الكيس عن رأسي وفك القيد لنرى من الرجل فينا يا ابن "القواد"، فذهب لتوه ونادى اسياده فخرج رجل مخابرات لم يحقق معي وقال مين القبضاي... قلت انا لن اقف حتى لو قتلت، من حقي ان اقعد على الأرض عندما اتعب.. فما كان منه الا وادخلني الى الزنزانة لأرتاح!!!

الأسبوع الخامس هو الحسم:

تكرر وضعي على حالة ما بين جولات التحقيق التي قصر وقتها وتباعدت، وما بين "الشبح"... وقد طلب مني المحققين عدة مرات مناقشتي في مسائل تخص قضيتنا الوطنية

الفلسطينية وحقنا في فلسطين، وكان المحققون باستمرار يسمون لتشكيكي كما يفعلون مع معظم المعتقلين بحقنا في وطننا فلسطين عبر مجموعة عبارات حفظوها تماما ويكررونها كالببغاوات مع الجميع... انتم من جزيرة كريت ولستم فلسطينيون من سكان هذه الأرض... ونحن يقصدون هم اليهود هذه أرضنا وهذه حضارتنا ويذكرون الهيكل والأثار تحت الحرم القدسي و و و ...الخ، وكانوا يتحدثون عن ميزان القوى العسكرية في صالح اسرائيل وأن لديها قنابل ذرية تستطيع عبرها احتلال العالم العربي بكامله ويتبجحون بمقدرة طياراتهم... فنحن دمرنا مفاعل العراق... وضربنا حمام الشط بتونس... ودمرنا قلعة شقيف... ونحن المخابرات حققنا مع زعاماتكم في لبنان... والمناضل أثناء تحقيقه لا يواجه ضابط مخابرات واحد الا ويقول الضابط انه خدم في لبنان اثناء المعارك في التحقيق او الجيش أو أي صلة أخرى... المهم انه كان في لبنان، والهدف من ذلك واضح وهو القول للمعتقل الخاضع للتحقيق انك لا شيء امام تجربتي ومقدرتي، فاعترف احسن لك، هذا الارباك القائم على الأكاذيب اسلوب أساسي تعتمده المخابرات في التحقيق مع المناضلين.كنت مدركا ان ضباط المخابرات لا يحملون ثقافة عالية الا الندرة، وهؤلاء لا يحققون عادة ولكنهم جميعا يحاولون البروز والتمظهر بأنهم مثقفون، وفي الحقيقة يحفظون بعض العبارات البسيطة كجزء من عملية التحقيق. وذات مرة حاول ضابط ان يقنعني ان الفلسطينيين أصلهم من جزيرة كريت وأن زعيمهم بولستا قادهم الى فلسطين، فقلت له لا هذا فهم مغلوط، الفرضيات التي تبحث في اسم فلسطين تنسبها الى بولستا. اما مسألة القبائل التي كانت تقطن فلسطين فهي عربية وليست يهودية. ويمكنك العودة لكتب التاريخ. قال انا لست فيلسوفا ونظر بحقد واضح وخرج.

بقيت في غرفة التحقيق عدة ساعات ومن ثم جاء لي أحدهم وقال... آسف يا "ع" قيادة المخابرات رفضت وقف التحقيق معك واتخذوا ضدك اجراءات صعبة وأنا متأسف على هذا فأنت مش عارف شو بدك تشوف في الأيام القادمة... نظرت في وجهه بصرامة المتحدي وقد غاظتني عباراته المزيفة وقلت: لا داعي للأسف فأقصى درجة هي الموت وأنا أريده أفضل من أن اموت على فراشي كما تموت البعير، ولمعلوماتك هذه العبارة لخالد بن الوليد، هل سمعت عنه. أجاب لا، قلت انه فارس لا يهاب الموت انا احترمه فهو عربي اصيل. أجاب احترم كيف تشاء ولكن عندك سيء وسوف ننقلك من هنا لمكان... سحبني والكيس برأسي وقال سأضع عليك كمان كيس وممنوع تقعد على الأرض... قلت سأرفض اي كيس آخر واعملوا ما تشاؤون... طلب من الشاويش ايقافي وقال له: لا تسمح له بالتبول والجلوس على الأرض... اجاب الخادم الغبي "بسيدر مئود" انه موافق تماما... قلت في نفسي ان هؤلاء الشاويشية لا يجدون عملا آخر فيأتون هنا ليقفوا في هامش عملية التحقيق الفاشية. يتدربون على السادية يوم بعد يوم حتى درجة المرض المزمن بحيث لا اعتبارات لاي فهم انساني للانسان الذي يرزح تحت ظروف قاسية مؤلمة...

مر الأسبوع الخامس والسابع وقد مكثت في زنزانة وحيدا عدا جولات التحقيق. ومن شدة الارهاق لم يطرق النوم عيني وتسمرت في الحائط فأخذت وجوه تطل وتغيب على الجدار

الخشن وكأنها البرق السريع تروح وتجيء... وجوه احببتها واحترمتها وها هي تأتي لتزورني في وحدتي وفجأة قررت ان اوقف خمسة وجوه على الجدار وأن اوجه لها عدة اسئلة... قلت ما رأيكم في وضعي كما ترون... لم افكر حتى بنطق حرف واحد يفيد الفاشست... ضحك الوجه الأول وقال... هذا حكمنا عليك منذ اعتقالك. سألت الوجه الثاني يا رفيق انهم يهددون بنقلي لمكان مجهول هل هذا صحيح... رد علي فعد ابتسامة... لا تخشى شيئا فالجهاز واحد والتحقيق واحد... سألت الوجه الثالث كيف انهي التحقيق بسرعة... أجاب بمزيد من المواجهة الصارمة ستضطرهم للانسحاب من ميدان المعركة مهزومين... قلت آه هذا رائع.. واخذت افكر كيف سأواجههم بطريقة تدفعهم لتنفيذ وصية هذا الرجل الثوري الصادق في وصيته... سألت الوجه الرابع وكان واضحا كما لو انه امامي فعلا... كيف الأوضاع في الخارج هل كل شيء بخير؟... كنت اريد اي شيء عن النضال... لقد غاب عني على غير تعودي... اجاب...انت اما ان تدفعه للأمام بصمودك او تسحبه للوراء باعترافك... غير انني وقفت على قدمي وضربت الحائط بيدي حتى الألم وصحت بصوت مسموع لا لا لا لا لا واخذت ارددها حتى عدت لحالة التوازن وجلست وقلت لنفسي: ما بك يا رجل وكأنك تطلب العون من الآخرين... لا يجب طلب من احد شيء... اذهبوا من امامي لا اريد منكم شيء... لن ابوح بشيء اطمئنوا... ولتمضي العزائم لا تلين... نهضت وغسلت وجهي بالماء ويداي وشربت واستلقيت وخلدت لنوم عميق وكأن العالم قد ذاب من مخيلتي... طالت ايام الوحدة في الزنزانة والتحقيق امسى متقطعا وأخذت ارحب بسحبي لغرف المخابرات بدل هذه الوحدة اللعينة فهنالك نقارعهم قليلا ونعود للراحة... ان وضع التحقيق بعد الانتصار في الجولات الحاسمة يتحول لمغامرة محدودة محصورة تبعث في النفس الشعور بالتفوق... وكم كنت اشعر وانا واقف والكيس برأسي والقيد بيداي انني عملاق ضخم يواجه مخلوقات ضعيفة...

وذات مساء وجدت نفسي في مواجهة مجموعة من ضباط المخابرات وكأنهم يرغبون بتحقيري او اغتيالي... قال الزعيم بينهم... انت يا "ع" لا لا قبل ان اقول لك اريد ان أسألك كم يوم أنت هنا... قلت له هنا اين... قال في ضيافتنا... قلت عن اية ضيافة تتحدث... نظر بغضب وقال كم يوم انت معتقل... قلت احكي بلغة عربية صحيحة سؤالك غلط... تأهب الجميع نحوي وكأنهم يودون الانقضاض علي... قال آخر من بينهم... جاوب على الأسئلة مش فاضيين لك... قلت هاتوا الهوية لأعود لبيتي لا يوجد عندي شيء... عاد الاول ليقول انت يا "ع" رجل ونحن احترمناك، كيف ترى التحقيق لسنا كمخابرات العرب نقتل... قلت انكم تعتمدون الطريقة التي تحلبون بها المناضل وان تطلب ذلك القتل فانتم تفعلونه ولكن عندما يموت فهو لا يعطي شيء لذلك لا تقتلونه ورغم ذلك قتلتم بطريقة أو بأخرى...قاطعني... عليك نور يا "ع" انت فهمان لهذا لا نريد منك سوى القصة باختصار انت فاهم قصدي... ضحكت بصوت عال وكأنني أهذي وقلت... أكثر من شهرين وأنتم تقولون القصة ولم أفهم ما تريدونه وانت تريدني ان أفهمك عندما تقولها لمرة واحدة، أنا دماغي بطيء في التفكير جدا جدا خاصة في ظروف الرطوبة... كان لقاء سخيفا باهتا كله

تهديد مغلف وزعبرة فاضية "قانون تامير" الحكم كثير ان لم تعترف و و و و و ....الخ. أدركت ان التحقيق في نهاياته وأخذت افكر في نشوة الانتصار وكيف سيلاقيني الرفاق والأهل والأصدقاء بمعانقات حارة. اذن سأنزل من التحقيق منتصرا حيا ارزق لأعود لموقعي في الحياة... آه يا زمن الردة ففيك تنتصر العزائم رغم كل شيء... سحبت للزنزانة وشاهدت مناضلين يقفون والاكياس برؤوسهم والقيد من الخلف. انهم جدد وهذا يعني ان النضال مستمر في الخارج فهذه الورود الشائكة تأتي لتقول المسيرة مستمرة رغم العذاب... اصمدوا... اصمدوا... اصمدوا قولوها اي قولوها ورددوها فأنتم بحاجة لها اكثر من اي عبارة اخرى... أدخلت لزنزانتي المعتادة وشعرت انني أفجر جدرانها واخذت اغني... هناك أرى عاملا في الطريق... أرى رجل الثورة المنتصر يلوح لي بيد من حديد واخرى تطاير منها الشرر... أنا الآن أشعر اني قوي واني افجر زنزانتي... وشربت الماء وجلست واخذت الافكار تطير بي لأيام الطفولة والتين واللوز ووجه امي أطل علي مبتسم ضحوك متفتح ورأيت نفسي أجلس بين الرفاق من جديد، كم هي غالية تلك الجلسات، انها التاريخ الحقيقي لكل مناضل يرسم عبرها آمانيه واماني شعبه... قلت الآن سيطول المكوث هنا في هذه الزنزانة الانفرادية اذن لأضع شيء ما اسلي به نفسي، فأخذت افكر في برنامج لقضاء وقتي وبرمجته على النحو التالي، انهض من النوم، أغسل وجهي وأشرب الماء ان وجد ومن ثم المشي ببطيء شديد.. تمارين رياضية متواضعة

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

فتح ضابط التحقيق الزنزانة فوجدني واقفا بعزة وقال تعال نتسلى فقلت بعد ان امسك بي: اذن لا تطلبني من الزنزانة التي وضعتم بها كل التصاميم المضادة للانسان والانسانية اتقول لي تعال نتسلى... سرت خلفه لغرفة التحقيق، أصبحت محليا واعرفها جيدا فقد حققوا معي بها جميعا وحفظت توزيعها الهندسي... قال اجلس... قلت أين... قال على الأرض... قلت مش قاعد... قال على الكرسي... قلت انا هكذا مرتاح وأنا واقف... قال اقعد الحديث طويل... قلت لا يوجد حديث بيني وبينكم، هاتوا الهوية وافتحوا لي أبوابكم... قال سأحكي لك القصة وروى قصة هي القضية التي اعتقلت من اجلها، وعندما انهى قال انت رجل تستحق الاحترام... قلت المحترم عندنا يختلف عن المحترم عندكم... قال كيف... قلت الشراميط في غرف "العار" هم محترمون عندكم اما عندنا فهم في عداد الأموات... قال لا لا لا انا ما بقصد هيك أنا بقصد الناس اللي مثلك... قلت له المحترم عندما ياخذ احترامه من شعبه واهله وليس من عدوه... قال ليش انت عصبي... قلت انا لست عصبيا بل هادىء تماما... ادركت انه يريد اختبار نفسي بعد هذه الأسابيع وهذه الوحدة لعله يجد ثغرة يدخل منها الى جعبتي السرية، ولكن لن يكون ذلك فالمناضل عليه ان يستشهد واسراره معه وجعبته مقفولة.

أعادني للزنزانة... تملكني شعور بالنصر الكامل وقلت في نفسي هذا المحقق الذي كان شرسا يبصق ويشبح ويفتح الكوندشن ويحقق ويهدد ها هو يطلبني ليقول لي مهزوما بدنا

نتسلى. الصمود وحده هو الذي هزمه وغيره وليس من سبيل سوى الصمود، يا ليتني كنت شاعرا لانظم للصمود اروع قصيدة في العالم...

التحقيق ينتهي تدريجيا هكذا شعرت وفجأة بعد ٨٠ يوما انزلوني لاقسام السجن وكم كنت مشتاقا لملاقاة الرفاق وكافة المناضلين... لقد عدت اليكم وعلى العهد... استقبلت بحفاوة الرجال حين تعانق الرجال بضحكات المناضلين الوردية خلف القضبان حين تتلاقى والعيون مفسولة بدموع الفرح والقبضات ترتفع الى عنان السماء والاكف تتصافح وتطرق الظهر بحنان ومرارة اثناء العناق... آه ايتها الورود الشائكة... فرحتك الثورة وشوكك للاعداء في كل زمان ومكان في البحر وعلى ضفاف النهر وفي الجبل والسهل... أيها الرفاق والاخوة... لتنتصر الثورة والموت للأعداء...

قبل الذهاب الى التحقيق ادركت بان هناك بعض الاعترافات، وكان موقفي قبل الذهاب. وهذا ما دار فعلا في ذهني، بأنه مهما كان الثمن فلن يكون هناك اعتراف مني، وذلك لانني شاهدت وسمعت عمليا الموقف من الانسان المعترف. فالاعتراف يساوي فقدان ثقة الناس بالانسان. وهنا انتقل الحديث عن الاساليب التي استخدمها جهاز المخابرات وفي نفس الوقت كيفية التعامل الذي تم معها من قبلي. في البداية كانت في ذهني فكرة انني في تحقيق امام عدو محنك ولديه امكانيات وبالتالي فانه يستخدم كل الأساليب وكل الطرق وستكون هذه الاساليب متنوعة وعديدة هدفها واحد وهو الوصول الى خيوط جديدة تمكنه من تسديد ضربة أقوى. وان اي عمل سوف يقوم فيه رجال المخابرات سيكون هادفا ويسعى لتحقيق ذلك الهدف الجوهري. في الأيام الأولى كان التركيز على الشبح مع الضرب الشديد مع خلق جو من الرعب، وهذا استمر للاسبوع الاول حيث كان تركيز المخابرات كبير وخاصة بالضرب والبطش اثناء الشبح. وكانت طول الفترة شبح عدا جولات التحقيق حيث كان التركيز فيها بانني ليس مشتبه به بل مدان. ولا مفر ولا حل الا بالاعتراف. كنت أعرف أن هذه الفترة لن تستمر طويلا وان التركيز في التحقيق يكون خلال الايام الاولى وذلك للاستفادة من جو الرعب الذي تحاول المخابرات ان تستفيد منه. فبعد كل جولة من التحقيق كنت انتظر الجولة الثانية وكم كنت مسرورا عندما تنتهي الجولة كما بدأت بدون اعتراف. فأثناء الشبح كنت امضي الوقت بالتفكير بالاصدقاء والاهل بطريقة ايجابية، حيث كنت اشعر بأنني على قدر الثقة التي منحوني اياها وانني لم اخسر ثقتهم وانه يجب الاستمرار بهذه الطريقة، وأيضا كنت افكر بتجارب مناضلين قدامى امثال فوتشيك وابطال المقاومة السوفيتية والقوى المناضلة العالمية والاحزاب الشيوعية العالمية. فكنت اتذكر ابطال المقاومة السوفيتية ابان الغزو الهتلري بعد ان وشى به رفاقه في التحقيق وسجن، بأن اعتبر ذلك امر طبيعي، لأن المهمات العظيمة يشترك فيها اناس كثيرون ولا بد ان يكون بينهم اناس غير مخلصين حتى النهاية. كنت اتذكر فوتشيك وأقول أن فوتشيك تحمل أكثر من ذلك بكثير وهو انسان ومع ذلك تحمل الكثير الكثير وانني لم اصل الى ما وصل اليه. وكان الشبح والضرب وهكذا كنت اواجه، واهم شيء المحافظة على الاستقرار الداخلي والهدوء لأن الانهيار العصبي والارتباك بداية للاعتراف. وبعد ذلك تم مواجهتي بالاعترافات، حيث كانت مجموعة اعترافات

xxxxxxxxxxxxx والحقيقة انني قرأتها لمعرفة ماهية الاعترافات. فتوصلت الى نتيجة بأنه حقيقة هناك مجموعة اعترافات. وهذا بحد ذاته كان مفاجأة. وفورا أدركت بأن هذه الاعترافات لن تكون مبررا لاعترافي وانما النماذج الصامدة هي النموذج الذي يجب ان يحتذى به. وبعد ذلك قلت للمخابرات بأن هذه المعلومات كاذبة وأن لا علاقة لي بها. حيث بعدها اشتد الضرب ثم تم مواجهتي بأحد المعترفين، بصقت عليه بعد ان قال ان الجميع اعترف وان لا مبرر للصمود. ثم تمت المواجهة مرة اخرى، وتعدد رجال المخابرات وكان كل محقق يجلب معه الاعترافات. وكنت اقول لا داعي لذلك لانني رايتها مع المحقق السابق، وكان كل محقق ينهي التحقيق بالوعيد لجولات اخرى يستخدم فيها

اساليب اقوى مثل الكهرباء. اثناء التحقيق كنت قليل الكلام، ولا أرد على المحقق، فمثلا يطلب مني ان اقول انني فاهم فأرفض ويمضي وقت طويل على هذه الكلمة. وتعددت الاساليب النفسية فيحاول رجل المخابرات محاصرتي ومحاولة التأثير في نفسي، فمثلا يقول لي بأن اصدقائي الآن طلقاء وانت هنا تحت الضرب والاهانة، ومحاولة التشكيك بالمناضلين فيقول بأن الخيانة قد جاءت من فوق ايضا اي غير الاعترافات. وأيضا يحاول ان يبرر لي ان اعترف فيقول مثلا انك انت لست الأول وان الخيانة ليست منك وانما ممن جاؤوا قبلك وانه في النهاية سوف تعترف لان لكل انسان طاقة محدودة. وكان يحضر لي طعاما خاصا سيئا جدا، وعندما ارفضه يقول لي بأنك تخالف فلسفة المواجهة لانه يجب ان تأكل، واحيانا كان يحضر الى غرفة التحقيق وهو يأكل الشيكولاتة، ويقول بأن هذا الاسلوب غير موجود في فلسفة المواجهة وهو اكل الشيكولاتة في التحقيق. وتركز التحقيق من اليوم العاشر حتى النهاية على الشبح وعلى جولات التحقيق دون الضرب ولكن الاهانة مثل البصق والسب والشتم وعلى الشرح الطويل مع بعضهم. فالمحقق الذي يشتم كان يستخدم الفاظا بذيئة تتركز على الام والاخوات والمحقق الذي كان يشرح في بعض الجولات كانت تتركز على تقدم العالم الغربي وديمقراطية اسرائيل وهمجية الدول العربية وتأخر العام الاشتراكي. كنت امتنع عن مناقشة المحقق وفي نفس الوقت انفي ان يكون كلامه صحيحا، فمثلا عندما كان يطلب مني ان اجيبه لماذا عدد المنظمات الفلسطينية كثيرا، أقول له لماذا يوجد احزاب اسرائيلية عديدة؟ كنت اخرج بتفكيري من دائرة غرفة التحقيق والمحقق واتذكر ان هذا اسلوب لمسح الدماغ في حالة ضغط نفسي، عندما كان يحقق معي مثلا احد المحققين كان يدخل محقق آخر ويبدأ بالوعيد، فكنت اجيبه بأنني لسن خائفا وانه باستطاعته ان يعمل اي شيء ولا داعي للكلام. كان المحققون يحاولون احيانا تكبير القضية بأن عدم اعترافي نتيجة وجود أشياء كثيرة عندي وقد تكون عسكرية وكنت اقول لهم بأنني موجود هنا لأن هناك اعترافات كاذبة وهذا ليس غريبا فكثيرا من الناس في العالم ظلموا وأنا واحد منهم. طلب رجل المخابرات ان اقنعه بأن هذه الاعترافات كاذبة وهو يطلق سراحي. فكان يقول أن هناك أكثر من اعتراف، وهذه الاعترافات جاءت من ثلاثة أشخاص وهم جاؤوا للتحقيق في أوقات

مختلفة. وهم لم يشاهدوا بعضهم البعض. والاعترافات جاءت متطابقة فلا يمكن ان تكون كاذبة. فكنت اقول ان الأول كذب والآخرين كذبوا عندما سمعوا كذبة الأول أو أنهم عملاء، فكان المحقق يقول انت تعرف بأنهم غير عملاء. قانون تامير أخذ نصيبا في التحقيق. فكانوا يقولون لا داعي للصمود سوف تتحاكم وسوف تحكم بشكل مضاعف لأن تقريرنا أسود. فكنت أقول انني لم أعرف قانون تامير وأن القاضي غير مجنون. وحتى الساعة الأخيرة من التحقيق كانوا يقولون لي بأن حكمك سوف يكون أعلى من حكم الآخرين.

لجأت المخابرات لأسلوب جديد حيث قال رجل المخابرات بأننا نعرف انك وطني ولكن هناك اناس سبقوك وهم رجال يحترمهم الناس حيث قالوا بأننا أعضاء في المقاومة الفلسطينية ولا نريد التفاهم معكم، لأن ضميرنا وأفكارنا لا تسمح لنا بذلك، هؤلاء رجال نحترمهم ونتعامل معهم كرجال وانت قل انك عضو في التنظيم ولا أريد التفاهم. هذا الاسلوب الخبيث لا يقل أهمية عن الأساليب الأخرى لأنه خطوة نوعية نحو الاعتراف، فأولا ادانة رسمية في المحكمة، وتستطيع المخابرات توقيعك فترة أخرى في التحقيق بعد هذا الاعتراف. وثم يكون مدخلا لتحقيق أشد بعد ذلك. وكان الجواب واضحا بأنني لست بطلا ولم أكن يوما في أي تنظيم. امتد التحقيق حول نشاطات في مؤسسات نقابية وغيرها، وكان الجواب بأنني على غير صلة بهذه المؤسسات ولا أعرف أحد منها، وكان الجواب بعد كل جولة بأنه لا شيء جديد.

تعددت الاعيب المخابرات، فهي ارسلت العملاء الى الاكسات الذين يأتي دورهم مكملا للتحقيق. ففي البداية أنزلوني على اكس فيه عميل واحد فقط وأخذ يسألني عن هواياتي وأشياء شخصية. والتأثير على نفسيتي بأنه ضرب كثيرا وتعذب كثيرا وان هنالك اساليب تعذيب متعددة، فكنت أقول له بأن الضرب هو اسهل السبل لأن الانسان يحس بالألم لفترة معينة ثم لا يهتم. وكنت أعرف أن هذا العميل سوف يوصل هذه المعلومات للمخابرات. ثم أخذ يقول بأن التحقيق سوف يكون أشد عندما يكون هنالك عدد أكبر من المحققين، فكنت أقول بأنه لا فرق بين وجود محقق او أكثر. وبعد ذلك أخذ المحققون ينزلوني على اكسات فيها ثمانية او سبعة اشخاص وفيها عملاء. حيث كانوا يسحبون عميلا معين وأحيانا يضربوه ثم ينزلونا بالمساء مع بعض، وكان يريد التحدث معي فأرفض، ثم قاموا بانزالي عند قسم العملاء في اليوم التاسع بحجة ان التحقيق انتهى وقد طلب مني "المسؤول الأمني" عدم الادلاء بأية معلومات لأي شخص موجود الا لرئيس القسم الذي سوف يزور القسم في اليوم التالي، وفي اليوم التالي جاء رئيس القسم وطلب مني كتابة تقرير فرفضت وقلت بأن لا دخل لي بالسياسة، فقال بأن هناك ثلاثة أعضاء نزلوا الى السجن ولا يمكن ان يكونوا كذابين، فتذكرت فورا بأنه يسأل ، نفس اسئلة

شكل المحقق اختلف، فقلت له بأنني قرأت الاعترافات عند المحققين ولا داعي لذلك، وانه ا
كان وطني صحيح فانه سوف يتأكد بأن لا دخل لي بالسياسة.
استخدمت المخابرات الكلبشات للتحقيق، ففي احدى المرات شدوا الكلبشات كثيرا حتى امتنع الدم على الدخول لاصابعي، واستمر الحال لمدة ساعتين ولم اطلب منهم حلها ولم اشعره بأنني متألم رغم انني كنت متألم جدا جدا، الا انه بعد ساعتين جاء بعد ان رأى يدي منتفخة وخفف من حدة شد الكلبشات...
وفي احدى المرات طلبت المخابرات ان اكتب بأنني لم اتنظم، وقد ادركت خطورة ذلك منهم، فقد يستخدموا هذه الورقة كورقة ابتزاز ضدي او قد تستخدم للتمويه على مناضلين آخرين، فقلت بأنني لن أكتب شيئا وانه لا توجد عندي تهمة حتى انفيها.
واحدى المرات جاء المحقق وقال لي بأن هناك مفاجئة واستمر لمدة اسبوع وهو يقول بأن هناك مفاجئة وأنني سوف أعترف بعدها. فاذا به يطلب مني الجلوس تحت الطاولة ثم يحضر شخصا يدعي بأنه يعرفني ويطلب مني الاعتراف، فكان جوابي ان هذا فلما محروقا

وانه لا داعي للافلام لانه لا يوجد عندي شيء.
طيلة فترة التحقيق لم أطلب من المخابرات الأكل أو الشرب. فكانوا يسألونني هل تريد ان تأكل أو تشرب، وكان جوابي لا، وهم يعرفون بأنني بحاجة، وبعد ذلك احيانا يقومون بتقديم الطعام لي أو الماء لوحدهم.
واخيرا، أحضرت المخابرات الشرطي لكتابة الافادة، فقلت بأنني لن اوقع على أية افادة لا أفهمها، أقصد بالعبرية، وانتهى التحقيق كما ابتدأ ونزلت لغرف السجن مرفوع الرأس منتصرا.

مرحبا بالموت ان كان تتويجا للانتصار

كان الطرق شديدا على الباب قلت صائحا : (من الطارق) (افتح الحاكم العسكري) ، فتحت طاقة الباب الصغيرة، وقلت لهم(ماذا تريدون) (هل هذا بيت س) ، ودخلوا البيت بعد ان تعمدت ان أأخرهم كنوع من التحدي لطلب فتح الباب بسرعة، اشعارا لهم بانني لا اخافهم ولا ارتبك امامهم. اخذوا يفتشون البيت ، فصرخت بهم اذ اشعلوا نور الغرفة التي ينام بها طفلي الصغير، حرصا مني على ان لا يصحوه واستفزازا وتحديا لهم. سالني احدهم عن مدة الاعتقال الاولى فاجبته بانها ٧٨ يوم ، لم يثبت علي بها شيء، وخرجت من الزنازين وقلت (ماذا تريدون الان) (نريد الاستفسار عن بعض الامور، يجب ان تاتي معنا - لدينا امر باعتقالك) (حسنا) لبست وقبلت زوجتي وطفلي النائم ، وهمست زوجتي في اذني اصمد كي تخرج لنا سريعا)

كانوا قد احضروا (ثكنة) للبيت ، اربعة سيارات مليئة بالجنود وسيارة لضابط المخابرات، وطوقوا البيت كانهم يخوضون معركة!! في الطريق للمعتقل تنازعتني الافكار عن سبب الاعتقال ، واستطعت حصره في اتجاه معين، فقد سمعت ان رفيقا كانت تربطني به قديما صلة تنظيمية قد اعتقل وادلى ببعض الاعترافات، ولكن لماذا لم يعتقلوني، مع ان اعتراف (الرفيق المنهار) مضى عليه شهر كامل؟، طردت الاسئلة من رأسي سريعا، فلتكن الاسباب ما كانت ولأدع التفاصيل تظهر في حينها ، المهم الان ان لا اعترف. وقفز برأسي سؤال استنكاري هل تخون يا (س) نعم هكذا هو الامر ببساطة، فالاعتراف هو الخيانة ذاتها ، هكذا ربانا حزبنا وهكذا علمت تجربة ضربات الحزب ، القاسية، ان المعترف على رفاقه (اخذت الافكار الثورية تتزاحم برأسي) يعرف عن اناس ضحوا بانفسهم وبسني عمرهم وبدمائهم من اجل ان يبنوا الوطن، صرح الحزب العظيم، ومنهم من جبل هذا الصرح بدمه في اقبية التحقيق كي يسد ثغرات المنهارين الواشين، فالاعتراف والحال هكذا خياني لا اكثر ولا اقل . (هل تخون يا س) كان صدى السؤال يطرق رأسي، يمزق كل

امكانية للاجابة عنه بالايجابة (لن اخون) قلت لنفسي والقرار بالصمود نصف الطريق وعلي ان اعبر النصف الآخر لاحمي شرف الحزب والوطن وشرفي كمناضل.

قفزت لرأسي ونحن بالطريق ايضا، تجربة رفيق لي، نجحت غرف العار (العصافير) بالايقاع به . فلم يتوقع هذا الرفيق ان العصافير قد يسكنون في المعتقل في قسم كامل من ٣ غرف فيها ما يقرب العشرين عميل ، انزلته المخابرات للسجن وقالت له (اذهب للسجن وستبقى هنا، ستة اشهر اداري) بعد ان عجزوا عن اخذ الاعتراف منه. استقبلوه العصافير بالترحاب ومن الغرفة المجاورة صرخ احد العصافير)

يتحدث الى العملاء في غرفته رفيقنا. (حدثوه عن العصافير حتى ان ذهب اليهم لا يقع) وثق رفيقنا ان التحذير يصدر عن انقياء شرفاء، فوثق بهم، فالعصافير يتواجدون في غرفة واحدة حسبما يعلم وليس في قسم باكمله. فاعترف لعصافير غرفته عبر تقرير. واعطاهم اسمه الحركي وصورة عامة عن المنظمة التي عمل بها. وعند المخابرات وجد كل شيء امامه. استرد نفسه بسرعة

وانكر ، ضرب ضربا شديدا، فانكر ، تحمل الضرب بصلابة كي يفشل انتصارهم عليه .

تذكرت كيف قال لي هذا الرفيق (عندما اكتشفت اني اعترفت بسذاجتي حقدت على نفسي وادركت معنى ان يكون الانسان منهارا.

كان لا يشعر بالالام الضرب والتعذيب التي طغى عليها موقفه البائس من انطلاء الحيلة عليه، كم تمنى الموت ولكنه كان بعيدا ، نعم حتى الموت يرفض ان يرحم من يخون ويرفض ان يكون خيارا للهروب.

لذلك قطعت على نفسي عهدا على ان اواجه حتى النهاية ومهما كانت النتائج ومهما كلفني ذلك ولن اطلب الموت او اجعله خيارا للهروب فان كان الموت تتويجا للانتصار فمرحبا به وسالاقيه باذرع مفتوحة وان كان تتويجا لموقف نضالي فهي الشهادة التي يتمناها رفاقي ومعظم ابناء شعبي وحزبي وانا احدهم ، وهو شرف عظيم ، ليس باستطاعة الكل الحصول عليه، اما ان

يكون الموت هروبا من العجز الذاتي ، ان يكون ملاذا اخيرا لخيانة الآخرين وخيانة الذات ، فهو امر لن اسلم به ولن ارضخ له ابدا.

وصلنا، وسلمت الامانات. اقتادوني الى احدى الزنزانات، وطاقتها الصغيرة مفتوحة على مجموعة من الزنازين مفتوحة الطاقات ايضا. كان سجيننا في زنزانتي ، توقعته عميلا مزروع من قبل المخابرات، اما لاخذ المعلومات من المعتقلين واما للوقوف على نفسيتهم واماكن ضعفهم (من ماذا يعانون، من ماذا يخافون، من ماذا يهابون في التحقيق، الديهم فكرة عن التحقيق وعن العصافير....) الخ من الامور والقضايا التي من خلالها تحدد المخابرات طريقة لقاء مع المحقق، وفعلا بعد فترة وجيزة ادركت ان معظم من كانوا محيطين بي في الزنازين هم في حقيقة الامر عملاء على الاغلب وفي اقل تقدير ينبغي علي التيقظ والتيقظ فقط.

(من آتي) (ولماذا اتوا بك) بدأت اسئلة من شككت بهم. (من الافضل ان تنام وان لا تسأل) اجبت قاطعا الطريق.

في اليوم التالي لم يسألوني مطلقا، ولكن بعد الشبح ادعى الشاويش انه لا يستطيع فك القيود، فقادوني الى احد ضباط المخابرات لينقلها واعتقد انها كانت مدروسة، ليقف ضابط المخابرات على بعض من جوانب نفسيتي.

- هل سجنت قبل الآن؟
- لا مجرد تحقيق.
- كم يوما مكثت؟
- ثمانية وسبعون يوما.
- هل تريد ان تبقى هذه المرة ايضا ثمانية وسبعون يوما؟
- لا سارفعها الى ١٠٨ هذه المرة!

نظر الي بغضب وقال جيد، ستبقى ربما اكثر من ذلك.

استمر نزلاء الزنازين في الغناء، احد العصافير الذي يشاركني الزنزانة اخذ يقص علي عن اوضاعه الاجتماعية بان لديه طفل وزوجته، وانهما

لوحدهما وان ابوه وامه عجوزان وليس لديهما من يعيلهما وانه اعتقل قبل ذلك وصمد ثمانية وسبعون يوم، وها هم الان يأتون به من جديد ويريد الاعتراف لينهي القصة، طبعا ادركت انه على الوتر العاطفي كي ابدأ افكر بنفسي وخاصة ان ما قاله هو ذاته وضعي. فطلبت منه السكوت لانني لا احب الاستماع الى قصص الآخرين فسكت ولم يتطرق للموضوع ثانية. دعاني العميل من الزنزانة المجاورة لاقف على الطاقة واعطاني سيجارة كمدخل للحديث. (لماذا اتوا ..) قاطعته قائلا (اذا اردت ان تتكلم معي فلا يوجد ما تسألني عنه، الا الامور العائلية وعندما عرفت اني محاط بعملاء قررت ان اوصل للمخابرات شيئا ما ، فسألت (اين نحن؟) اجابوني (في المسلخ) واخذوا يشرحون لي عن الضرب والعنف، فقلت (هذا ما يرون لي لانني لا اخشى سوى الكلام المعسول المليء بالسموم. وشرحوا عن الشبح، ففضلته على البقاء في الزنزانة لان الهواء خارج الزنزانة اكثر نقاءا. تطرقوا لماكنة التعذيب ، فشرحوا كيفية عملها، وعرضوا موضوع الدوش البارد- فشرحت اهمية الحمام البارد والنشاط الذي يعطيه للجسم، واستحممت امامهم.

شبحوني اول ٤ ايام، كل يوم من الصباح حتى المساء ، ولم يمارسوا اي اسلوب آخر وخاصة الضرب وادخلوني اليوم الرابع للمخابرات، حيث كانوا اربعة منهم، بادرني احدهم متحمسا:-

- اهلا ، كيف ترى الامور لدينا.
- جيدة، انا أكل واشرب واشرب وانام وفوق ذلك يوجد حرس علي.
- اتعتقد ان هذا الكرش الذي لديك سيبقى؟
- الشيء الجيد لديكم ان الانسان يستطيع ان يخفف وزنه بشكل جيد.
- ما رأيك بصفقة ؟ سأل احدهم.
- صفقة ماذا؟
- كلما اردت ان تخفف وزنك ، تعال لوحدك ، بدلا من نأتي نحن والجيش لاحضارك.

- هكذا نتفق. اخذوا يضحكون وارجعوني للزنزانة، لم اشبح لمدة ٣ ايام ،

ادخلوني الى غرفه التحقيق مساء ذلك اليوم وبادر المحقق بالكلام.

- انك صمدت في المرة الماضية (صحتين) . ولكن المرة لدينا اثباتات دافعة لان هناك من اعترف عليك، وهذا كشف حساب. لن نتركك ما لم نصفي الحساب معك، وكل القصة لا تعدو كونها قصة قديمة وفي اقصى احتمالاتها ستسجن شهرين او ثلاثة وينتهي كل شيء وانت حر في ماذا تختار.

ادركت لعبة تبسيط الامور هذه، ثم رفضت ان اناقش المسألة مع نفسي من زاوية كم المدة التي سامكثها في السجن سواء يوم واحد ام سنين، فالقضية هي هل احافظ على انسانيتي ام افقدها الى الابد- هل اخون ثقة الحزب والرفاق ام احافظ عليها واحميها بكل ما املك من طاقة وجهد ودم ان تطلب الامر ذلك.

وقلت:-

- لا يوجد ما لدي لاقوله او اعترف به.

- لتعرف شيئا واحدا، انني احقق هنا منذ ٢٥ عام، ولا اذكر اننا نتجنى او تجنينا على احد، ولم احلم بك قبل ذلك واحضرتك الان ، ولكن الحقائق التي امامي تقول لي انك منظم او على الاقل كنت منظم ولا داعي لان نحضر من اعترف عليك.

قلت في نفسي ، نعم ، انني الان لا اممهم في شيء سوى محاولة اخذ المعلومات مني. ان التنظيم يعني انك على علاقة مع اناس. ولديك اخرين ولك مسؤول، ومن نظمك وكيف وماذا فعلتم... الى اخره من الاسئلة التي لن تنتهي والتي لست على استعداد لمجرد الخوض فيها. فقلت (لست ولم اكن في يوم من الايام في اي تنظيم)

نظر امامه وسحب ورقة من ملف واعطاني ايها لاقرأها ، وكانت افادة باللغة العربية من المرجح انها كتبت لدى (العصافير) وكان اسمي من بين مجموعة اسماء مررت عليها بسرعة وحفظتها، وقرأ لي ماذا كتب حولي، واراني توقيع المعترف فكان ذات الرفيق الذي توقعته. وتسألت بيني وبين نفسي لماذا لم يحضروني منذ البداية؟ وعرفت الجواب فيما بعد، عندما التقيت بالاسماء التي كانت ضمن قائمة المعترف عليهم، حيث كان التحقيق معهم في

كثير من الوقت حولي وحول ان كانوا يعرفون عني شيئا، وبالتالي فان المخابرات قد اخذت التجربة الماضية بعين الاعتبار حيث رفضت الاعتراف رغم مدة التحقيق الطويلة، ولما كانت الافادة ليست قوية كما يجب لتدينني، فانهم حاولوا ان يعرفوا عني شيء اكثر من الآخرين اللذين وردت اسمائهم وعندما يستطيعون ذلك لجأوا الى افادة اخرى قديما نسبيا ، اي قبل ١٠ شهور من اعتقالي يقول صاحبها بانه سمع بان (س) منظم في الجبهة الشعبية، فكانت هذه الافادة والافادة الاولى قادرة على ادانتي.

- هل احضره لك ليواجهك؟

- سواء احضرته ام لم تحضره فسيان عندي لانني لا اعرفه.

- بل، انك تعرفه وهو يعرفك.

- انا اعرف اكثر منك، لذلك فانا اقول بوضوح بانني لا اعرفه.

- أأحضره ليواجهك ؟ قال ذلك واخذ ينظر في عيني فقلت.

- هذا الشخص لا اعرفه ولن تفرق معي شيئا ان احضرته ام لم تحضره.

اخرجوني الى الشبح وبعد يومين ادخلوني الى التحقيق وسألني من جديد.

- لقد احضرناه ؟ اتريد ان تراه.

- انا لا اعرفه.

- واذا واجهناك به ، فهل تعترف ؟

- اذا كنت لا اعرفه ، وما اعرف نفسي واقول لك بوضوح بانه لا يوجد لدي ما اعترف به ، فبماذا اعترف؟

ذهب واتى به وبعد ان فتح الباب قال له :-

- هل تعرف هذا الشخص ؟ فاجاب متعلثما. نعم انه (س)

فقد قلت فورا محاولا ان اشعره بان لديه مجالا للتراجع.

- سواء عرفتني ام لم تعرفني، هل يوجد علاقة سياسية معنية بيني وبينك، فاجاب بالنفي ، فسألت المخابرات -

- اذن لماذا اتيتم بي فها هو يقول انه لا يوجد بيننا علاقة سياسية على الاطلاق.

ضربه الضابط الفاشي على رأسه قائلا، (من الذي كتب الافادة) قال (انا) . فسأله (وهل اجبرناك على ذلك؟) فاجاب بالنفي. فقلت (لقد قلت لك منذ البداية بانني لا اعرفه، فقال (الا تسمع انه هو من كتب الافادة وبارادته، فقلت ما اداراني ، فانتم اخذتم الافادة منه تحت التعذيب والضغوط النفسية.

دخل رجل مخابرات ثان عندما لفظت اخر كلماتي. هذا مش كلام (مثكفين) يا (س). فاجبت (وهل كلام المثقفين ان اقول ما هو ليس موجود عندي).

اخرجونا من التحقيق وذهبوا به الى احدى الزنزانات واخذوني للشبح وبعد ما يقارب الساعة ادخلوني الى زنزانة مقابلة لزنزانة بحجة الغذاء ، وقد مضى علي يومين لم اكل بها شيئا، واحضروا الاكل ، وحاول ان يقول شيئا، فاشرت له بعدم الكلام لتقديري ان الزنازين مزروعة باجهزة للتصنت، ولكنه قال بانه سقط عند العصافير فاجبته بانني لا اعرفه وغمزت له بطرف عيني قائلا له (ضحكوا عليك فلماذا تورطني وليس بيني وبينك صلات) وقبل ان اكمل الطعام اخذوني من الزنزانة الى الشبح من جديد حيث زاد الشبح اكثر فاكثر - وكانوا يقابلوني به، كل يومين او ثلاثة لمدة ١٠ ايام وكنت متعبا جدا في هذه المرة بالرغم من انهم كانوا يشبحونني من الصباح للمساء فقط وليومين متتاليين كل اسبوع، ولكن البرد كان قارسا وكانوا قد نزعوا ثيابي عن الجزء الاعلى من جسمي، وكان المطر غزيرا احيانا فتعب جسمي كثيرا وقل وزني ولكن لم افكر يوما او لحظة بغير صيانة انسانيتي وكرامتي اللتان هما اغلى ما يملك الانسان.

استمر الشبح فترة اطول فاطول وحتى بعد انزالي الى الاكسات كانوا يرجعوني للزنازين ويستمروا في شبحي اياما طوال وقلت فترة التحقيق، فكانوا احيانا يأتون الي ويرفعوا الكيس عن رأسي ويقولون (كن بطلا قومنا) ويذهبون وكنت ادرك بان هذه حرب اعصاب لا اكثر ، وفي احد المرات استمر شبحي مدة ١١ يوم بلياليها. وكانوا قد وضعوا كيسين مبلولين بالماء على رأسي وملابس العليا لديهم، وكانوا يدخلونني كل يومين للزنزانة مدة لا

تزيد على الثلاث ساعات، لاعود للشبح من جديد، ولقد تم التحقيق معي في نهاية هذه المدة مرتين وكانتا كالتالي:

ادخلوني على ضابطين - وفكوا القيد من يدي - وبادر احدهم قائلا:

- لنتناقش بالمنطق - ونحن نريد ان نثبت لك بانك منظم وتابع - انت تعرف ان المخابرات الاسرائيلية ، لا تخطوا خطوة دون دراسة وان المعلومات التي لديها هي معلومات دقيقة ووافية، وعملية عنتبي وضرب المفاعل النووي يشهدان بذلك - لذلك فنحن لا نخطيء لاننا نعتمد على اكثر من مصدر في اخذ معلوماتنا ، فقاطعته:

- لكن لا يوجد من لا يخطيء في هذا العالم.

- الا نحن قال: لماذا قلت هل انتم (سوبرمانات)

- لا ولكننا نعتمد على دقة المعلومات التي نردنا وندقق بها كثيرا قبل الاقدام على عمل ما، لذلك فامكانية خطأنا غير واردة مهما فعلنم (قلت) فان نسبة الخطأ تبقى واردة وانتم بشر في نهاية الامر- ومعرضين للخطأ قبل الاخرين، ثم ان كل العالم يخطيء. كيف سأل احدهم.

- عندما وضع نيوتن قانون الحركة، قال ان المادة ثابتة ما لم تؤثر عليها قوة خارجية تحركها، وقد كانت هذه النظرية معتمدة لسنين طويلة، حتى جاء عالم اخر يعلن خطأ هذه النظرية ويقول ان المادة متحركة وليست ثابتة، وان وجود المادة في الاساس هو الحركة الموجودة داخل جزئياتها.

- اخذ احدهم يصفق ويقول شكرا، ولكننا لسنا بحاجة لمحاضرتك.

- انا لا القي محاضرات ، قلت ، فرد مقاطعا.

- ونحن لم نأت بك هنا على نظرية الاحتمالات، قل لنا انتم صهاينة، وانا لدي اشياء كثيرة- ولكنني لن اعترف لكم لانكم اعدائي ولن نسألك وسنحترمك.

- لا يوجد عندي ما اقوله، ولا يوجد عندي شيء اعترف عليه، ولا اريد ان تحترموني ! ان كان ثمن الاحترام ان اكذب على نفسي والبس نفسي قضية.

المرة الثانية كانت اخر يوم من ايام الشبح، كان قد مضى على وجودي ما

يقارب الستون يوما وكان الارهاب قد اخذ معي مأخذه، ولكني كنت اشعر دائما بانني اقوى منهم، وانني احقق يوما بعد يوم انتصارات سوف تتوج بمحاكمتي بدون اعتراف.

كنت اتذكر المناضلين الصامدين وكأن شريطا سينمائيا يمر امام عيني - ارى فرحتهم في موقفي ، ارى ثقتهم التي ازدادت اكثر فاكثر، ارى شهداء شعبي ومجازر الفاشيين الصهاينة ضدنا، استذكر فلسفة المواجهة ودروسها ،يوليوس توتشيك ذلك القائد الشيوعي الصلب وكل كلمة قالها وأتساءل - أأسجل موقفا ثوريا ام اخون؟ أأختار الكرامة ام مزبلة شعبنا والتاريخ ؟ كنت اتذكر طفلي وزوجتي. وكلماتها التي همست بها في اذني قبل خروجي من البيت (اصمد لتعد لنا بسرعة) كانت هذه الكلمات واحدة من مقومات الصمود الكثير. تساءلت (هل اخون ثقتها بي؟) وماذا ساقول ان خنت؟ بما سابرر خيانتي؟ وهل يمكن للخيانة ان تبرر؟ سيكبر طفلي، فبماذا اجيبه ان سألني اصحيح انك خنت ؟ وماذا ساقول لرفاقي اللذين ربما ملو من كثرة ما تكلمت لهم عن المواجهة وضرورتها ؟ وهل انا على استعداد تحمل بصقة أم احدهم لانني احضرت ابنها الى السجن؟ وكيف سيلعب اطفالي في الحي واصابع الاتهام تطاردهم، هؤلاء اباهم اعترف على فلان وعلان؟ هل اخون ضميري ؟ هل اقتل مبادئي؟ وما هو الانسان دون مبادىء، وهل يختلف عن الحيوان في شيء؟ هل ادمر ذاتي؟ وفي النهاية يوجد سؤال كبير وهو لماذا؟ هل الاعتراف سيخفف عني التعذيب والتحقيق؟ وهل ستقل مدة المعركة ان خنت؟ بالتأكيد لا، لان المخابرات تريد المزيد دائما، فان قلت نعم فستصبح النعم مليون نعم وربما تصل بالنهاية الى نعم للارتباط... ولكن كلمة لا للمخابرات لا يوجد بعدها شرع وتفصيلات، وتسد الطريق امام كافة الاسئلة ، ربما يزيد الضغط ، ربما تصعب المواجهة، ولكن هي (لا) في نهاية الامر، ولا للمخابرات تعنى الكثير للمناضل، فهي تعنى نعم للمحافظة على الثورة ، نعم للمحافظة على المناضلين، نعم للمحافظة على القضية - نعم للاستمرارية، وللمباديء الثورية - وماذا ينتظر المناضل من الاحتلال؟ سؤال الى كل مناضل ثوري، هل ننتظر ان

يكافئنا الاحتلال على نضالنا هذا؟ ام نريد ان نصبح مناضلين دون سجون واستشهاد وتعذيب، اعتقد انه يجب ان يدرك كل مناضل ان الاعتقال من ابسط ما يمكن ان يمارس ضده.

احضروني اخر ايام شبحي وقال احدهم.

- ما هي المنظمات التي تعرفها ؟ فقلت - فتح والجبهة والشعبية وجماعة ابو موسى، فقال اهذا كل شيء ، قلت نعم، فقال الا توجد قوى اخرى؟ قلت هذه التي اعرفها، فقال والجبهة الديمقراطية؟ اجبته سؤال (وهل يوجد جبهتين في الساحة)؟ نظر بحنق وهو يعي ان كل الاجوبة استفزاز له وشكل من عدم التعاطي واكمل الاسئلة.

- من نظمك؟ - انا لست منظم - اذن متى تنظمت؟ قلت (اذا اردت ان تلعب معي لعبةالقط والفأر، فأنا لا احب هذه الالعاب لذلك فالافضل ان تلعبها مع غيري، والاحسن ان تكون رجلا عندما تتحدث معي، سألتني منظم اجبت بلا فلا تسألني متى تنظمت - اما اذا لم يعجبك جوابي فاستعمل الاسلوب الذي تراه مناسبا ولا توفر شيئا ، ولكن لا تلعب معي.

نهض عن المقعد واتجه نحوي وحاول ان يضرب وبعد ان دفع يده تراجع واخذ يدقق على كتفي ويقول يا (س) ، يا (س) القصة ليست بهذا التعقيد الذي تتصوره، وقلت وقتها انه تذكر كلام العصافير حيث اخبروه بانني (ابله) مع اسلوب الضرب ولن انطق بشيء، ولم يضرب وعاد يسأل من جديد:-

- عدد التنظيمات الفلسطينية ، قلت، لا اعرف، بهت ونظر غير مصدق وقال من جديد (ولكنك عددتها الان) فاجبت باصرار (ليس صحيحا) (الان اعددتها) (لم اعدد شيء). وكرر السؤال مرارا، فكررت الجواب، ونظر طويلا فسأل من جديد (من هم اصحابك) (الا يوجد لدي اصحاب) (جيرانك؟) (لا اعرف منهم احدا) فقال (اعطني اي اسم تعرفه) (لا اعرف احد).

نظر الي بحنق وحقد وتناول ورقة مطبوع عليها شيء لا اعرفه بالعبرية، وكتب كلمات قلائل جدا كما فعل الاخرون من قبله في اخر جولة تحقيق لهم ووقع في نهايتها، واخرجوني للشبح بضع ساعات ومن ثم لزنازين سجن اخر

١٨ يوم، دون تحقيق ومن ثم الى السجن.

قبل اعتقالي للمرة الثالثة، كنت قد عرفت ان احدهم اعترف بأنني قد نظمته، وقد جاء اعتقالي بعد اعترافه بحوالي اسبوعين، اصبحت ادرك في ذلك الوقت ان التصعيد هوالطريق المختصر لكسر شوكة المخابرات وهزيمتهم، لذلك فقد قررت التصعيد مهما كانت النتيجة، وفي نهايةالامر ان ارفض الاجابة على اسئلتهم.

جاءوا في احدى الليالي، لم اكن قد نمت بعد، أدخلتهم بعد ان اوقفتهم على الباب مثل المرة الماضية بحجة ارتداء زوجتي لملابسها، وقضوا في ردهة البيت وسألني احد رجالات المخابرات عن اسمي فاجبت فقال:

- كم عمرك.

- ٣٣ سنة اجبت.

- ارى انك تظهر اكبر من ذلك بكثير، انني ايضا عمري ٣٣ سنة ولا ابدو بعمرك .

- طبعا، اجبت، هذا من (حياة العز) التي نحياها عندكم.

نظرت فكان اصلع الرأس واكملت.

- ثم لماذا لا تنظر الى نفسك لترى (صلعتك) التي تغطي رأسك.

- بدأ التفتيش ، رأى مجموعة من الكتب منها (حذاري من الصهيونية) فقال ما هذا ، اجبته باسم الكتاب سألني عن ما يعني اي ان الصهيونية حركة رجعية خطيره يجب ان نحذرها . هز برأسه قائلا انكم انتم اعضاء الجبهة الشعبية، السياسة تسري بدمكم قلت بأنني لست عضوا لا في الجبهة ولا في غيرها.

بحثوا ايضا وحملوا معهم مجموعة من الصور لي ولبعض اصدقائي واخذوني الى الزنازين التي تم فيها التحقيق في نفس اليوم حيث وجدت اثنين من رجال المخابرات بانتظاري. وبدأ احدهم باسلوبهم المعتاد - انتم شعب همجي، لا تفهمون، وهذا من حسن حظنا لان مشكلتنا معكم انتم.

اجبتوفي ذهني التصعيد:-

- شعبكم هو الهمجي وليس شعبنا اخر ان نسبة المثقفين في شعبنا تفوق

نسبتكم بكثير، والهمجية ليست من صفة شعبنا.

- انها ليست اعلى قال مجرورا الى كلامي.

- اذن راجع ملفاتكم ، ثم هل تعتبر شعبكم شعب متحضر؟ انظر الى الجريمة لديكم، الى تعاطي المخدرات، القتل، الشذوذ، الاغتصاب... الخ، كل المبيقات واعمال الاجرام هي صفة مجتمعكم وليس مجتمعنا.

قال وصوته يعلو:

- اما شعبكم انتم فان شبابه يمارسون الجنس مع بعضهم البعض، اهذه هي الثقافة لديكم؟

- هذا ما زرعتموه انتم كجهاز مخابرات، هذا ما تغذوه بشكل دائم، هذا مرض من الامراض التي تعملون على وجودها لدينا، انت نفسك ماذا تفعل بالناس الذين يرفضون ان يتعاطوا معك، ماذا تفعل بالذين يرفضون ان يسقطون؟ الذين يرفضون ان تشتريهم، انظر الى اساليب التعذيب الذي تمارسه بحق كل هؤلاء، أنا كانسان استغرب كيف تستطيع ان تواجه اطفالك، كيف تستطيع ان تأكل بعد جرائمك، كيف تنظر الى نفسك.

قلت ذلك وقد بدأ صوتي ايضا بالارتفاع حتى كاد ان يصبح صراخا، فقال صارخا :-

- أنا لست انسانا. وهذا ما اغاظ زميله او هكذا ابدى لي.

- وهذا هو الفرق بيننا، فنحن بشر، قلت وأعدت عبارة نحن بشر من جديد.

عندئذ تدخل زميله وسألني عن اصلي فأجبه بأنني من قرية محتلة في فلسطين المحتلة منذ عام ٤٨. اغاظه ذلك سألني لماذا اسميها بهذا الاسم ، فقلت لانها كذلك محتلة منذ عام ٤٨. فرد الاول من جديد.

- لا يوجد شيء اسمه فلسطين،فقلت مجيبا:-

- بل يوجد سواء شئت ام ابيت فهذا لن يغير من الامر شيئا - واكملت سائلا - من أين أتيت أنت؟ فاجابني زميله بعد برهة صمت قاتلا.

- انه ولد هنا، فقلت وأبوه من أين أتي ؟ فقال من جديد بأن ولد هنا

- كيف تعرفني.

- لانك أنت الذي حقق معي سابقا.

فقال :

- أقصد من الذي حقق معك بشكل أساسي؟ أدركت أنه يريد ان يشعرني بأنني لم أهزمه فأخبرته بأنهم كثيرون ولكن الاساسي كان هو. فقال أنا لم آت كي احقق معك لكن لنتكلم فقط.

- هل طلبوك بالأمس، افتعل أنه لا يعرف شيئا، فأجبته أنهم طلبوني وأخبرته ما اخبرتهم به وقلت مؤكدا بأنني لن اجيب على أي سؤال . فقال أنهم مجانين، لا يجب ان يحققوا معك، لذلك اسمع، انت تعرفنا، ونحن نعرفك، هذه ليست أول سجنة لك، لذلك سأكون واضحا معك، حتى لو عذبناك فانك لن تعترف وإذا ضربناك سنتعب دون ان تتكلم، وأن امسك مسدسي وأقتلك فهذا ليس مصرحا لي القيام به لذلك فامامك ثلاثة احتمالات الأول الاداري والثاني النفي والثالث اغلاق الملف.

أدركت طبعا أن هذا التفاف كي اعترف فأجبته قائلا:

- سواء إداري أو نفي، أفعل ما بدى لك، كل ما تراه مناسبا افعله ولا تدخر جهدا، وأيضا لا تقل لي ماذا تريد ان تفعل لان هذا عملك أنت، أما أنا فليس لدي ما أقوله، اما حول إغلاق الملف فانني أريده أن يظل مفتوحا.

وعدني أن لا يراني ولا يحقق معي وهكذا كان، فقلت له لانه يعرف بأنني لا يوجد لدي شيء، وأنني أعرف مسبقا بأنني لن اخرج من الزنازين قبل ثمانية وسبعون يوما، لكني سأخرج لانهم ليس لديهم ما يدينونني به.

أخرجوني للشبح من جديد، مر علي رجل المخابرات الذي حاورته في الجولة الأولى وشتمني.

- عامل قبضاي يا .... فقلت له.

- أنا لست كذلك بل أنتم المذ ...

طيب سنرى من هو المذ.....قال وطلبوني بعد عدة ايام بعد ان وضعوني

ايضا.

فقلت أنه من الأفضل أن لا تكذبوا على أنفسكم على الاقل.

عندئذ ادرك زميله أن هذا الموضوع سيضع حاجزا كبيرا أمام مجريات التحقيق فقال:

- لنبدأ في موضوعنا بهدوء، بعيدا عن التشنجات. وعزم علي سيجارة فرفضت رغم اصراره على ذلك. فأكمل كلامه قائلا.

- نحن نعرف انك منظم، ولو انك اعترفت في المرة الاولى لانتهى الأمر، لكن لا بأس ، فأنت صمدت بما فيه الكفاية في المرتين السابقين، وحان الوقت للانتهاء من الموضوع الان، لانك ستبقى ملاحقا ما دمت غير معترف.

فقلت له بوضوح:-

- ليكن واضحا انني ليس لدي ما اقوله. وبامكانكم ان تستعملوا الاسلوب الذي تروونه مناسبا ابتداءا من الشبح وانتهاءا بالقتل لكني لن اجيب على أسئلتكم لكن هناك الكثيرون ممن اعترفوا عليك. فقلت:-

- أحضرهم لأبصق في وجوههم واحدا بعد الاخر. فسألني لماذا؟

- قلت:-لانهم كذابون. قال ليس صحيحا بل لأنكم تعتبرون الاعتراف خيانة ولذلك تريد ان تبصق في وجوههم. ولذلك رفضت أن تأخذ سيجارة اليس هذا ما هو مكتوب في فلسفة المواجهة؟ فأجبته بأنني لا اعرف عما يتحدث.

سألوني عن الاشخاص الموجودين في الصور معي فأجبتهم أنني لا أعرف أحدا منهم كانوا مصرين على معرفة اسماء الاشخاص لكني رفضت اخبارهم بذلك . وبهذا كانت نهاية الجولة الأولى.

أرجعوني الى الشبح، وطلبني مسؤول التحقيق هناك في اليوم التالي.

وكان قد حقق معي في المرة السابقة ، وقال :

- اتعرفني ، إجبته بالايجاب قائلا.

- وكيف لا اعرفك.

في زنزانة انفرادية دون شبح او كلام. واحضروا المعترف اوقفوني خلفه دون أن يراني سألوه عن اعترافه فأكده، هجمت عليه وتوعدته، سحبوه وحاولوا اقناعي بالاعتراف ، فرفضت من جديد مؤكدا ان ليس لدي ما اعترف به. ابقوني في الزنزانة حتى اليوم السابع عشر لوحدي ودون تحقيق ولا شبح ثم طلبوني قائلا احدهم :

ـ كيف الزنزانة ؟ قلت:

ـ ممتازة، بها ماء ودش للاستحمام والاكل يصلني الى عندي.

قال :

ـ اتركنا من التحقيق لأننا سننزلك الى السجن . لكن ان ضربت (فلان عن الذي اعترف علي) فانك ستفتح على نفسك قضية، ونحن كنا نريد انزالك لكنك كنت ستضربه.

ـ قلت يحصل خير عندما أراه.

قال من جديد:

ـ افعل ما تريده، لكن اتعرف فلان فأجابه الاخر لا فأكمل الأول وفلان فأجابه الاخر لا ... وهكذا وسأله اخيرا هل لك اصحاب ؟ واجابه، لا ثم سألني الذي كان يجاوب أصحيح يا (س) ما أجبته فقلت له طبعا وما دمتم تعرفون ذلك لماذا تسألون.

فقال من جديد:

ـ نحن نعرف انك وانت في هذه الزنزانة لوحدك كنت تتكلم مع الحيطان.

فأجبته.

ـ إنني حتى في البيت لا اتكلم مع زوجتي اتريد ان أتكلم مع الحيطان هنا.

فقال:

ـ ما اسم زوجتك.

ـ لا أعرف.

ـ ما اسم حماك.

ـ لا اعرف.

ـ ما اسم ابنك؟

ـ هذا ما سأنساه ايضا لان ذاكرتي ضعيفة ولا تحفظ الاسماء، لذلك ان سألتني بعد ٥ سنوات فعلا لن اعرف الاجابة عليه.

بدأ يتكلم مع زميله باللغة العبرية وكانت تمر كلمة (جبهاوي) بين عباراته، فقلت له أن يتكلم بالعربية اذا كان الموضوع يخصني فقال اقول له بأنك جبهاوي اصلك وفصلك ودمك ودينك وكل شيء فيك، ولو لم تكن كذلك لكنت تحب. فقلت:

ـ لا داعي لان تحبسني.

قال ، انتهينا، فنحن انتهينا كل شيء وهذا ليس تحقيقا، إذهب واعط افادة، فقلت له بأنني لا أعطي إفادات لانه لا يوجد لدي شيء اعطي افادة على ضوئه فقال : جيد ، اذهب وتفاهم مع مدعي الشرطة. فعلا جاء مدعي الشرطة وقبل ان يكتب شيئا قلت له بأنني لن أعطي افادة فسألني لماذا فقلت له لان التهمة كاذبة اولا ولعدم وجود محامي ثانيا فكتب في ورقته وطلب مني أن اوقع فرفضت وقلت له انني لا اعتبر نفسي قد اعطيت افادة وان قال في محكمة التحديد أنني اعطيت افادة فانني سأكذبه وفعلا لم يبرز الافادة وتم تمديدي لفترة بسيطة ونقلوني الى السجن. نزلت الى السجن وانا اشعر باحترام المناضلين لي. كنت مرفوع الهامة، عالي الجبين بين بقية المناضلين.

ملاحظات :

١ ـ الملاحظة الأولى ان ما يسمى بمدعي الشرطة والذي يكتب الافادات ، عندما ينقلون المناضل من سجن الى اخر لتمديده ويحاولون ان يقنعوه بالاعتراف.

٢ ـ عادة الشرطة التي تعمل في الزنازين تكون تعمل مع المخابرات وتسخرها المخابرات لاقناع المناضلين بالاعتراف.

بداية لا ادري بأية كلمات، ابدأ بها صياغة تجربتي، والتي يمكن ان تعبر عما يجيش في نفسي، ليس من باب العواطف، ولكن هي الحقيقة: فأنني اشعر باشتياق للدفء الرفاقي، فلا شيء يضاهي الحزب والرفاق، وهذا يتطلب تقديم اغلى التضحيات في سبيل الحفاظ على شرف الحزب والرفاق.

وما الاعتقال والتعذيب، إلا اهون السبل في الحفاظ على ذلك، وقد تكون الشهادة هي اغلى ما يملك الرفيق، ولا اغالي انني على استعداد للشهادة في سبيل الحفاظ على الرفاق والحزب. هذا هو شعاري دائما وستبقى كلمة "لا" حتى الشهادة في كل مرة يمكن ان ادخل فيها معركة تحقيق. ان الصمود في التجربة العملية، هو المحك، وهو اكبر برهان على إنصهار الرفيق في بوتقه الحزب الواحدة، وهي التعبير عن الروح الجمعية التي يتسلح بها العديد من الرفاق المناضلين، وكانت المحصلة هي الانتصار.

- اتعرف لماذا اعتقلناك؟ هناك اولاد اعترفوا عليك.
- لا اعرف، ولا يوجد عندي شيء، ولا اعرف اولاد.
- هذه المرة ستبقى في السجن؟
- هذه المرة ستكون كغيرها وسوف اخرج.

ضحكوا كثيرا، ووصلنا الى السجن، وفي غرفة الامانات، طلبوا مني التوقيع على ورقة الامانات، فرفضت، صاحوا بي كثيرا، لكنني رفضت التوقيع عليها، لاظهر لهم بانني لا يمكن ان اتعاطى معهم اخذوني الى الزنازين، ووضعوني

في الحمام مشبوحا، والكيس على رأسي، وتركوني لعدة ساعات بعدها استدعوني للتحقيق، وبدأ احدهم بالحديث، حيث قال: بأنه عكس المرات السابقة فهذه المرة هناك اعترافات عليك، وانك وقعت، ولا نريد ان تغلبنا، احكي القصة وانزل على السجن، واذا تريد ان تحكي، هناك افادات واعترافات ضدك كفيلة بادانتك ووضعك بالسجن.

اجبتهم: افعلوا ما تريدون: نفي، تعذيب، شبح، عصافير، زنازين، انا لا يوجد عندي شيء اقوله، فافعلوا ما تريدون، وسوف اخرج لانني بريء من تهمكم.

- احنا مش رايحين نقطعك ولا ننفيك، رايحين نعذبك تعذيب نفسي، من الزنزانة الى الشبح لمدة شهر، واذا لم تتكلم لدينا افادات ضدك (وحسب قانون تامير) كفيلة بمحاكمتك واطعامك خازوق. لان هناك ناس تكلموا عليك وكتبوا ووقعوا على ذلك، مش احنا اللي جبناك، هم جابوك؟
- انني اعرف كل اساليبكم، ولا تستطيعون التأثير على نفسيتي، لان ارادتي حديدية، واعرف انكم تملكون اشياء كثيرة من ادوات البطش، لكنها لا تساوي شيئا امام الارادة.
- يعني انك حديد،
- بل واقوى من الحديد
- لكن الحديد يحمي وينكسر.
- لست من الذين ينكسرون .
- اف، انت واثق من نفسك.
- نعم
- اتراهن انك سوف تعترف وتذهب للسجن.
- ليس عندي شيء اصلا، واراهن بانني لن اعترف.

ضحكوا بصوت عال، واستدرك احدهم:

- بلاش الرهان على الاعتراف ليكن على الحكم، حيث اراهنك بانك ستأخذ حكما كبيرا- سنتين مثلا.
- السجن لا يخيفني، وقانونكم الفاشي خال من اية عدالة وانا لا يوجد عندي

شيء .

- ما رايك، هل تقبل الرهان، اذا غلبت اعزمك على بيتي وان غلبت تعزمني على بيتك.

اجبته بجدة وبصوت عال : انا لا يمكن ان اتعامل معك بأي حال لا في بيتي ولا في بيتك ولا نادي ولا شارع، ولا هنا في التحقيق، واذا لم تدرك ذلك فادركه الآن. انت رجل مخابرات فاشي وانا انسان شريف.

- ماذا تقصد ؟

- اقصد انا وانت نقيضين، لا يمكن ان نتفاهم او نلتقي على شيء.

- هذا يعني، انك تريد الانسحاب من الرهان؟

- لا ، بل اراهنك على موقف، انني على الاستعداد للاستشهاد، مقابل ان لا اقول كلمة واحدة.

- يوجد افادة ضدك؟

- انها افادات كاذبة، وليس غريب عليكم ان تلفقوا افادات واكاذيب سواء انتم ام عملائكم.

- كيف تتعامل مع اولاد اعترفوا عليك بكل شيء؟

- قلت لك، انني لا اعرف اولاد، ولا يوجد عندي شيء.

- انت متهم بعضوية تنظيم وقمت بتنظيم فلان وفلان، وعقدتم اجتماعات.

- انا لا اعرف فلان فلان وفلان وهذا غير صحيح.

ثم دخل ضابط مخابرات اخر اسمه روني، وكان قد حقق معي قبل اشهر، وعندما رأني قال: اهلا، من اتى بك الى هنا؟ هل تعرفني؟

قلت: اعرفك انت روني، وقد حققت معي سابقا.

وتابع روني موجها كلامه لبقية المحققين قائلا: اتركوه، فهذا لا يستحق أن تضيعوا وقتكم عليه، ضربني، وشتم علي ثم خرج. وهنا انتهت الجولة الاولى من التحقيق.

وغريب ان رجل التحقيق، كان هادئا طوال الفترة الاولى، وقد لمست من تعامله معي في التحقيق بانه يريد جس نبضي لبداية معركة حسمة فيها منذ البداية

النتيجة لصالحي، وانتصرت بهزيمة رجل المخابرات، حيث لم ياخذوا مني شيئا.

اخرجوني للشبح، طوال الليل كنت جالسا على الارض الباردة، واذا بالمحقق ابو نهاد يأتي ويرفع الكيس عن رأسي، ويؤدي لي تحية بطريقة تهكمية وقال:

- لقد وقعت مرة ثانية، ثم : انت تقول الموت او الاعتراف.

- اجبته على الفور: نعم انا اقول افضل الموت ولا اعترف بشيء ليس عندي، وانت تعرف يا ابو نهاد موقفي، حيث حققت معي اكثر من مرة هنا وهناك.

قال: ان هذه المرة وقعت في الفخ. وسوف نزج بك في السجن.

ولم يرهبني تهديدهم باطالة فترة التحقيق، مهما طالت لن تحصلوا مني على شيء. وادخلوني بعدها للزنزانة، حيث كان هناك شركاء اخرين، تعاملت معهم بشكل طبيعي ولم اقرر بشيء.

وبصدق فانني اعتبر هذا الاعتقال، وبكل تواضع انتصار على ابو نهاد واضرابه من المحققين الفاشية.

انتهى ١٩٨٣

تعود على الصمود

الاعتقال الاول: الحقيقة عندما اعتقلت الاعتقال الاول، كانت تجاربي بسيطة، ولم اكن على علم واضطلاع لما يجري في غرف التحقيق. وكوني أومن بان المناضل، يخوض عملية النضال طوعا، وان هذه طريق صعبة وشاقة جدا، ولا ينتظر الانسان من النضال ترفا او ان يعيش في جو فنادق ورحلات الخ.. بل العكس، منذ ان اختطيت هذا ذاتي وبدأت اعمل من اجل الوطن والمصلحة العامة. ووضعت امام عيني انني يمكن ان استشهد في اي لحظة وبغض النظر كيف تكون عملية الاستشهاد. واقسمت ان اكون المناضل الشيوعي. وبدأت حياتي النضالية رغم ثقافتي البسيطة.

التجربة الاعتقالية الاولى: عندما جاءت المخابرات لكي تعتقلني، وقبل خروجي من البيت اقسمت في داخلي انه لا يمكن ان اعترف ولا باي شيء مهما كلف الثمن حتى لو انني نلت الشهادة . وعند وصولي بدأ التحقيق معي حول مواضيع كثيرة.... انكرت كل شيء وكانت الكلمات التي ارددها لا اعرف، لا يهمني، لا يعنيني.... ورغم الادلة التي بيد المخابرات كانت هذه اجوبتي، وبعد فشل المخابرات احضروا لي شخصا وقالوا لي ان فلان اعترف عليك، وان عليك ان تقر باعترافه، قلت له لا اقر، ولا اعرف فلان ولا يربطني به شيء. وقال لي ضابط المخابرات، اكتب ان فلان قد اعترف عليك، قلت له لا امسك القلم لاية شيء لا يعنيني. وبعدها قال ضابط المخابرات، سنعتقل زوجتك ونضعها في سجن العاهرات، قلت لا يهمني انتم احتلال يمكنكم ان تفعلوا ما تشاؤون . الحقيقة انهم استخدموا كل الاساليب من شبح وانفرادي وغرف عملاء، الا انني كنت مقتنعا بان لا اتحدث مع اي شخص كان في امور تخصني حتى لو انني اعرف الانسان جيدا. وخرجت منتصرا مرفوع الرأس، وكانت تجربة رائعة جدا وزادتني حقدا على العدو.

تجربة الاعتقال الثانية : عندما جاء الجيش والمخابرات لاعتقالي الثاني، وقبل ان اخرج من البيت اقسمت في نفسي انني لا يمكن ان اعترف ولا باي شكل من الاشكال ومهما كلف الثمن، واقسمت الى زوجتي انني سوف اكون المناضل الذي عرفته سابقا، اي الانسان الذي لا يمكن ان يعترف، وقبلت زوجتي. وعند وصولي الى السجن مباشرة بدأ التحقيق معي وكنت اعيش بنفسية عالية جدا، وكنت انظر الى المخابرات على انه انسان سخيف، انسان يريد ان يغطي ثمن ثمانية ساعات عمل ويذهب الى البيت وكنت استهزء منه كونه في المرة الاولى لم يستطع ان يأخذ مني شيء فما باله بالمرة الثانية، بدأ معي التحقيق "احكي قصة تنظيمك" قلت له لا يوجد لي قصص، استمر خمسة ايام على هذا التغمم . وانا اقول لا يوجد لي قصص ولا اعرف. بعدها قال لي هل تعرف فلان، قلت له لا اعرفه وبدأ يضرب ويشتم.... قال لي ان فلان اعترف عليك، قلت له لا اعرفه ولا يهمني اذ ليس لي اي علاقة معه، ولا اعرفه، قال اقرأ اعترافه، قلت لا اقرأ ولا يهمني ما هو مكتوب، رفضت ان اقرأ وبدأ يضرب ويشتم... استمر ثلاث ايام وبعدها قال لي اريد ان احضر فلان هنا وانت تجلس وتسمع ما يقول، قلت له لا يهمني حضر ام لم يحضر، هذا لا يهمني انا لا اعرفه. قال لي لا اريد ان تتكلم تجلس فقط. اجلسني تحت الطاولة واحضره، قال له اقرأ اعترافك، بدأ هذا يقرأ وعندما طرح اسمي بدأت اسب عليه واشتمه وقلت له انك عميل وخائن وانا لا اعرفك وبعدها اخرجوه واصريت على انني لا اعرفه واستمر التحقيق. وبعد اربعة ايام قال لي المخابرات اريد ان احضر لك شخصا، وفعلا احضر شخصا، حاول اقناعي بان اعترف وقلت انني لا اعرفك ولا افهم ماذا تقول يا حيوان. وبعدها قال له ضابط المخابرات، اتركك لوحدكم، قلت له لا يهمني هذا عميل وانت احضرته لكي تسجنونني، وكل ما يقوله غير صحيح. وبعدها بثلاث ايام قال سوف احضر لك مسؤول، ومع ذلك قلت له لا يهمني ولا اعرف احد. واحضره لي وسألني تعرف هذا، قلت له لا وثم سأله وقال تعرف هذا قال هو لا. قال المخابرات هل رفع لك احدهم هذا الاسم، وذكر اسمي، فقال نعم. شتمته وقلت له انك عميل وقلت للمخابرات ان هذا عميل

بعض الرفاق الذين خانوا حزبهم ورفاقهم. وعندما زرت زوجتي اول مرة وانا منتصرا وكيف كانت ملامح زوجتي وهي سعيدة بان زوجها خرج منتصرا، في المقابل زوجات الرفاق الذين اعترفوا وملامح البؤس على وجوههم. انني لم افكر ولا لحظة واحدة اثناء التحقيق في مسألة الحكم قطعا، كان همي الوحيد ان اخرج منتصرا على هذا العدو الفاشي.

كلمة اخيرة اقولها لكل المناضلين انني اعاهدكم ان ابقى المناضل الشجاع الشيوعي الذي عرفتموه دائما، وانني مهما اعتقلت سوف انتصر على المخابرات.

وانتم احضرتموه لكي تسجنوني. وبعدها بخمسة ايام قال لي سوف احضر لك المسؤولين وانا موجود وقال لهم لن تنزلوا الى السجن الا اذا اعترف وسوف اوضعكم في زنزانة واحدة ومباشرة بعدها وضعوني معهم في زنزانة واحدة.

استمر التحقيق معي ٢٨ يوما متواصل وبعدها نزلت الى الزنازين، وبقيت شهرا في الزنازين هل اعترف ام لا.

قبل ان يواجهني فلان الساقط كنت اعيش بنفسية عالية جدا، وبعد ان واجهني زادني حقدا على المخابرات وشراسة وصلابة وبعدها وضعت امام عيني انني سوف استشهد وكنت اتقبل هذه الشهادة بنفسية عالية جدا. وقلت في داخلي سوف اثبت للمخابرات بان لدينا القدرة على الصمود والانتصار، وكنت احقد كيف هذا العدو استطاع ان يأخذ اعتراف من مناضل وفي المقابل ايضا قلت سوف اثبت الى هذا المناضل الذي سقط وخان قضيته انه يمكن للمناضل ان يصمد وينتصر عدا عن قناعتي المبدئية التي تقول انني لن اناضل من اجل فلان او علان من الناس.

الحقيقة، واقسم بانني وانا موجود في الزنزانة الانفرادية عند المخابرات كنت وباستمرار اضع امامي امثال الرفيق الخواجة، والحقيقة هوالذي كنت باستمرار اتصوره امامي وكنت اقارن هل انا افضل من هذا الرفيق، طبعا لا، وهو استشهد من اجل رفاقه وحماية حزبه؟

وفي اثناء التحقيق قال لي المخابرات هل تريد ان تنتحر مثل الخواجة، قلت له لا، ان محمد الخواجة استشهد تحت التعذيب واذا تريد ان تعمل بي مثل محمد الخواجة فليس عندي مانع. وعندما ذكر لي اسم الرفيق الخواجة، زادني شراسة وحقدا على الاحتلال بشكل عام. واكرر بانني اقسم انني كنت احسب حساب ان ابنتي التي لا يتجاوز عمرها الاشهر كيف يكون موقفي امامها وامام زوجتي ورفاقي عندما اكون منتصرا ومرفوع الرأس. عندما تكبر ابنتي تعتز بوالدها وبكل الرفاق الذين صمدوا اثناء التحقيق، كم كنت سعيدا عندما نزلت الى السجن وانا منتصرا وكيف كنت اعيش بنفسية عالية جدا بين رفاقي وكيف كان موقف الرفاق الذين اعترفوا، رغم انه كان يحز في نفسي موقف

تجربـــــة

مهما اختلفت التفاصيل وتعددت الاشكال، فان الجوهر واحد، فهذه معركة بين قطبين، فالقطب الاول جهاز فاشي قمعي يخدم الصهيونية وقائم على حفظ امنها، وبين مناضل في فصيل وطني طليعي يؤمن بعدالة قضيته وحق شعبه في الوجود في ظل كيانه المستقل ، هذا الجوهر الذي طيلة مرحلة التحقيق. فكلا من القطبين يحاول تحقيق اهدافه بأساليبه المختلفة ومستفيدا من الظروف القائمة التي في صالحه. فالمخابرات تستفيد من الظروف المادية التي في صالحها، فهي جهاز كامل في مواجهة مناضل وحيد. اما المناضل فانه الوحيد الذي يملك المعلومات وان لسانه لا يتحرك الا بأرادته، فهو يمثل فصيل طليعي في مواجهة جهاز فاشي وهذا يعطيه من القوة ما يمكنه من التغلب على كافة الظروف الصعبة ومواجهته التحقيق بارادة مستمدة من قوة شعبه على البقاء رغم كل الظروف الصعبة.

فمنذ الساعات الاولى تجسد هذا الجوهر، فها هي المخابرات تستغل الجو الجديد وخاصة ان المناضل يعتقل للمرة الاولى، فتصمد على وضعه في جو من الارهاب النفسي، فمنذ اللحظة الاولى بدأ الشبح وثم تعددت الاشكال والاساليب ذات الجوهر الواحد والهادفة بالاساس الى اخذ اعتراف. في الفترة الاولى كان الضرب الاسلوب الاكثر شيوعا وخاصة الضرب على الرأس والاعضاء التناسلية، اذ كان هذا الضرب هو الشائع خلال الايام الاولى وذلك من ارهاق المناضل جسديا وعصبيا ومضت الفترة الاولى دون ذكر اي شيء عن افادات واعترافات او غيرها. كانت فقط تردد انك محاصر وستبقى هنا للأبد ولن يكون لك مخرج غير الاعتراف بمعنى اخر الخيانة. انك لست مشبوها بل مدانا وما هي القصة؟ لقد ارادوا اخذ اعتراف بالضرب، ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن، لقد

ذهبت حساباتهم مع الرياح فعن اي اعتراف يتحدثون. اليس هو لخيانة لشعب عظيم قدم الآلاف من الشهداء والاسرى لشعب ارتكبت ضده العصابات نفسها المجازر ضد اطفاله وشيوخه اليست الخيانة لحزب عظيم جسد مقاومته للعصابات الصهيونية بالدماء الزكية؟

اليس هذا الجهاز من ارتكب الآلاف من الجرائم بحق خيرة ابطالنا؟ ما اسخفهم عندما يفكرون بأن حزمة من العصي او الشبح لعدة ايام قادرة على سلخ انسان مؤمن بقضية عن شعبه وحزبه. هل يفكرون بأن الضرب ينقل المناضل من صفوف شعبه ووطنه الى صفوف اعدائه الوطنيين والطبقيين، هذا هو الغباء بحد ذاته ولنجسد انهم اغبياء بصمودنا فالموقف واحد ويجب ان لا يتغير فاما الصمود او الاستشهاد. فهذا الموقف ليس جديد فقد جسده ابطالنا في اقبية التحقيق. هذا الموقف الذي يعطي لهذا الجهاز حجمه الحقيقي. فهو جهاز فاشي لن يستطيع اخماد شعبنا لن يستطيع القضاء على النفس التحرري لشعبنا العظيم. وما تمضي الفترة الاولى حتى يكتشفون ذلك بأنفسهم، فيبدأون بكشف اوراقهم، فها هم يقدمون اوراق عليها ثلاث اعترافات مكتوبة متوهمين بأنه يمكن من خلال هذه الافادات تحطيم هذا المناضل. فأية مفاجئة هم بأنتظارها، فهذه الافادات ومهما بلغ عددها لن تنال من هذا الصمود. فهي لاتهمه فهو من يعرف موقعه الحقيقي وموقع اعدائه، فهذه الافادات تستطيع ان تسجنه ، تستطيع ان تحاكمه ولكن هذا اقصى ما يجب ان تفعله. وهنا بدأ التركيز بأنه محاصر وان لا مفر من الاعتراف وخاصة ان هناك ثلاثة اعترافات ، فعن اي حصار يتحدثون ، او عن اي طوق يتكلمون ، فهذا لا يعني الرفيق شيئا، فليستنتجوا كما يشاؤون وليفكروا كما يشاؤون اما الطريق واحد وهو اغلاقه امامهم، فالارادة والايمان بالقضية العادلة قادرة على قهرهم ووضعهم في الزاوية التي ارادوا وضع المناضل فيها، وهنا تنعكس الموازين، فالمخابرات ارادت من الخزانة والكلبشات والكيس والشبح والاعترافات محاصرة المناضل، وها هو ينتقل لمحاصرتهم. فلم يقل كلمة واحدة. لم يتعاون معهم بأي شيء أغلق الطريق امامهم، اضاع كل حساباتهم

ليقول لشعبه ورفاقه ان هذا الجهاز الكامل قد تحطمت اسطورته . لقد نزل من عليائه الى تحت الاقدام، فهذه الطيرق هي الكفيلة بصنع الغد الجديد. غدا لا يكون فيه للفاشين دورا، غدا لن يستطيع الفاشيون ومهما تعددت انواع قمعهم منعنا من صنع تاريخنا المشرق. تاريخ الكفاح التحرري لنيل حقوقنا، فالتراجع لهذا الجهاز الفاشي وليعلن عن فشله وليعلنها بأن صلابة وايمان ابطالنا قد حطموا جميع اساليبه. ولكن ماذا بعد هذا الفشل؟ هل يكتفون؟ ولكنهم يجربون خبراتهم النفسية في علم الاجتماع وعلم النفس فيستندون على الانسان كائنا مادنا نفسيا، وان الانسان له قدرة معينة على التحمل وبعدها سوف ينهار، لقد ارادوا التأثير على نفسية المناضل الذي امامهم ارادوا زعزعة ثقته بنفسه، ارادوا ان يشككون بمبادئه وهم يلجأون الى الاساليب مختلفة كزعزعة المناضل بحزبه وحتى شعبه. فلا يتوانون عن التشكيك بالثورة وقيادتها واهدافها وعن تبجعهم بالقدرة على انهائها. وخاصة بعد محاصرته ومحاولة تصويره بأنه وحيد معزول عن شعبه. وانه امام جهاز استطاع هزيمة كل العرب وما عيله الا الاستسلام، لقد ادركوا بأن التحام هذا الجسد الذي امامهم بحزبه وشعبه مكنه من الصمود، لقد بدأوا يذكرونه بذاته كخطوة لفصلها عن الشيء الاكبر الحزب الشعب. انهم يحاولون اقناعه بالامور المعكوسة، ولكن عن اي انفصال يخططون ، فهذا المناضل قد وضع من شعبه، وعاش دينهم وينتمي لهم وهل تكفي عدة ايام للتنظير من اجل فصله عن حزب مكافح قدم الاف الشهداء والاسرى. فأسلوبهم مردود عليهم ولن يحقق ما يريدونه ، فالمناضل يعرف مصلحة نفسه وهو لن يأخذها من اعدائه مهما كانت قوتهم، فعن اي مصلحة يتحدثون ؟ غير مصلحتهم لانفسهم، وهل تكون المصلحة بالانفصال عن شعب وحزب عظيمين والبحث عن الذات في تلك اللحظة ؟ ان مرتكبي المحازر ضد ابنائنا، ان من اغتال خيرة ابطالنا لن يقدم لنا النصائح الا اذا كان مجيرة لخدمته. لن تكون نصائحهم الا لخدمتهم ، فكل ما يريدون تحطيم هذا الحزب بالطرق المختلفة ولكنها ذات اللون الواحد .

والان تبدأ المخابرات حساباتها من جديد. فهذا المناضل قد صمد رغم

الاعترافات والضرب والشبح والاساليب النفسية، هذه المرة يتذكرون التعاليم الصهيونية ، فهم شعب الله المختار هم اذكى الشعوب. ولتبدأ التجربة الجديدة. فاذا بهم يزودون اقسام العار بمعلومات اجتماعية وحياتية عن الرفيق. ومعلومات امنية عن القضية في نطاق اللعبة القذرة التي يعدونها. ولكن اللعبة واضحة، فبالمحصلة يجب عدم اعطاء اية معلومات لاي انسان ومهما كان داخل

السجن وخاصة ان هذه المعلومات غير مكشوفة عند المخابرات. فليس احدا مخولا بذلك. واذا كان الصمود قد تجسد امام الجهاز الفاشي . فان الصمود يجب ان يتجسد امام هذه الزمرة الساقطة التي قبلت لنفسها هذا الدور الخياني، فهم قد تجردوا من انسانيتهم كأسيادهم ، فيعملون معا في جهاز واحد مع الاختلاف العرقي. فاولئك يهود فاشيين وهؤلاء عرب ساقطون. وينتقل دورهم ايضا الى الزنازين للكشف عن تأثير الاساليب المختلفة على نفسية المناضل وعدى عن ذلك اعتاد المخابرات على تقاريرهم في التخطيط للجولات اللاحقة من التحقيق، يجب عدم اعطاؤهم الفرصة لذلك يجب عدم مجاملتهم واذا كان لابد من الكلام فليكن بالطريق التي تجعل هؤلاء العملاء يرفعون تقاريرا خاطئة وهنا يسير التوجيه الخاطيء للتحقيق من قبل المخابرات.

في الفترة كانوا يرددون لا يكفي الاقرار بالمعلومات الموجودة، يجب اعطاء معلومات جديدة وخاصة ان المعلومات موجودة وبعد ذلك انتقلوا الى تكتيك جديد ، يكفي الاعتراف بما هو موجود، وهذه لا تعد خيانة خاصة وان المعلومات موجودة وعندما لم ينجحوا في كلا الحالتين حاولوا استخدام الجانب الوطني لصالحهم. فاذا كنب بطلا ولا تريد الكلام فلا مانع، ولكن قل انك عضو في الحزب ولا تريد الاعتراف. فالهدف من ذلك توريط المناضل لاقرار بأنه عضو في الحزب ، وهذا يكفي لتوقيف المناضل فترة اخرى واعطائهم مبررا لاستخدام اساليب اشد قد تصل الى التصفية الجسدية او النفي. فالتغلق الابواب امامهم ومن جميع ابوابها. واثناء التحقيق تعمد المخابرات الى مفاجئة المناضل واستغلال تلك اللحظة لتوتيره عصبيا وانهياره. هذا يمكن ان يؤثر على انسان

ضيق الافق . فانسان استراتيجي التفكير لا يمكنها ان تفقده هدؤوه واتزانه الداخلي، فاذا شهد رفيق عليه او اذا تفاجأ بمعلومات جديدة، فليحافظ على هدوئه فهذه مهمة اجتماعية صعبة تشارك فيها طبقة كاملة بل شعب كامل ولابد ان يكون هناك فروقا بين واحد واخر . فمنهم من يصمد حتى النهاية ومنهم من يتراجع امام المحكمات العملية.

فليحافظ الرفيق على هدوئه واتزانه وان لا يرتبك فكل الامور تتغير ولن تبقى على حالها. فعجلة الزمن ليست واقفة بل متحركة للامام فقط. اما محاولة المخابرات زج المناضل في تبريرات وايهامه بسماعه فيجب عدم الانجرار لذلك ، فليس مهما اذا اقتنع هذا الجهاز اولا ولكن المهم الصمود. اما اللجوء الى تصوير القضية بأنها قضية كبيرة جدا وبالتالي فعلى المناضل تقديم اعتراف بسيط، او العكس من ذلك محاولة تصوير القضية بانها بسيطة للغاية فيجب ان لا تمر يجب عدم الانتباه لما يقولون ، والمناضل لا يحسب عدد سنوات السجن، ولكنه يحسب بانه امام مهمة عظيمة في دفع جزية ونضال شعبه خطوة للامام وعدم ارجاعه للوراء . فالمفاهيم الجديدة بحاجة الى نضال طويل وشاق، فالرفيق الصامد من يصنع الغد الجديد، اما الرفيق المعترف فقد حزبه وشعبه ولن يعود جديرا به انه يكون في هذا الحزب الذي جسد الصمود بالدم.

هذه هي المفاهيم التي تحكم الصمود، فالصامد في هذا الحزب رسالة الى جهاز المخابرات بأنهم عليهم اعادة حساباتهم من جديد فيما رددوه طويلا بانهم سوف يقلعون هذا الحزب من جذوره فالحزب هو الشعب لا يمكن ان ينتهي والتاريخ هو الحكم فقد علمنا بأن النصر دائما كان حليف الشعوب وان جميع الاحزاب والمؤسسات الفاشية التي تعمل بعكس التاريخ يجب ان تنتهي مهما طال عربدتها وعطرستها.

الاستخبارات والتحقيق ، ملاحظات من صاحب تجربة نضالية طويلة

ان التعميم في موضوع التحقيق ، لا يمكن ان يكون بديلا عن عرض التجربة الحية - الملموسة، فالطرح الملموس للقضية هو الذي يقدم المعرفة الملموسة، المحددة، وتلك المعرفة عامل هام جدا في امتلاك (الخبرة الذاتية) وتعزيزها ، كذلك الخبرة العامة للحركة الثورية او الحزب الثوري.

لذلك كانت دراسة تجارب التحقيق ، سواء تجارب الانهيار المخزي، او الصمود الرائع البطولي ، وبملموسه تصبح ضرورية وحيوية، لتحسين قدرات المنظمات الحزبية المناضلة على الصمود والبناء في وجه هجمة العدو. اضافة لذلك، وبالارتباط به، فان دراسة تجارب التحقيق يمكن من مواكبة المستجدات في اساليب التحقيق، وايجاد الرد الناجح على اية تجديدات يبتدعها رجال المخابرات الصهيوني. وبناء على كل ذلك يتم تطوير الوعي الامني للمناضلين وزيادة حالات الصمود والخفض المستمر لحالات الانهيار .

ان كل ما يجري في التحقيق مهم . كل تفصيلية ، كل حادثة ، كل اشارة هي ذات مغزى. فكل ما يفعله المحقق او الجو الذي يفرضه هو مدروس ومبرمج ، وليس عفويا او صدفيا. وباختصار فان المناضل اثناء التحقيق ، يكون محاطا بحقول من الكمائن والمصائد والالغام . فلا يتصرف المناضل بعفوية ، واهمال ولا ابالية، والا فسيدفع الثمن غاليا. قد يتغير شكل الاستجواب ، يشتد التعذيب او يخف ، تتغير المعاملة وظروف حياة المعتقل اليومية، الى آخر ذلك ، ويجب دائما التنبه الى ان ذلك يقف خلفه سياسة التحقيق مع المعتقل الذي يضعها طاقم التحقيق وليست عفوية ، وعلى ذهن

المعتقل يكون متحفزا، ويقظا لمعرفة (ما يقف) خلف كل ذلك.

ان الملاحظات، رغم عموميتها، تسعى لان تحمل بعض الفائدة للمناضلين الفلسطينيين.

الاستخبارات - والتحقيق : يستطيع اي مناضل يقع في براثن سلطات الاحتلال الصهيوني ان يميز بوضوح من بين كل الادوات القمعية التي يجابهها ويصطدم بها، ويتعرض لتنكيلها اداتين اخطر من كل ما عداهما، سواء في موضوع النيل من المناضلين كافراد او تحطيم منظماتهم السرية، وهما: «الاستخبارات»، والتحقيق»، الجسمان اللذان يؤلفان مع غيرهما من البنى والاجهزة الاخرى، كيان جهاز «الشين بيت» (مصلحة الامن) - والتي هي جهاز المخابرات الاسرائيلي المخصص للعمل داخل البلدان الاخرى، والذي مثله مثل «الموساد» - منظمة التجسس والارهاب الصهيوني المخصصة للعمل داخل فلسطين المحتلة، والذي مثله مثل الموساد - منظمة التجسس والارهاب الصهيوني المخصصة للعمل داخل البلدان الاخرى- يتبع رئيس الوزراء الصهيوني مباشرة، بخلاف الجيش الصهيوني، الذي يقع في نطاق مسؤولية وزير الحرب الصهيوني، وبخلاف «قوات حرس الحدود» التي تقع في مسؤولية وزير الشرطة ، كباقي اجهزة الشرطة الاخرى. وهذه الحقيقة تفسر حجم السلطة والنفوذ الهائل، الذي تتفوق به المخابرات الاسرائيلية على سلطة ونفوذ الجيش الصهيوني، حتى في المناطق المحتلة سنة ٦٧، والخاضعة رسميا لسلطات الاحتلال العسكري. وهذه الميزة تنسحب على جهازي الاستخبارات والتحقيق العاملين، في تلك المناطق بوصفهما جهازين في جهاز واحد هو الشين بيت التي تعلو على كل المؤسسات الاخرى العسكرية والقضائية والادراية.

ان المهمة العامة التي يضطلع بها جهازي الاستخبارات والتحقيق في المناطق المحتلة سنة ٦٧ ، كما في باقي الوطن، تتلخص بالقضاء على الحركة الوطنية الفلسطينية، وتصفية نضالها بمختلف اشاكله ، لتمرير سياسة ومخططات الاحتلال، وبالذات في كشف وتصفية المنظمات الفلسطينية المسلحة

وغير المسلحة، عبر الافساد ، والتفكيك، الاغتيالات ، الارهاب، تسريب الاراضي ، الفتن، الاشاعات، تجنيد العملاء ، انشاء تشكيلات عميلة، روابط قرى - لجان ادارة- جمعيات، وافساح المجال واعطاء النفوذ للتشكيلات اللاوطنية- منظمات دينية ، تعزيز نفوذ اتجاهات سياسية خيانية،.....

ورغم ترابط الاستخبارات ، والتحقيق، وتداخلهما المعقد، فان لكل منهما وظيفته الخاصة به، وتركيبته .

الاستخبارات: هي الطرف المقرر، والاكثر اهمية في تخطيط الشكل العملي للسياسة العامة المشار اليهما اعلاه وتنفيذها. ولهذا السبب ايضا تملك الاستخبارات في كل منطقة سلطات واسعة جدا، تضعها في مرتبة الحاكم الحقيقي الاعلى لتلك المنطقة، التي ما من ناحية من نواحي الحياة فيها الا وللاستخبارات فيها تأثير ودور . فهي الجهة المسؤولة عن كافة العمليات القمعية، السرية وشبه السرية، في حين ان المهمات العلنية تقوم بها دوائر اخرى، كالجيش والقضاء والشرطة.

فالاستخبارات هي التي تقوم بجمع المعلومات ، وترتيب عمليات المراقبة والملاحقة، والتفتيش، وتقرير الاعتقالات، والاغتيالات، والمصادرة ، والنهب، وتلعب الدور الحاسم، والاهم في تقرير أحكام وقرارات الدوائر الحكومية وشبه الحكومية، وهي الجهة المكلفة بتزويد طواقم التحقيق بما يلزم من المعلومات والتقديرات، والتوصيات، وهي التي تضع بين ايديها المعتقلين. وتستخدم حلقات الاستخبارات في عملية الحصول على المعلومات، والمراقبة والملاحقة، وتنظيم بعض اعمال القتل والارهاب - شبكات من العملاء المحليين، وسلطات مختلف الدوائر الحكومية، والمؤسسات الرسمية، في حين تستخدم احدث الاجهزة، والامكانات لجدولة المعلومات وتنسيقها، واستخدام الاستنتاجات وتعميمها وتنظيم الحلقات .

ان الجسم القاعدي لجهاز الاستخبارات مؤلف من حلقات تغطي كافة انحاء الوطن: المدن بمناطقها واحياءها المخيمات، والقرى.... ولكل حلقة فيها

مجال جغرافي محدد ومقسم بين بعض اعضائها، الذي يتولى كل منهم مسؤولية نطاق معين (ربع او نصف مدينة «الاحياء»، قرية، مخيم) ، يعاونه عدد من الافراد المستجدين الذين يجري تأهيلهم، وتدريبهم قبل أن يدخلوا في عداد الكوادر. طبعا هذا لا يعني انها تبصر وتحصي كل حركات الناس. ان الحلقة الاستخبارية مسؤولة مسؤولية شاملة عن المنطقة التي تشرف عليها في كل ما يتعلق، بعمل ومهمة الاستخبارات : فرز السكان، تصنيفهم، ملاحقة الاشخاص المهمين، تنظيم عمليات المراقبة، والمتابعة للمؤسسات الجماهيرية والاجتماعية المؤثرة، والعمل على خرقها والبحث في داخلها عن الوطنيين والتنظيمات والعمل على اعاقة واحباط نشاطاتها وتشويه منجزاتها الوطنية، ونجاعتها، ومجابهتها من خلال العملاء والهيئات اللاوطنية او من خلال الحكم العسكري. كذلك الاهتمام بالعلاقات العائلية والعشائرية والدينية، والتأثير على الوضع الاقتصادي، عبر مختلف الوسائل. كل هذا اضافة وتجسيدا للمهام العامة المذكورة اعلاه.

ان للعملاء دورا مهما في تحقيق وانجاح عمل ونشاطات الاستخبارات والذي بفضلهم تمكن العدو من احراز نتائج مؤثرة في الصراع مع خلايا وفصائل حركة المقاومة الوطنية في الداخل، وجزئيا في الخارج. وعملاء الاستخبارات منظمين باحكام بشكل شبكات وافراد متغلغلين هنا وهناك. ان لكل حلقة استخبارات عدد من العملاء في خدمتها. وان حجم الحلقة الاستخبارية، نسبة لحجم شبكات العملاء المرتبطة بها والعاملة معها، لا يعدو حجم الكلب نسبة لقطيع الاغنام.

والصلة بينهما صلة شخصية، فيرتبط بشخص رجل الاستخبارات، العملاء الافراد والشبكات. وهذا يعني ان العملاء ليسوا في عداد المؤسسة الحكومية مطلقا، بل هم ليسوا اكثر من اجراء يعملون لحساب «الكابتن» وليس لحساب دائرة رسمية، ولا يتلقون رواتب ولهم انظمة خاصة بهم. ان مدخولاتهم المالية مقابل خيانتهم، اما ان تكون المكافئة المالية وغير المحدودة وغير المنتظمة التي يلقيها «الكابتن» للواحد منهم، مقابل مهمة معينة، واما ان

تكون الرشاوي التي يسمح لهم بتلقيها من الناس، واما ان تكون التسهيلات المعيشية الممنوحة لهم (ادارة مشاريع، مدارس سواقة، وكلاء شركات... الخ)، ان اتصالات العملاء مع رجال الاستخبارات «الكابتن» هي اتصالات معقدة، مثل كتابة ارقام كبيرة داخل دوائر، وبالوان مختلفة على الجدران، والتي تتيح اتصالات سريعة بين الطرفين، عدا عن اللقاءات المباشرة السرية او العلنية المموهة، واستخدام الهاتف، والرسائل البريدية وجهاز اللاسلكي.

ان العملاء بالنسبة لجهاز الاستخبارات الاسرائيلي ، عامل لا تقدر اهميته وضرورته بثمن، منهم عيونه وآذانه (ولمهام معينة) اصابعه. فالمخابرات تقبل احيانا ، بابداء بعض التغاضيات سواء في المحاكم او غيرها، وذلك حتى لا تكشف عملائها السريين الفاعلين، وفي هذا الشأن يرفع رجال الاستخبارات الشعار التالي: «نحن لا نبصق في البئر الذي نشرب منه»، انهم لا يحرقون اي عميل الا اذا كان في ذلك مصلحة اكيدة لهم. وتحاول المخابرات ان يكون عملائها من بين مختلف الفئات الاجتماعية، وبالأخص تلك التي يثبت افرادها في معظم الانحاء. وان عناية خاصة توليها لتجنيد الفتيات، الى ابعد الحدود سواء في اسقاط الفتاة المعينة، او باستخدامها كوسيلة جاذبة. ان الظروف المعيشية والاحوال الاقتصادية السيئة، والحاجة الى دوائر سلطات الاحتلال، والثغرات الشخصية، والصراعات العائلية، هي عوامل هامة في موضوع تجنيد العملاء - اولاد - نساء - رجال ثم ان السجون الفرعية، واماكن الحجز المؤقت والمخصصة للاحداث ، هي مجال خصب في مسألة تجنيد العملاء. فما من شخص يدخل مكاتب التحقيق لا تبذل عليه عملية الاستدراج، او يعرض عليه التعامل

وهذه الصورة او تلك فقد يكون العرض صريحا، وقد يكون مبطنا، «أن شفتني بضحك عليك، وان ما شفتني راحت عليك» ان عملية التحطيم التي تستهدف الاجيال الجديدة من الشعب والمستمرة منذ سنوات طويلة (١٠ سنوات) والتي يبدو انها ترتبط بقرارات من المستويات السياسية العليا في الحكومة الاسرائيلية على درب تصفية الشخصية الوطنية الفلسطينية، كان لجهاز الاستخبارات دور هام في تنفيذها، او ان الهدف هنا ليس مجرد اكتساب

عدد من العملاء بالمعنى التقليدي، بل عملية افساد عام، وجذري ، وهذا تحطيم داخلي، واستيلاء نفسي شامل، رغم انهم وبمعظمهم لا يمارسون ادوار العمالة الفعلية، فالاستخبارات لا تستطيع ان تحتوي وتشغل كل هذه الاعداد ، ثم انهم لا يرحبون باي شخص ليعمل معهم، بل لديهم اسس محددة، ومعايير معينة للاختيار. ان الذي يوهمونه، بانه عميل سينظر لنفسه من مختلف الزوايا كخائن، وسيعامل نفسه وغيره على هذا الاساس، انسان مفرغ من محتواه الوطني وفاسد، ومن الممكن ان يقدم على اية فعل مهما بلغت بشاعته، ومن المحتمل ان يلعب دور المكروب المعدي في الجسم الاجتماعي.

جهاز التحقيق: جسمه الاساسي، عبارة عن اطقم، يتكون كل واحد منها من عدد قليل من الافراد، (تقريبا ثمانية) مدربين جيدا، يقف على رأس الطاقم كادر ذو خبرة طويلة ومراس في حين ان باقي افراد الطاقم الاعضاء، يتراوحون ما بين الكادر المجرب والعضو المستجد. ان الطاقم (لجنة التحقيق) يتولى مسؤولية منطقة كاملة تشمل على مركز او اكثر للتحقيق، ويشارك الطاقم وفق الظروف والمتطلبات في اعمال ونشاطات اطقم اخرى مسؤولة عن مناطق اخرى، ومهمته في منطقته، تقوم على انتزاع المعلومات والاعترافات من المعتقلين والمشاركة في كشف النشاطات الوطنية وتنظيماتهم، والقضاء عليهم بناء على ما يتلقاه من حلقة الاستخبارات العاملة في المنطقة من معلومات وادلة، وبدوره يقدم للاستخبارات ما يتوصل اليه من اعترافات، واستنتاجات، وما يتكون لديه من توصيات. ان عملا مشتركا كبيرا يجمع بين طاقم التحقيق وحلقة الاستخبارات في المنطقة. يجري تقسيم العمل بين افراد طاقم التحقيق بنظام دقيق، فلكل محقق قسم محدد من القضايا والملفات ، يتولى امرها ويتحمل مسؤولياتها وله دور في النوبة الليلية، ومن جهة اخرى يتم تنظيم مستوى من التعاون والجهد المشترك بينهم لانجاز اعمال معينة ولتبادل الادوار في عملية التحقيق. ان كل اشكال التحقيق والتعاون بين اعضاء الطاقم انما يتم بالاشراف القريب من قبل الرئيس الذي يقدم معونته

لكل عضو بغية التغلب على العقبات التي تعترض سير التحقيق لدى ذلك العضو، ثم ان رئيس الطاقم يتولى بنفسه عملية التحقيق ان عجز المحقق المعني.

ولا يندر ان يتولى التحقيق محققين من طواقم اخرى او حتى كوادر عليا وذلك حسب اهمية القضية وخطورتها، والفشل المتتالي الذي يحصدوه بسبب صمود المناضلين. ان المحقق الذي يتولى قضية ما سيتحمل مسؤولياتها امام الرئيس والمستويات الاعلى وسيبذل بالتالي جهده ليصل بها الى نهاية ناجحة، اي كسر المناضل وانتزاع اكبر قدر من الاعترافات منه، وان امكن تحطيم ايمانه الوطني وان استطاع افساده والاستيلاء عليه هو نفسه، وتجنيده للعمل في خدمة الاستخبارات، اي تدميره كانسان ومناضل، ولكن هذا كله يؤدي للفشل، وقد آل مئات المرات فيما اصطدم بانسان يحترم ذاته، ويحب شعبه ورفاقه. ان طاقم المحققين يعقد اجتماعات خاصة به، يكرسها لتقييم سير التحقيق، ويوضع الحلول لمختلف المشاكل التي تواجهه في العمل، وبلورة الاقتراحات والموافقة حول مختلف المسائل: تنظيم اعتقالات جديدة، اغلاق ملفات ، انهاء قضايا، البحث في استخدام طرق تعذيب جديدة. ان ثمة ميل في اسلوب التحقيق ينمو لاتخاذ «الاستخبارات والتحقيق» كامل الاستعدادات المسبقة قبل الشروع بالتحقيق، بل وقبل الاعتقال ذاته اذا سمح الظرف بحشد كل ما يمكن من المعلومات والادلة التي تقدمها حلقة الاستخبارات عن الشخص المعني المقرر التحقيق معه. واجراء تنسيق تلك المعلومات ووضع خطة مدروسة ومتأنية لعملية التحقيق بكاملها وتحديد مستلزمات عن الضغط والتعذيب والمناورات الخطرة. وتتاح الفرصة للمحقق الذي يقرر ان يتسلم الملف، ليقوم بنفسه بدراسته وتحليلاته الخاصة، وبالاخص اذا كان المقرر التحقيق معه مصنف لدى المخابرات على انه من النمط القوي وكثيرا تجري التحقيقات بدون اعداد مسبق، وعلى اثر اعترافات الوشاة الجبناء. ان عمل التحضير هذا قد يستغرق اسابيع وربما اشهر عديدة قبل ان ينفذ الاعتقال، يكون الشخص فيها تحت المراقبة وتنصب له الكمائن، تمارس هذه المناورات

كتسرب بعض العملاء الى اطاره الاجتماعي وغير ذلك. وبالذات اذا كان الهدف المقصود لا يقتصر على فرد بل يشمل منظمة، وهذا لا ينفي حالات لا تصبر فيها المخابرات ولا دقيقة واحدة بعد ان ينكشف لها المناضل سواء من خلال الاعترافات او مراقبات عملاء. ولا تصبر المخابرات كذلك على الاشخاص الضعفاء الذين لا يتطلب كسرهم تحضيرات خاصة.

التحقيق : ان جوهر عملية التحقيق انما ينصب على انتزاع المعلومات والاعترافات من المناضل وبالذات تلك المعلومات الهامة التي تساعدهم على تنظيم اعتقالات جديدة وتوفير ادانات. وانجاز هذه المهمة لا يشبه السير بخط مستقيم. فالتحقيق هو مشروع مؤلف من حلقات وتتضمن تعقيدات إضافية كثيرة، شهود، مجابهات ادلة، هذا من جانب، ومن جانب اخر من جانب المناضل، رفض، صمود، تمويهات، اكاذيب، شجاعة، تحمل .....، ان اي معلومات تعطى للمحقق ستحمل له فائدة ما، لكن المحقق يريد معلومات معينة وليس اية معلومات، وبعد الحصول عليها يتفرغ للمعلومات العادية، الحياة، الاقارب، الشغل وغير ذلك. وفي بعض الاحيان تكون المطالبة بمعلومات عادية مقدمة ومدخل للتحقيق «وللمعلومات المعينة» : المعلومات عن الانتماء، من النشاطات السياسية ، التنظيم، النضال، عن السلاح، عن المناضلين، عن طرائق العمل وعن اي شيء يفيد المخابرات. ان حصول المحقق على مبتغاه وبزمن اقصر انما يمثل مجمل اللعبة التي تتم ومن احكام وقواعد ثابتة وان شكل تنفيذها وتأديتها هو الذي يتغير مع تغير الظروف المتعلقة بقوة حركة النضال وتطور اساليب العمل او تحسن «علم» التحقيق.

وفي بعض المراحل كان التحقيق يتعلق بالمطالبة باعتراف عن «اسماء» عن

«سلاح» عن «أعمال» دون الاهتمام الكبير بالواقع وبمدى صحة الاعتراف. لقد كان المحقق يصاب بالرضى ويشعر بأنه حقق نجاحا رغم ان ما حصل عليه ومن اعترافات بعيد عن الصحة والحقيقة، فمثلا : الاسماء تكون مزيفة والسلاح قد يكون غير ناجح، والاعمال قد تكون وهمية ومع ذلك ان لدى

المحقق اعترافات وادانات وينتهي التحقيق. لكن الاهتمام اخذ ينصب على مدى صحة الاعتراف وليس على انتزاع الاعتراف فقط، وهنا الخطورة الحقة، ان انتزاع الاعتراف بغض النظر عن صحته قد لا يؤذي سوى صاحبه، لكن الاعتراف الحقيقي يؤذي الجميع، ولهذا السبب يسعى المحقق وراء الصحيح حتى لو لم يفصح عن ذلك بوضوح ويعتني ان يقي نفسه من الاعترافات المضللة والكاذبة. وتتجلى براعة المحقق في وضع ايديهم على الحقيقي وفرزه عن الزائف والوهمي. وبناء عليه طرأ تغير على مظهر التحقيق فثمة تركيز كبير على جمع المعلومات الصحيحة سلفا وعلى المناورات والمكائد واجراء المقارنات والحسابات وهو الامر الذي يتطلب شكلا من الضغط يتميز بطول النفس وتراكم التأثير اكثر مما يتطلب عنفا اهوج قد يستولد الكثير من الاكاذيب.

عندما يقتصر المحقق عمله على البرهنة على قناعاته المسبقة فانه سيلجأ الى اقصى درجات العنف والشراسة، واما اذا استهدف التوصيل الى المعلومات الصحيحة فانه سيضطر الى سلوك درب البحث عن الادلة والشواهد والاثباتات ليحاصر المتهم وليجبره على الاعتراف الى جانب استخدامه اساليب الضغط الملائمة.

للتحقيق ثلاثة اهداف : (١) الاستيلاء على المعلومات والاسرار، التي لدى الشخص المخضع للتحقيق. (٢) تحطيمه معنويا وهز ايمانه الوطني الثوري. (٣) او تحويله الى عميل ان امكن وان تعذر ذلك تلويث سمعته بين المعتقلين وغيرهم والعمل على تدميره.

ان افشال المحققين في ان يحققوا هذه الاهداف امر ممكن وضروري وقد برهن عليه عشرات وعشرات بل ومئات من المناضلين والوطنيين العاديين، والعلم يقول ان ما إستطاع فرد ان يقوم به وينفذه يستطيعه أخرون وأخرون ، اذا ما تقيدوا بتوفير اللازم مثلما ذلك الطليعي وغيره من الطليعيين. ان الصمود هو قضية القضايا والانتصار في التحقيق والصمود

يتحدد بعدم القابلية للبوح باية معلومات او اسرار رغم اي ضغط سلط على الشخص الذي جعل الصمودراتية ومصيره. بالمحافظة على سلامة معنوياته وقناعاته وايمانه الوطني، والتحدي في كل الظروف والاحوال، بالذات، حين يشعر المرء وكأن كل ما حوله ينطق بالهزيمة او الانحصار، حين يكون وحيدا معزولا مرهقا، ومحاط بكافة انواع المخاطر، ويتفاعل بداخله مزيج اسود كثيف من المرارة والخوف. ان الصلابة والصمود في التحقيق تتقرر بعوامل ذاتية، اولا وقبل كل شيء اخر، فكرة الاستعداد الاصلي لدى الشخص بالتضحية الذاتية، وعمق قيمه الثورية والاخلاقية، وادراكه التام لطبيعة مصلحته كوطني وثوري، ذكاءه وحضور بديهيته وخبرته ورباطة جأشه. ان التعذيب الجسدي والنفسي الذي يسلطه المحققون على الشخص لا بد ان يسبب

له آلاما ومعانيات كبيرة، ومن حقه ان يتطلع الى الخلاص منها والخلاص من الاعتقال ذاته، لكن بالسبيل الشريف والقويم اي سبيل الصمود. اذا انحصر تفكير الشخص وهو تحت التحقيق يتلقى العذاب، بوضعه الشخصي وآلامه ومعانياته هو، واخذ يفكر بحريته وهناءه قبل الاعتقال، ويعقد المقارنات بين حاله السابق والراهن وهو الامر الذي يدفعه اليه المحققون دفعا واضعا نصب عينيه، استعادة وضعه السابق والعودة الى وضعه السابق فحتما ستتولد لديه استنتاجات خطيرة : «لو انني واصلت حياتي كالاخرين، لما وصلت الى هذا ولما جرى لي هذا»، اذن النضال هو الذنب والوطنية هي التي تتحمل المسؤولية ، وبالتالي فان الخلاص يأتي من التخلص منهما واستبعادهما..، وهذه مقدمة نفسية للانهيار الكلي والخيانة المنحطة المزرية. ان المحققين يحاولون وبمنتهى الوعي ان يولدوا لدى الشخص اوهاما مؤثرة وانطباعات خطيرة ومدروسة بدقة:

«المخابرات لن تتركني ولن تحل عني حتى تأخذ ما تريد.....» «ان رحلة العذاب التي يحيطونني بها هي بدون نهاية» «ان ما جرى ويجري لا يقارن مع القادم». ان من الاهمية القصوى ان لا يسمح الشخص لنفسه بالوقوع في اسر هذه الاوهام او مثلها، وان يقمع اي تفكير او انطباعات خاطئة، وان يصب

تفكيره خلال كل رحلة التحقيق بالذات اثناء جولات التعذيب على هدف واحد وحيد : حماية الذين تركهم وراءه وحماية الناس حماية مشرفة، وان لا يمسح لهم بان يورطوه بأي جريمة بتاتا. فالذي يخنع بالتحقيق ويخون يكون قد ارتكب ثلاث جرائم فظيعة حقا وفي آن واحد: ذبح غيره، ذبح النضال، وذبح نفسه، سياسيا واجتماعيا والقى بنفسه في هاوية الأسر. وبالتالي فالمعادلة بوضعها الصحيح تكون :

اذا واصل المرء صموده ، فانه سينقى مصيرا اسودا يهون معه الموت ويكون التعذيب في التحقيق بالمقارنة معه ليس اكثر من وخزه.

من لا ينسى نفسه ولا ينسى مسؤولياته وواجباته وحق نفسه لا يمكن الا ان يفكر على هذا النحو ان الصمود والوفاء هو الحل والرد النموذجي المدروس والمحسوب جيدا من قبل آلاف المناضلين في جميع انحاء العالم، على كل ما يلاقيه المرء خلال التحقيق من عذابات وتحديات. ان الصمود هو السلم الذي بواسطته يخرج نفسه من حفرة التحقيق والسجن، في الصمود تتطابق مصلحة الشخص الخاصة والمصلحة الوطنية العامة. اما في الانهيار والتفريط فتضيع مصلحته ومعها مصلحة الجميع وتتحقق مصلحة واحدة فقط هي مصلحة رجال التحقيق والمخابرات، مصلحة العدو. ان تعذيب العدو مؤلم وفظيع ولكن تعذيب الوطن والناس والرفاق والنفس اشد الما وافظع تأثيرا، والمنهارون يشهدون على ذلك. ان الفهم الواقعي والصائب للتحقيق ولما يتخلله ولمجرياته هو عامل عظيم الاهمية في معركة الصمود.

أولا : ان رجال التحقيق انما يؤديون عملهم وفق برنامج محدد وليس ابدي مفتوح، ولكل قضية عندهم مدى محدد، وعمر معين قد يطول او يقصر، ولكنه له نهاية، ثم ان طبيعة علمهم اللا انساني هي طبيعة متحركة، لا تقبل التوقف والارتهان بقضية معينة.

ثانيا : ان رجال التحقيق اكاديميون ومدربون من الناحية المعنية، فقد

تلقوا دروسا بعلم الاجتماع والسياسة، والنفس والتاريخ ، وجسم الانسان، وتعلموا فنون الضرب والتعذيب، والعادات ويتقنون العربية ، وهم من ناحية

اخرى اناس اطفئت فيهم معاني الانسانية، وخلصوا من اي قيم نبيلة ولديهم الاستعداد والقابلية لاي ممارسة، مهما كانت فضاعتها وبشاعتها، ولكن دون ان يجتازوا وعلى مسؤولياتهم الفردية حدود التعليمات والنظم الرسمية المحددة والتي تحاول ابداء قدر من الحذر للحفاظ على الشكلية القانونية والحد من امكانيات وفرص التشهير الاعلامي. فمثلا : المخابرات تحرص جدا بان لا يقتل اي شخص خلال التحقيق اذا كان من المستحيل منع شيوع الخبر عن هذه الجريمة، لما لمثل هذه الممارسات من حساسية فائقة محليا وعالميا بينما لا يبدون نفس الحرص من اطلاق النار في الشوارع على المتظاهرين. ان القتل اثناء المظاهرات لأسهل بما لا يقاس من القتل في زنزانة التحقيق فمهما تزايدت اساليبهم في التعذيب فهم مقيدون بحدود عملية وزمنية وشكلية رسمية. ان لكل جولة تعذيب برنامج مقرر سلفا، يتضمن شكل التعذيب وحجمه وزمنه ويحدد فترة التحقيق وموضوعها. ثم ان بعد كل جولة من التحقيق او التعذيب يتم تسجيل البيانات «اسم المتهم» - اسم المحقق، وفترة التحقيق وموضوعها ، وأية ملاحظات هامة في تقرير خاص بدوائر التحقيق فقط، ولاحتياجاتها البيروقراطية هي وليس لاية جهة اخرى ويمكن القول ان من الملاحظ ان انظمتهم قد حددت جولة التحقيق زمن زمن (أدنى من ساعتين متواصليتين) ولكن لا يجوز الاستنتاج بانهم لا يمكن ان يمددوها كما يشاؤون.

اما جولة التعذيب والتي على العموم تتروح ما بين الضرب المنظم المتواصل على الرأس او العنف او الاعضاء التناسلية، وما بين الشبح على المقعد او الى الحائط، والتجويع والبصق والشتم والتعطيش وحرمان النوم والحرمان من التخلص من عضلات الجسم بالطريقة المعتادة . ان جولة التعذيب قد تمتد ما بين عدد معين من الساعات الى اسبوع متواصل من الجولات.

ثالثا : من المفيد ان يعرف المناضل بان القانون الذي يتغنى العدو به، يتضمن بعض الجوانب التي يمكن استثمارها. ان تسلح المناضل بجرأة كافية، واستعان بمحام لا يخاف، فرجال التحقيق يخرقون قوانينهم - «التي لا

تعمل ضد المتهم مئة بالمئة» - بصورة اكثر تحفظا كلما كان المناضل اكثر تماسكا ومعرفة بالتي يمكن ان تعتبر امام القضاء «تجاوزات» - وكان مستعدا هو ومحاميه لفضحها، فعلى الرغم من ان سلطات الاحتلال الصهيوني لا تتيح للمواطن الفلسطيني الاستفادة من القانون الاسرائيلي حين يتعلق الامر ببعض الجوانب ولو شكلا فمن الهام ان يعرف كل من يجابه العدو ويدخل زنازينه وجولات تعذيبه ان العنف البدني والضغط لاجبار المتهم على قول ما لا يريد قوله، ويعتقد انه يسبب له ضررا. هو امر «غير قانوني» - من زاوية قوانينهم هم انفسهم - والتي تقرر ان من حق «المتهم» ان يرفض الاجابة على اي سؤال او ان يجيب ما يراه مناسبا، ومن حقه ان يرفض اعطاء توقيعه لأي شيء، او التوقيع على اي شيء وان يمتنع عن الكتابة مطلقا.

رابعا: اذا صمد المواطن الخاضع للتحقيق واحبط كل الخطط لارغامه على فتح اقفال صندوق اسراره ومعلوماته فان المحقق، لن يجد امامه بدا من ان يرفع يده ويتخلى، وهنا قد يتدخل رئيس الطاقم ويجري بنفسه محاولة ازالة هذه العقبة، وان فشل فعلى الاغلب يتوقف التحقيق كليا «انه لا يريد ان يتكلم»، ولكن قد يتولى الامر طاقم اخر او افراد من سلطات اعلى، الى ان يصل جهاز التحقيق الى اليأس الكامل، رغم كل ما لديه عن «المتهم» من قناعات وما يملكه من قرائن، ولقد استغرق الصراع مع بعض المناضلين اشهر عديدة، والنصر كان خاتمها.

خامسا : ان التحقيق شيء والتعذيب الجسمي شيء اخر. ان التعذيب يتطلب بشكل اساسي الصبر والتحمل بينما التحقيق ذاته أي الاستنطاق والمناورات والخدع والمصائد، فيتطلب الشجاعة اول ما يتطلب والتماسك المعنوي والنباهة، وحضور البديهة والمهارة، واتقان اسلوب الضغط والتأثير على المحقق ومخادعته، وهز ثقته بنفسه، وتشكيكه بما لديه وتيئيسه من الحصول على ما يريد او تشويه دوما.

* **الافادة - اقوال «المتهم»** : من المهم جدا تناول هذه الناحية لخطورتها. مع العلم ان الحديث عنها لا يعني الموافقة او تفهم وصول المناضل اليها، بل يجب

بالمطلب رفضها في كل الحالات، وبعد ان يدلي الشخص باعترافاته، يقوم المحقق بتسليم عناصرها الى مندوب جهاز الشرطة الملحق بطاقم التحقيق والذي يحرص ان لا يظهر خلال عملية التحقيق ابدا، فيصوغها بصورة رسمية بحضور «المتهم» ذاته، والعملية تستهدف استكمال التحقيق وتدوين اعترافات اضافية ، وتفصيل الغامض منها تحت ضغط ارجاع «المتهم» الى التحقيق مجددا، حيث يكونوا قد اوهموه بان تدوين الافادة هو اخر مراحل التحقيق. ويستخدم رجل الشرطة هذه الحيل والخداع والتخويف ليضمن اقصى ما يمكن من الادانات والبيانات على المتهم ليكن الحكم عليه رغم انه يحاول المحافظة على مظهر الموظف الرسمي الذي لا ينسى ضميره واعتبارات النزاهة والامانة وفي الحقيقة فانه يعمل ما بوسعه لتكون الافادة من الفها الى يائها اداة ادانة «للمتهم» الذي من جهته يستطيع ان يحبط الخطة، ويستطيع ان يتنصل من التوقيع على الافادة بانكار كل التهم الموجهة اليه، ويتنصل من كل ما سبق له ان ادلى به امام المحققين، ويستطيع ان ينكر صحة التقرير الذي يكون قد كتبه - فرضا - بخط يده عند «العصافير». ومع ان هذا الموقف سيعيده الى التحقيق مجددا وسيتلقى بسببه قدرا من التعذيب ونقمة المحقق لكنه سيكون قد جنب نفسه مواجهة محكمة يكون فيها ضعيفا ذليلا مهزوما، ففي كل الاحوال يجب الامتناع على كتابة افادة او التوقيع على افادة بالعبرية او بالعربية مهما كانت، فلا امساك للقلم. ان القانون الذي يزين به العدو صورة يتيح «للمتهم» ان يرفض التوقيع على اية افادة ويتيح له ان لا يوافق على وضع توقيعه على اية ورقة. ويقرر بأن من حق «المتهم» ان لا يوافق على اية افادة إلا اذا كانت مكتوبة بلغته، وبشرط أن يقرأها بامعان ويوافق عليها بمحض ارادته. هذا هو قانون الاحتلال. اما قانوننا فهو رفض قراءة اي شيء او التوقيع على اي شيء اثناء التحقيق. ان المحقق ورجال الشرطة، المخصصين لتدوين الافادات يلجأون الى حيل سيئة للايقاع «بالمتهم» الصامد ولسوقه الى المحكمة : بان يقدموا له صياغة تتضمن ذكر التهم الموجهة اليه من قبل التحقيق والشرطة. وتتضمن الصياغة كذلك عبارات انكار المتهم لتلك التهم

«وذلك كطعم» ، ويؤكدون له بان توقيعه على مثل هذه الصياغة ، لا يحمل له اي ضرر ابدا، ولا يمثل اعترافا من قبل «المتهم» ، بالتهم الموجهة اليه وان الامر لا يعدو الاجراءات الروتينية، وفي حقيقة الامر ان توقيع المناضل على هذه «الصياغة» هو عبارة عن اقرار من جانبه بالتهم وبتقبل المحاكمة. وهذا بالطبع يختلف عن مثوله امام محكمتهم بدون موافقة منه وعليه يتوجب عدم التوقيع مهما كان الثمن، فهنا تتجسد خاتمة المعركة.

الاعتقال : قرار اعتقال اي مواطن يتخذ من قبل سلطة عليا بناء على توصية اطار ما في المنطقة تتمثل في الاستخبارات والحكم العسكري والشرطة وطاقم التحقيق العامل في تلك المنطقة. ويجري تنفيذ اعتقال المواطن بحضور ممثلي هذه الجهات (كقاعدة) وبالاخص مندوب الشرطة الذي يتحمل المسؤولية الرسمية للاعتقال يجري تسليم المواطن المعتقل الى طاقم التحقيق ليتولاه منهم محقق معين. ومع ذلك يظل (فيما يتعلق بموضوع الاعتقال) تحت مسؤولية الشرطة. وحسب انظمتهم، يمكن مواصلة اعتقال اي شخص من التحقيق معه لمدة ١٨ يوما - دونما حاجة لقرار «قضائي» من المحكمة العسكرية ، وبحضور «المتهم» حيث يقرر «القاضي» مواصلة حبس «المتهم» لاجل التحقيق فترات اخرى (تحسب باليوم) يتحدد امد كل منها وضمن طلب المخابرات، ٣٠ يوم او ٧٠ يوم او ١٠ او ٤٣، ... ، وفي كل مرة منها يمثل «المتهم» امام المحكمة. ان أمد الاعتقال من اجل التحقيق غير محدد بفترة معينة، فقد يستغرق شهرين او ثلاثة او اكثر لكن في بعض الاحيان يجد «القاضي» صعوبة في اصدار امر بمواصلة حبس «المتهم» ، من اجل مواصلة التحقيق لمدة تزيد شهرين فوق ١٨ يوم الأولى، وذلك اذا لم تستطع المخابرات خلالها ان تبرر طلبها بمواصلة حبس المتهم، بتقديم ادلة ما على ضرورة مواصلة التحقيق معه (اعتراف جزئي من قبل المتهم، توفير شهود عليه وادانات) لكن حتى ولو لم يوافق «القاضي» تمديد التوقيف لفترات اخرى فان الشرطة تستطيع ان تعتقل «المتهم» بعد دقائق من اطلاق سراحه، لتبدأ معه المسرحية من جديد (١٨ يوم

توقيف ثم توقيف من قبل المحكمة هذا من الناحية النظرية، اما عمليا فمن يصمد تيأس منه المخابرات وتتركه. وفي حالة توفر ادانات فان المتهم سيتواصل اعتقاله الى امد غير مجدد من اجل المحاكمة ، ومع ذلك قد تطلبه المخابرات الى التحقيق في مناسبات معينة وهذا ينذر الحدوث، ولكن من يصمد اما ان يطلق سرحاه او يحاكم بناء على افادة غيره وهذا في العادة تجتنب المخابرات استدعاؤه ثانية لانها تعرف ان لا جدوى من ذلك.

العصافير : وكما ان للاستخبارات عملاءها فان للتحقيق ايضا عملاءه الخاصين اللذين اطلق عليهم المناضلون لقب «عصافير» (اي هاربون الى معسكر العدو) واللذين هم في معظمهم عبارة عن الخونة اللذين كانوا ذات يوم في عداد المناضلين من الاسرى، وتساقطوا، اما الاخرون منهم بالاصل من السجناء الجنائيين او العملاء العاديين. ان كون «العصافير» بمعظمهم سجناء اصلا، ولان طبيعة عملهم الخياني كملحق للمحققين تحتم وجودهم في السجون بالذات ، التي فيها مراكز للتحقيق (عسقلان، غزة، المسكوبية، نابلس، رام الله، الخليل، جنين) حيث يقيمون ويعملون في غرف مفردة لهم (واحدة او اثنتين او ثلاث على الاكثر) في قسم معزول عن باقي المعتقل وهذه علامة ودليل لمن لم يسبق له ان عرفهم او سمع بهم.

يتلخص دور العصافير في تمكين المحققين من النفاذ الى المتهم الساذج، والانكى دون اي جهد وخلال فترة وجيزة، وهذه النتيجة لا يمكن ان يحرزها اي محقق في العالم مهما بلغت براعته واساليب ضغطه. طبعا لا يمكن ان يقع في احابيل «العصافير» سوى «المتهم» الساذج او الجبان، الصفتين اللتين اذ لاحظهما المحقق فانه سيرسل المتهم الى غرف «العصافير» فورا ليلعبوا لعبتهم عليه ويوافوه بالنتيجة سريعا. لكن اذا لاحظ المحقق بان المتهم من النوع الذي لا تنطلي عليه مثل هذه الحيل الخسيسة ، فانه لن يحاول معه لعب هذه اللعبة، التي غالبا ما تبدأ بايهام المحقق «للمتهم» ، بان التحقيق قد انتهى معه، وبأنه سيحول الى السجن لانتظار المحاكمة، وانه لا يريد منه اية مشاكل

داخل السجن فيأتي الشرطي (المدرب طبعا) فيأمره المحقق بأن يأخذ المتهم الى السجن: «انزله الى السجن» فيأخذه الى غرف العصافير، وهناك يجد «المتهم» (الذي غالبا ما يكون بسيطا او بدائيا) نفسه بمواجهة «مناضلين» شديدي الانضباط والنظام، وصارمين ومتمسكين جدا بالقيم الوطنية والثورية ، وبعد الترحيب، وبعد مقدمة عن الثورة وعن العمل ومن قبل «المسؤول المختص» يأتي «مسؤول الأمن»، فيشرح السياسة الأمنية ثم يطلب تقريرا عن مجريات التحقيق وعن التنظيم وعن العمل والنشاط والانتماء ويبدي استعداده لارسال اية تحذيرات للخارج، واذا لم يتجاوب «المتهم»، مع كل هذه المكائد، يطلب «المسؤول» منه اثباتا بانه ليس عميلا. واذا ما امتنع يحاط بجو ارهابي. وبتهديدات وحشية وتبرز الامواس، ويتلقى صفعات ويطبق عليه عموم من بالغرفة متظاهرين بانهم سيذبحوه ليوهموه بان حياته اصبحت في خطر اكيد. وان المخرج هو بان يضع بين ايديهم كامل الحقيقة واخراج كل ما بالاعماق وفي ٩٩٪ من هذه الحالات وربما اكثر كان «المتهم» يغرر به سواء بفعل الخوف او بفعل الوهم، بأن اللذين يقفون بمواجهته هم مناضلين مأمونين وواسطته ليقدم تقريرا الى القيادة في الخارج او يدفع التهمة عن نفسه بانه عميل. وبعد ان يتلقى العصافير التقرير المطلوب ووفق اشارة متعارف عليها يأتي الشرطي فيأخذ المتهم الى «الدكتور من اجل الفحص» وما يلبث ان يجد نفسه في الزنازين مجددا وامام المحقق الذي يلوح له بالتقرير الذي كتبه بخط يده قبل قليل عند العصافير وهنا فقد يكتشف اللعبة ،فيصاب بصعقة وفي حالات يلتقط انفاسه، وينفي التهمة والتقرير ثانية وفي حالات اخرى يتفي ما لديه من اسرار.

ان المحققين يشغلون العصافير على كل شخص يدخل مكاتبهم وزنازينهم، سواء اكان صامدا ام غير صامد، عنيد ، ام منهار، ام ساذج، ام شبه يقظ. ان الصنف الوحيد الذي لا يجربون معه قصة «العصافير» فقط، ذلك الشخص الذي لا يتوقعون ابدا ان تنطلي عليه هذه الحيلة، وبالتالي من العبث ان يحاولوا لانه يعرفها، ولا يمكن خداعه.

ان رجال التحقيق يقيمون عمل وخدمات العصافير تقييما عاليا، فقد اوقعوا بمئات المواطنين والمناضلين، وحتى عشرات وعشرات من الحالات المتينة، والشديدة الصلابة، ولكنها الساذجة والشديدة البساطة مع الاسف الشديد.

ان التحسينات المستمرة التي يدخلها الخبراء على اساليب عمل العصافير، وتسليحهم بطرائق جديدة لنصب الشراك، انما تمنحهم بميزات تضليلية بالغة الى درجة يشهد لهم المحققون بانهم : «احسن ماكنة كشف عن الحقيقة» ، وانهم «يجلبون لنا الصافي خلال زمن قصير وبلا اي جهد» وان ما يستعصي عندنا نحله بيسر عند العصافير».

ان العصافير حالهم كحال العملاء العاديين ، فهم ليسوا في عداد الموظفين الرسميين، إذ يرتبطون مع طاقم التحقيق بشكل شخصي، وما يتلقونه لا يعدو تخفيض في آماد الاحكام الصادرة بحقهم او بعض الاجازات القصيرة، يغادرون فيها السجن - ليس لجميعهم هذا الامتياز طبعا - وبعض المكافئات المالية التافهة غير المنتظمة، لكن الحال يختلف قليلا بالنسبة للعملاء «العصافير» الفعالين جدا، والذين هم ليسوا سجناء مثل الباقين، منهم يداومون في غرف العصافير فترات محدودة من كل اسبوع، ويتلقون مكافئات وامتيازات اكبر، والنموذج هنا العميل عبد الحميد الرجوب، بعد ان انهى فترة حكومته.

وكملاحظة اخيرة، ليس من الضروري ان يتم ارسال المناضل الى غرف العصافير بالطرائق التقليدية دوما، فثمة بعض التمويهات والتحسينات، كأن يتم تحويل المناضل الى عصافير سجن اخر لم يسبق ان ادخله، او كان تجري عملية خداع المناضل في الممرات او في النظارات او في سيارة التنقلات وفي المراحيض او في امكنة اخرى بشرط ان لا يكون العصافير من المحروقين للمناضل، وبشرط ان يتقنوا تقمص مظاهر السجناء الاشداء والمخلصين.

وامعانا في التمويه يتم تحويل المناضل الى غرف العصافير، برفقة عصفور اخر غير مكشوف يتظاهر بانه خرج لتوه من مكاتب التحقيق ايضا، ويتم

تحويلها معا، وخلال الطريق يقوم العصفور بتنبيه المناضل، وبشد عزيمته وتحذيره من «العصافير» ، وحين يصلان غرفة العصافير، يؤكد له ان هذا هو السجن الحقيقي، وليس قسم العصافير لتتم الخدعة والحيلة ، بأحسن شكل.

ان اهم علامة لاكتشاف العملاء العصافير في ان غرفهم معزولة، يعرفون انفسهم بالكنية «ابو فلان» وليس باسم الشخص، يطلبون تقرير ومعلومات بعد فترة وجيزة من اللقاء بهم، ويسألون أسئلة خطيرة واستفتاحية - بناء على طلب المحقق -، ويوجهون تهمة العمالة دون سابق معرفة ومباشرة ، ويستخدمون العنف والتهديد بالقتل، وغير ذلك، مثل الترحيب المبالغ ، والمظهرية المفرطة. والجواب على كل ذلك ان لا يتداول المعتقل اي شيء سري من الحياة السرية خارج المعتقل.

* **متفرقات** : ان المخابرات لا تهاجم اي مناضل قوي الا اذا توفرت لديها اسباب قوية لذلك، تضمن لها معه معركة ناجحة ، ينكسر فيها، ويفرغ محتويات جعبته او بعضها على الاقل. والا فانها ستكون قد خاضت غمار مشروع فاشل، يمس هيبتها بنظر المناضل وبنظر غيره، من ناحية، ويتيح من ناحية اخرى بروز نموذج كفاحي بالصلابة والصمود يدعو الاخرين للاحتذاء به، بما يبثه فيهم من عزيمة وقوة وثقة وامل بالصمود بالتحقيق.

ان عناصر قوة المناضل من وجهة نظر المخابرات - وهي وجهة نظر صحيحة من زاوية الصراع في التحقيق تتصل بالعناد والصلابة النفسية ، ونظرة الاحترام العميق للذات ومبادئها والبراعة والذكاء والاستعداد للبذل، اي قوة الارادة ومستعد للتضحية بنفسه، حتى لا يضحي بغيره ويخون ورجال التحقيق مدربون جيدا على ملاحظة وجود هذه العناصر او عدم وجودها في شخصية الانسان الذي يحققون معه، فهم يتفحصون ظواهر معينة فيه دون ان يثيروا انتباهه بأي قدر، بل ويعتنون هنا بان تبقى الامور بلا تكلف حتى لا يحدث اي خطأ بقياساتهم واستدلالاتهم.

ان رد فعل المناضل على عروضهم المختلفة المتعلقة بامور صغيرة

كالتدخين، وكأس القهوة، الطعام..... او بامور كبيرة كالتعامل او عقد الصفقات هو من اهم المقاييس التي بها يقيمون الذي يقف في مواجهتهم والتي يعتمدون عليها في تحديد توجهات التحقيق واشكالها معه.

ثم ان الاجابات القصيرة المقتضبة والتي لا تعدو «لا»، «لا اذكر» «يمكن»، «نعم» والحفاظ على مظهر الغضب والتكشير والاشمئزاز هي دلالة بان المناضل معادي تماما وكذلك، برفض وبالاستخفاف بمحاولاتهم لاذلاله، بعرض التدخين ، الشتم، البصق، التلويث بالاوساخ ، بالتشهير ومحاولات الحرق.

وكذلك ان عدم الاصغاء لشروحاتهم الطويلة والذي يساعد على استمرار اجواء التوتر بسيطة اشارة تنبىء عن معدن المناضل وموقفه الصلب مما قد يثنيهم عن الاقدام على تجارب ومحاولات اخرى.

ان ملاحظات المحققين وانطباعاتهم عن المناضل، انما يستخلصونها هم بانفسهم بطرائقهم وعبر ظواهر مختلفة عن المناضل قد لا يعيرها هو اية اهمية، ودون ان يشعر بملاحظاتهم. وبالتالي فان من الخطأ الفادح ان يعتني المناضل باقناعهم بالحوار الساذج والشرح، فعدا عن الاكثار من الكلام خطأ خلال التحقيق، وهو خطأ ضار جدا، فهو لن يؤدي الى اقناعهم، فهم يستمعون اليه (ان استمعوا) ليعرفوا ماذا يقول، لا ليقتنعوا او يصدقوا ما يقول. فعندما يلاحظ المحقق انه بدأ يتأثر بكلام المناضل يلجأ الى مقاطعته واهانته والتظاهر بعدم الاهتمام، بل والاستخفاف بما قاله المناضل وذلك بان يتشاغل باي شيء كالمحادثات التلفونية الطويلة وغير ذلك، ان السخط والعنف والهيجان الذي يظهره المحققون ردا على اجابات المناضل والتي يشعرونه بانهم يعتبرونها تافهة وغير مقنعة وكذب فاضح، لا يقبلها حتى اي طفل او مجنون. ان كل هذه المظاهر والتظاهرات ينبغي ان لا تخدع المناضل، فالمحقق مدرب جيدا فهو يتوقع ويتقبل في قرارة نفسه اكثر الاجابات والردود غرابة وبعدا عن الواقع ، وكذبا من التي تصدر عن المناضل. فهو اي المحقق يقر في داخله بان من صفة المناضل باعتباره متهما - ان لا يقول اي شيء صحيح وان يحاول ما بوسعه حماية نفسه والدفاع عن ذاته وعن قضيته بل من حقه ان لا

يقول شيء ابدا.

بعد كل جولة على المناضل ان يقيم الموقف بدقة ويدرس كل المستجدات ويحتمل مختلف المفاجئات ويجهز في نفسه الردود عليها. وهذا يفترض منه ان يولي اهتماما وانتباها اكبر لكل اشارة، ولكل تلميح لكل سؤال يتميز بالغموض، اذا ان الغموض هنا مقصود مئة بالمئة، ليضلل على معلومات واشياء لا يريدون كشفها تماما، او السماح بتخمين الطريقة التي بها وصلتهم.

ان كل ما يصدر عن المحقق له بعد ومغزى يمكن ان يحزره المرء اذا شغل المنطق والذاكرة، فيقدر حجم ما بحوزتهم ويقترب من معرفة العميل الذي اوصل لهم ذلك.

هناك لحظات ثمينة لا تقدر وتساوي العمر كله، مثل لحظة الانتماء، ولحظة الفصل بين الصمود والانهيار، وهناك لحظات لا تساوي سوى نفسها. ان اللحظات الثمينة التي تساوي العمر كله، تستحق ان يبذل المرء ما بقي من عمره لاجلها، المهم ماذا بعد؟ ما هو الآت ؟ ولكن مهما كان الحال واي كانت النتيجة البالغة ، والتي ستلحق بالمناضل في رحلة العذاب ، هذه التي تبدو بلا نهاية فان لديه مهمتين مصيريتين لا يمكن ابداء ادنى تهاون بصددهما وكل ما عداهما هامشي ويمكن «بلعه» : اولا : ان يحافظ على كل ما بداخله بعيدا عن متناول ايادي او عقول المحققين واي اخرين مهما كانوا.

ثانيا : ان يحافظ على ايمانه سليما.

ولا تكاد توجد سعادة اكبر من سعادته حين يواصل تحمل كل صنوف العذاب دفاعا عن شرفه وشرف رفاقه وسلامتهم ، حين يحافظ على الامانة جيدا ويخرج وهو رافع الرأس فقد افشل مخططاتهم ولم يخن.

ان المخابرات قد تعتقل الشخص وتخضعه لتحقيق طويل وقد تعذبه اسابيع لا لشيء إلا للتعرف عليه عن قرب ، ولتزنه جيدا وتحدد افاق مستقبلية . اما اذا ما ادلى لهم خلال ذلك بشيء واعترف او قدم اية معلومات

فان النتيجة تكون بالنسبة لهم افضل وافضل ويواصلوا الضغط للحصول على مزيد من المعلومات. واحيانا يكون القصد من وراء الاعتقال والتحقيق والتعذيب ترويع الشخص، وهدم ايمانه وتحييده عن سبل النضال واحيانا يكون القصد مجرد امتصاص معلومات منه سواء اكانت عادية ام غير عادية، لانها تنفعهم على الوجهين ، ولسان حالهم يقول : «ان الغنمة التي لا نأكل من لحمها نشرب حليبها»، «فلتبقى لدينا لاطول فترة ممكنة».

ينبغي ان لا يخشى المناضل من التعبير عن وطنيته وطرح رأيه السياسي العام خلال التحقيق لان هذا الامر وسيله هامة لاقناع المحققين بانهم امام وطني شريف لا يمكن استلامه ومن العبث المحاولة معه. لكن الحذر البالغ مطلوب، فطرح الرأي السياسي العام م.ت.ف ممثل الشعب الفلسطيني، حق تقرير المصير، دولة ...» شيء ينبغي ان لا يشمل على اية دلالة تفيدهم في تحديد وتشخيص الاطار الذي يدور في فلكه المناضل، فمن هذه الدلالة يمكنهم ان يستدلوا على نواحي اخرى ويتخذونها اساسا لانطلاق التحقيق وتوجهاته، إلا اذا كان معروفا ورمزا وسياسيا.

عندما يتحدى ضابط التحقيق المناضل بالمراهنة (اتراهن انك ستعترف، اتراهن انك منظما....) فان على المناضل ان يوليه الاهمال وان لا ينجز لهذه المناورة البائخة بأي شكل سلبا او ايجابا، لان اي رد من جانب المناضل سيعني شيء للمحقق، او ان يرد عليه ليس عندي شيء حتى لو ذبحت او ما شابه.

ان حجم التعذيب ونوعيته انما تقرره عدة عوامل منها:

- نتائج التعذيب ، فان كان له مردود، فان المحقق سيمعن فيه ليحرز نتائج اكثر وافضل والا فان المحقق سيبحث عن وسائل انجع.
- مدى توفر الادانات والاثباتات التي بحوزة المحقق.
- نوع الادانة وخطورتها.
- مدى استعداد المحققين للانتظار ، اهم على عجلة من امرهم فوق المعتاد؟

يدس المحققون عملاءهم السريين في الزنازين مع المناضلين او في زنازين

قريبة عليها ليتجسسوا عليهم وليسترقوا السمع، بل ان بعض الزنازين تتيح للمحققين وللسجانين المراقبة واستراق السمع من خلف الابواب المغلقة باحكام، والتي تعزل الزنزانة عن ما يجري خارجها فترة مراقبته من خلف المرايا الموجودة في بعض الزنازين، او من خلال فتحات خفية، ومن غير المستبعد ان تكون زنازين محددة مزودة باجهزة تنصت مخفية.

يولي المحققون موضوع التجسس على المناضل اثناء التحقيق الاهمية اللازمة، فاذا لاحظوا وجود فرد ضعيف بين مجموعة المناضلين الذي يجري التحقيق معها، فانهم سيبذلون جهودهم لعقد صفقة معه محدودة ، يتجسس بموجبها على جماعته، وعلى المناضلين الاخرين ، وينقل للمحقق ما يدور بينهم مقابل ان يخفف عنه التحقيق. ولينجحوا باستدراجه يسهلون الامر عليه يلجأ المحققون احيانا الى اجراء محادثات او استنطاقات للمناضل من خلف باب الزنزانة، متعمدين اسماعها لجميع من في الزنازين او لشخص معين يكونون قد جلبوه خفية، وغالبا ما تكون مثل هذه الاستنطاقات، باسلوب تهكمي تشكيكي في آن معا، وفي ثناياها بعض التلميحات الجدية. ان الخطورة تكمن في ان المناضل قد يصاب بالاحراج او الريبة والخوف من شكوك الاخرين. وقد لا يحسن ادارة المحادثة، وهو داخل الزنزانة بين رفاقه، والمحقق خلف الباب، وعلى مسمع الجميع كل ما في ذلك من توتر، اذ يحاول المحقق خلاله ان يتصير المناضل بكل كلمة وجملة :

«انت الان تنكر، الم تقل لي نفسك بالامس كذا كذا»، «لقد اعترفت بكذا ونحن نريد غير ذلك، كن عاقلا.....» ان افضل رد على هذه المناورات هو ان يحاول المناضل التذرع بالصمت، والردود المقتضبة جدا وابراز الشجاعة، واستفزاز المحقق «مش صحيح لم اقل...».

يعرض المحقق، على المناضل افادة (اعتراف مكتوب) يخص شخصا معينا، ويؤكد المحقق له ان ذلك الشخص (قد يكون مناضل ذو اسم رنان) لم يكتبها الا بعد «ان عذب نفسه» عذابا مريرا وباصناف من الذل والإهانة «محاولا ان يكون بطلا» «الم يكن من الافضل له ان يعط من البداية ما اعطاه بعد ان غلب

حاله وغلب الناس معه».

...اذن المناضل هو الذي يعذب نفسه وليس المحقق هو الذي يعذبه، وبالتالي على السامع ان يكون عاقلا وان لا يفعل ما فعله غيره).

ويرمى المحقق الى :

أ- تلطيخ صورة (صاحب الافادة) الذي خضع.

ب- وزعزعة ايمان المناضل الذي تدور المحادثة معه.

ج- الايقاع به بان يطلب المحقق اليه بان يقرأ «الافادة» وبصوت مسموع. وفي مثل هذه الاحوال يكون المناضل المعني مصابا بالدهشة، ومشغولا بالتساؤل عن صحة ما يقوله المحقق وبعد المقارنات بين وضعه ووضع صاحب الافادة فقد يقع في الفخ، حيث ان الافادة تتضمن عبارات مثل : «تنظمت سنة كذا....»، «عملت كذا»، «اتصلت بفلان..»، التي اذا ما قراها المناضل بصوت مسموع فانه يعطي المجال للمحقق بخداع مناضل اخر جلب سرا ليسمع صاحبنا اخرين وتشويه المناضل بنظرهم.

وبالتالي يجب الامتناع عن قراءة اي شيء مطلقا، مثلما يجب الامتناع عن كتابة اي شيء.

ويلجأ المحقق الى صورة اخرى من صور هذا التحايل : هل هذا توقيعك؟» وهو يعرض امام المناضل ورقة الامانات التي سبق ودفع عليها المناضل. فان اجاب المناضل «نعم هذا توقيعي» فان مناضلا اخر جلبوه سرا وخفية يسمع هذا الجملة (فقط)، سيتبادر الى ذهنه ان الاول قد اعترف، وتنطلي الخدعة. الاجابة هنا ينبغي ان تكون «هذه ورقة الامانات وتوقيعي عليها» ، او هذه صورة عن توقيعي وليس توقيعي». ومن الهام الانتباه انهم وهم يستنطقون مناضلا معينا ربما يكونون قد اخفوا اخر تحت الطاولة او خلف الستارة او خلف الباب او حتى داخل الخزانة القريبة ليسمع بعض الاجزاء المحدودة من المحادثة او الاستنطاق بل ربما ان كل حديث المناضل اثناء الاستجواب يجري تسجيله خفية للاستفادة بأوجه عديدة احدهما استعادة حديث المناضل وامعان النظر فيه.

المحقق يسأل المناضل : «هل انت منظم»، فيجيبه «لا»، لست منظما، حسنا «اذن اكتب ذلك» فيكتب المناضل الجملة حسب طلب المحقق «انا لست منظم» وبعد قليل يسأله على مسمع مناضل اخر جرى اخفاءه ، تحت طاولة او داخل خزانة او صندوق او ستارة او غير ذلك:

«هل هذا خطك؟ «نعم» ، فيصرفه ويرى العبارة للمناضل الذي جرى اخفاءه وذلك بعد أن يكون قد تلاعب بها لتصبح «انا منظم» واحيانا يسأله امام رفاقه علنا : «هل هذا خطك» اذا الرد الناجح ان لا يقرأ المناضل شيء وان لا يكتب شيء ابدا.

ان احدى اساليب الضغط النفسي على المناضل هو جلوس المحقق في مستوى فوق مستوى جلوس المناضل لتقريب وجهه بشكل تدريجي من وجه المناضل من اعلى مع نظرات حادة فيها العداء والكراهية والضغط بالارجل والجسد على جسم المناضل، وفخذيه، فعلى المناضل ان يرفض هذه الوضعية ويقاومها.

ان عرض التغير والتعامل على مناضل محاط بالادانات يستهدف شيء واحد هو اختبار رد فعله فان قبل ذلك من قبيل المناورة، فان قبوله هذا يعتبر لديهم كاشارة لمحاولة التقرب من شيء ما، اذن لديه شيء يخاف عليه او يخاف منه، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان قبوله ولو لفظيا لعروض كهذه هو بمثابة فتح باب لهم للتشهير به والضغط عليه، علاوة على انه باب يعكس ضعفا.

يضفي المحقق على تهديداته طابعا شخصيا توخيا لمزيد من ارهاب واخافة المناضل: (بشرفي ولشرف رتبتي لاجعلك تعترف رغما عنك، انا لن اخسر قضيتك ابدا وسأفعل كل شيء حتى لو كلفني ذلك في نهاية الامر دخول السجن).

عندما يعرض المحقق على المناضل سماع قصته ما فان على المناضل ان لا يرد على العرض بالايجاب لان ذلك عبارة عن اتفاق بين الطرفين يشير الى امكانية الاتفاق او التعاون حول امور كبيرة. فنظرية التجاوب يتعين. كسرها دائما ، وفي كل شيء دون استثناء.

ان احدى عناصر التقوية خلال مرحلة التحقيق هي ان يحتفظ المرء دوما في ذهنه بنماذج لابطال صمدوا في مواجهة التحقيق وان يستحضروا ذكراهم كلما اشتدت الوطأة عيله.

* من الوصف الذي يعطيه العملاء عن شخص ما مجهول الاسم تستطيع الاستخبارات ان تركب له صورة تخطيطه، تضمن في «كتلوج» خاص يشتمل على مثل هذه الصور لاشخاص اخرين.

* من بين الوسائل التي يحاول المحققون بها تقييم المناضل : «الجنس» اذ يستخدمونه كاداة استفزاز وتوتير بل ويعمل على وضعه في امتحانات عملية بالقدر الذي تسمح به الظروف.

* ان كل تقرير يرد الاستخبارات عن اي شخص يتم تضمينه في ملفات الاشخاص الذين يرد ذكرهم في ذلك التقرير.

* يوهمون المناضل بان القضية الوحيدة التي تحتل مركز اهتمامهم.

* يبالغون بقدراتهم الاستخبارية . ولكن كل جهاز المخابرات بقدراته الكبيرة ها هو يهزمه العديد من المناضلين اعضاء وكوادر.

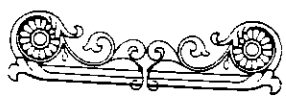

تجـــربـــة

كان هاذ هو الاعتقال الاول عندما تم توقيفي على احدى حواجز التفتيش وتم اقتيادي الى الحكم العسكري في رام الله حيث كان اعتقالا صدفيا في بدايته وفي الحاكمية العسكرية تم التحقيق معي وبعد التأكد من هويتي لدى المخابرات تم احتجازي وبعد التحقيق بساعتين تم اقتيادي الى السجن حيث تم ادخالي الى غرف المخابرات وهناك وجدت رجلين من رجال المخابرات بانتظاري حيث انني لم اكن اعرف اي شيء عن سبب اعتقالي وتم توجيه اسئلة كثيرة من قبلهم ولكنني تظاهرت بالغباء التام وانني لا اعرف اي شيء عن السياسة في الجامعة ولا اعرف ما هي الاطر الطلابية ولم اجب على اي سؤال . كان هذا في تمام الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة وبعد تحقيق دام الساعة والنصف تم ادخالي الى زنزانة صغيرة جدا ومعتمة ولكن على الرغم من صغرها والحالة السيئة التي كانت فيها الا انني ابتهجت جدا عند رؤيتها لانني وجدت فرشة وبطانيات والذي دعاني الى هذا الابتهاج هو انني كنت قبل اعتقالي عند احد الاصدقاء حيث وصف لي بأن الزنزانة مثل الجحيم تشرب من نفس الماء الذي تبول فيه وعليك ان تختار بين الشرب من السطل الذي تبول في ولكني عندما دخلت الزنزانة وجدت شيء آخر حيث وجدت قنية وسطل وكأس للشرب وكنت خلال فترة وجودي داخل الزنزانة استمع الى الشاويشية على الرغم من انني لم اكن اعرف اللغة العبرية ولم ادرك بأن يوم السبت هو عطلة ولا يوجد فيه تحقيق حيث اعتقدت بان الانسان يبقى داخل الزنزانة حتى يدلي هو بمحض ارادته بما لديه ولا يستدعيه المخابرات ولكن هذه الفكرة تبددت في اليوم التالي حيد انني سمعت صوت مفاتيح الشاويش وهي تفتح الباب وتنادي علي : قم. وعند خروجي من الزنزانة وجدت شخص

وعرفت انه المخابرات حيث كان يشير باصبعه من بعيد فتم اقتيادي من قبل الشاويش نحوه فأخذني رجل المخابرات وادخلني الى احدى الغرف وبدأ يقول لي بانه يجب علي ان «اقص القصة من أ الى الياء» وانهم يعرفون عني كل شيء وعندما هممت لنفي الاتهامات الموجهة لي قام بتوجيه لكمة عند عنقي وقال «عندما انا اتحدث يجب عليك انت ان تستمع ولا احب كلمة لا اعرف» كان حديث يدور حول انه هناك شخص اعترف علي ولكنني لم اصدقه ولم ارى اي شيء او دليل على كلامه وبعد ساعتين من التحقيق والتهديد والوعيد ذهب رجل المخابرات وبقيت انا مشبوح على الكرسي وعند الظهر تقريبا دخل علي رجلا اسمر البشرة طويل القامة عرفت بعد ذلك انه الميجر حيث كان مسؤول التحقيق في سجن رام الله. ودار حولي وقال لرجل المخابرات هذا هو الشخص حيث سحبني الى غرفة اخرى واغلق علي الباب وخرج وبعد حوالي الساعة رجع الميجر واقتادني الى نفس الغرفة الاولى حيث وجدت رجل كبير في العمر تقريبا جلس خلفي وبدأ بشخير حيث تظاهر بانه نائم في الوقت الذي كان فيه الميجر يحقق معي وبعد ربع ساعة تقريبا افاق هذا الشخص الكبير من العمر من نومه وبدأ بالتهديد والوعيد وأننا سوف نشبحك ونعذبك حتى الموت وبعد ساعة من جلوسه معي خرج ولم اراه منذ ذلك الحين وبعد ذلك عرفت بانه يدعى ابو غزاله وانه كان يحقق في رام الله سابقا طبعا هذا كله في اليوم

الاول من اعتقالي ولكنني ساستعرض باقي التجربة بشكل عام بدون التسلل في الأيام وذلك بسبب وجود التفصيلات الكثيرة التي قد لا تكون مفيدة.

وفي نفس اليوم الاول تم جلبي الى غرفة مسؤول التحقيق حيث قال لي انا اعرف بان اعضاء الجبهة الشعبية لا يعترفون بسهولة ولكن في النهاية سوف تعترف فكانت هذه الشهادة الاولى من قبل رجل المخابرات لاعضاء ورفاق حزبنا وقد حاول ان يستهزأ بالفصائل الاخرى وان اعضاء هذه الفصائل يعترفون من اول كف وقد بدأ يتحدث لي عن كتاب فلسفة المواجهة وقال لي ان هذا الكتاب كتاب نظري فقط وان الناس الذي اشرفوا عليه لم يعيشوا داخل الارض المحتلة. وكنت ادرك سابقا بان اعضاء حزبنا هم اقل الناس اعترافا

واكثرهم صمودا وحتى هذه اللحظة لم اكن اعرف بالفعل هل هناك من اعترف علي ومع مرور الايام ادركت ان المخابرات لا تضع اي شيء بين يدي المعتقل الا بعد ان تنفذ كل اساليبها وبالفعل وبعد ثلاث ايام تم عرض افادة لاحد الاشخاص الذين كنت اعرفهم ولكنها كانت افادة بسيطة حيث تقول انني جبهة عمل وقدمت خدمات عديدة لها وانني احد النشيطين داخلها وقد استخففت بهذه الافادة كثيرا على الرغم من المخابرات كانت تطلب مني على الاقل بأن اقول بأنني جبهة عمل وينتهي الامر ولكنني لم اعترف بأنني اي شيء وقد تمت المواجهة مرتين بين وبين الشخص الذي اعترف علي ولكني كنت في كل مرة انكر بأنني اعرفه وخلال فترة التحقيق تم اعتقال اشخاص آخرين وخلال التحقيق اعترف احدهم بانه كان مسؤولي التنظيمي وبأنني عضو في الجبهة الشعبية وقد جاء هذا الاعتراف بعد ٦٨ يوما من اعتقالي، وبعد ذلك مددت المحكمة فترة اعتقالي وبدء التحقيق بأخذ مجرى آخر حيث تم نقلي الى سجن نابلس وهناك تمت مواجهة بين وبين الشخص الذي اعترف علي ولكنني لم اتعرف عليه وقد تعرضت خلال هذه المواجهة وبعد انكاري لمعرفة الشخص للضرب الشديد، وفي اليوم التالي جاء الي احد رجال المخابرات وقبل وصول غرفة مسؤول التحقيق قال لي ما اسمك فقلت له فلان وخلال كلامي له وجدت رفيقا آخر يجلس بجانب المخابرات وقد لمحته لمحا وبعد ذلك تم سحبي وارجاعي الى سجن رام الله.

وعند رجوعي الى سجن رام الله وجدت ان رجال المخابرات مبتهجين جدا ولم اكن اعلم لما هذا الابتهاج وكانت باستمرار تتردد كلمتهم المشهورة «المخابرات مثل الفرن كل يوم عندنا شيء جديد» والشيء الجديد الذي كانوا مبتهجين له هو حصولهم على صورة كان موجود بها صورتي بالاضافة الى صورة الرفيق المسؤول ولكن سرعان ما تبدد هذا الابتهاج عندما لم اتعرف على صورتي وانكرت تماما انها لي وانكرت معرفتي بأي احد داخل الصورة.

وبعد انكاري المستمر لصورتي تم جلب الرفيق المسؤول مرتين امامي حتى يقول لمن الصورة وكان يقول بأنها لي ولكني كنت انكر بشدة بأن تكون هذه

صورتي ، على الرغم من ادراكي التام باقتناع المخابرات بأن هذه الصورة لي ولكن اي تراجع في الموقف لن يكون في صالحي بل بالعكس اي انهزام امام المخابرات ولو كلمة واحدة قد تعطي لهم مؤشرا يستغلوه ضد اي مناضل وبالفعل هذه الحادثة كانت من الامور التي جعلتهم يقتنعوا بانهم لن ينتزعوا اي كلمة مهما بلغ مدى ضغط المخابرات وبعد فترة ٣٧ يوما جاء

اعتراف آخر من احد الاشخاص ولكن كنت انا صاحب الموقف القوي وليست المخابرات عند انكاري معرفته وقد كان لدى المخابرات في اليوم ٣٧ متمسكات قوية جدا ودلائل تشير بأن هناك مواد تحريضية كانت ملكي عند القبض علي ولكن كنت في تلك الاوقات افضل الموت على ان ادلي بأي كلمة.

وقد استعملت المخابرات اساليب عديدة في عملية التحقيق حيث تم في الاسبوع الاول نقلي الى زنازين الخليل وبعد ذلك تم ارجاعي الى رام الله ومن ثم الى نابلس والعودة الى رام الله وبعد ذلك تم نقلي الى بيت حنكفا حيث مكثت ثلاثة ايام وبعد ذلك رجعت الى نابلس حيث تم ادخالي الى غرفة العصافير وقد ادركت من اللحظة الاولى بأنني داخل غرف العار وبعد محاولات عديدة لاخذ معلومات مني، تم طردي من غرفة العار واقتيادي الى احد الزنانزين في سجن نابلس.

وقد تعرفت على العملاء داخل غرفة العار بسهولة جدا حيث ان التحقيق لم ينتهي معي من قبل المخابرات والاسلوب الذي كانوا يتبعونه كان اسفل من اسلوب المخابرات وكانت لدي خلال اعتقالي سياسة واحدة وهي انه لو دخل اكثر الناس ثقة الى الزنازين وجلس معي فلن ابوح له بأي كلمة او سر من اسراري لانه في الدرجة الاولى ليست هناك بيني وبينه علاقة وبالدرجة الثانية لا يوجد انسان شريف داخل الزنازين مخول معرفة قصتك لذلك كنت باستمرار عندما يسألني احد عن سبب اعتقالي اقول لهم بأنني اعتقلت عن حاجز تفتيش ولا اعرف السبب حتى الآن حيث كانت لدى باستمرار نزعة الشك داخل الزنازين حيث كانت لي بعض الخلفية البسيطة حول وجود العملاء داخل الزنازين . وبعد مكوثي، حوالي ١٠ ايام في سجن نابلس ثم

ارجاعي الى رام الله والسبب في عمليةالتنقل حتى لا يأخذ المناضل على الجو او يتأقلم معه لهذا اتبعوا سياسة التنقل ويتبعوها باستمرار حتى هذه الايام بالاضافة الى سياسة التنقل كنت اتعرض الى فترات طويلة من الشبح تتراوح بين ٤-٥ ايام في الاسبوع على جلسة واحدة وكنت ارتاح كثيرا عندما اجلس متربع حيث كانت لي القدرة على النوم وانا في هذا الوضع وكانوا كذلك يستخدموا اسلوب «السهر» حيث كانوا يسهروني ثلاث او اربع ايام ولكين بدون مبالغة لم اكن انام او اشعر بالنعس بل بالعكس كان النعس يصيب، رجل المخابرات قبلي والسبب في ذلك انني اشعر بالقلق واحاول دائما معرفة ماذا يريدون ان يفعلوا رجلا المخابرات وطبعا لا ينكر احد بان الانسان يكون خلال التحقيق خائف ولكن خوف المناضل من حزبه ورفاقه اكثر بكثير من خوفه من المخابرات في حالة اعترافه وكانوا كذلك يستعملون قبضائهم بضرب على الجهاز التناسلي بالاضافة على ضربك على رأسك بالايدي ودق رأسك في الباب، وكانوا يعمدون باستمرار من تخوفي «بقانون تامير» بأنك سوف تأخذ اكثر من الشخص الذي اعترف عليك وكان جوابي لرجل المخابرات بأنني لا اعرف هذا القانون وانني لا افهم اللغة العبرية وهناك اساليب كثيرة اتبعوها ولكن كانت سخيفة جدا بحيث كان مردودها سلبيا عليهم.

وبعد خروجي من السجن بستة اشهر تعرضت لاعتقال اخر من قبل قوات الاحتلال وكنت متلبسا وهناك ادلة دامغة ثابتة وقد تم اعتقالي وانا وبعض الاشخاص وتم ارسالي الى سجن رام الله ودخلت الى غرفة التحقيق مباشرة

ولكن هذه المرة كانت المواجهة اعنف حيث كنت ارفض ان اجيب على اسئلة المحقق وقد استعملوا العنف هذه المرة لمدة يومين فقط لم يستطيعوا، وكان ينتزعوا اي حرف واكن المحقق يهدد ويتوعد كان جوابي باستمرار له «لا يوجد شيء اكثر من الموت» وكان هذا الجواب يغيظه وبالفعل وفي اليوم الثالث من اعتقالي تم التوقف عن التحقيق فجأة حيث ادركوا بأنهم لن يستطيعوا ان ينتزعوا مني ما اؤمن به.

في الاعتقال الاول والثاني كانت هناك امور تجعلني اصر على الصمود حيث

كنت ادرك ان اي كلمة سوف اتفوه بها سوف تؤدي بي الى الانهيار لذلك يجب علي عدم اخراج اي كلمة حتى اسد الطريق عليهم وكذلك كنت اريد ان اثبت الثقة لدى حزبنا كما وثق بي وبالرفاق الذي لم يعترفوا وكانت المخابرات كل ما تذكر اسم من اسماء الرفاق الذي كنت اعلم انهم لم يعترفوا كنت اشتد واقوى اكثر حيث كانت المخابرات باستمرار تقول بان فلان وفلان اعترفوا ولم تكون انت اقوى منهم وكنت ادرك ان هؤلاء الاشخاص وهؤلاء الرفاق سطروا اسطورة من الصمود وصممت ان اسير على طريقهم وكنت باستمرار وعندما يشتد علي التحقيق ويسيء الوضع كنت دائما اتذكر الرفاق واتذكر اعضاء ج.ع. الذي وثقوا بي وانا بدوري لم اخيب ظنهم وكانوا هم الحاجز القوي بيني وبين المخابرات وكان لا يغيب وجه اي رفيق او صديق عن عيني وكانهم جميعا كانوا يقولون لي (الاعتراف خيانة) يلاحقني في كل مكان حيث كان مكتوبا في الحمام وفي الزنازين وفي غرف التحقيق وفي كل مكان والذي زادني صمودا هو اعتراف بعض الرفاق وخيانتهم الحزب حيث كنت اشعر بان هذا العملاق وهو الحزب يجب ان يظل عملاقا باعضاءه وان لا يتحول ككيس الخيش يلعب به الخونة والاعداء كما يشاؤون وكنت باستمرار احاول ان اتذكر الاغاني والاشعار التي تحض وتحرض على الصمود وكنت باستمرار اتذكر قول يوليوس فوتشيك وليعلم كل شخص وكل مناضل بأن تقصير مدى التحقيق لا يأتي عبر الاعتراف بل عبر الصمود لان الاعتراف خيانة بدرجة الاولى وبالدرجة الثانية تحول الانسان الى كيس خيش يتحكم به العدو كما يشاء ويفقد الانسان كل شيء لانه فرط باغلى شيء عنده.

وكنت كذلك افكر كيف سوف ينظرون لي رفاقي واصدقائي لو انني اعترفت وهل يغفرون لي ام لا كل هذه الامور كانت تدور في خلدي وقد توصلت الى نتيجة واحدة لا بديل لها .

يا ايها الرفاق والاصدقاء وهي:

«عش ايها الرفيق اشهر أيام من العذاب ولا تعش لحظة ندم» ايار عام ٤٢م

مرحبا بالمعركة والنصر حليفنا

بهذه الكلمات البسيطة والكبيرة بمعانيها دخلت معركة التحقيق مع جلادي شعبنا هؤلاء النازيين الجدد والتي كنت قد حددت فيها مسبقا ان النصر لارادة المناضل والانتصار حليفنا على أعدائنا القوميين والطبقيين.

بداية وبعد عرفت بأن هناك اعترافات على من قبل بعض الجبناء الذين خانوا شرف انتمائهم الشيوعي من خلال احد الرفاق والذي حاول ان يتحدث معي حول الاعتقال والاعتراف.... الخ فقلت له لا داعي لذلك فمن شرب من لبن الثورة لن يخونها ولن أفرط بشرف الانتماء لهذه الثورة وهذا الشعب مهما كان الثمن.

بعد هذه المقابلة توجهت لتوديع أعز الأصدقاء وودعت خطيبتي وعاهدتها ان لا اخون شعبي مهما كلفني ذلك من تضحيات ومن ثم توجهت للبيت في انتظار بدء المعركة وبعد عدة ايام جاءوا للبيت وكان عددهم كثيرا وكان الوقت مبكرا. اتوا في بدايات ساعات الليل وبعدهم دخل رجل المخابرات وفورا سلمته الهوية وقلت لأهلي بأنهم جاءوا ليعتقلوني واخذته الى غرفتي للتفتيش وقلت له كل ما تجده خذه معك وودعت أهلي في البيت وتوجهت معهم الى الدورية وفي الطريق كنت اودع من اجده في الشارع بصوت عالي لكي يعرف ذلك الجبان بأننا لا نخافهم ولا نخاف الاعتقال وان كثرتهم لا تهز فينا شعرة ونحن الان قد غرسنا وتعلمنا في مدرسة الثورة.

في اليوم الثاني للاعتقال وصلت الى احد السجون في المساء تقريبا ادخلني الشاويش الى مكان التحقيق، فاستقبلني احد الضباط والذي قال لي مرحبا انني في انتظارك وهذه الليلة ساهر معك حتى الصباح وبدأ التحقيق فورا.

وسألني ما اسمك؟

فأجبته باسمي حسب الهوية.

فقال لي كذاب ما هو اسمك؟

حينها فكرت بأن الاعتراف ليس على هذا الاسم

فقلت له المرة الثانية والثالثة والرابعة نفس الاسم.

وحينها غضب واخذ يضرب وقال:

باين انك ما بدكاش تتفاهم وسوف اتعامل معك بالأسلوب الاخر.

وحينها قلت له هذا ما عندي وهذا هو اسمي.

وبامكانك ان ترجع للهوية.

وبعد ذلك قال لي احكي قصة تنظميك من طقطق للسلام عليكوا.

وين انتقلت ومين كان معك ومين مسؤولينك.

فقلت له لا يوجد عندي اي قصة.

وعاد وكرر السؤال اكثر من مرة.

وكانت نفس الاجابة.

فاستمر بالضرب والبصق والتهديد وغيره.

وبعد ساعات قال لي يوجد عندنا اثباتات.

فقلت له ما دام لا يوجد عندي شيء فكل ما تقول كذب.

فقال لي واذا احضرت لك اثباتات.

فقلت له لا يوجد عندي شيء اقول.

وبعد ذلك اخذ يقول اذا احضرت لك الافادة (تعترف)

فقلت له لا يوجد عندي شيء.

فاستمر في استخدام العنف والشبح على الكرسي حتى اخر الليل وفي اليوم الثاني جاء محقق اخر.

وقال لي أنه مسؤول المحققين وهو الميجر فلان واستخدم نفس الاسلوب السابق.

وكانت اجاباتي كما هي:

وبعد ذلك اخذ يستخدم اسلوب المنطق ويقول بان كل شيء موجود وانت محكوم ولكن من الافضل لك ان تعترف الحين وافضل من الغلبة وانت لازم تعترف، وانت مش بطل اكثر من فلان.... الخ.

وقلت له انني لازم اروح وفش عندي اشي.

مع العلم بانني كنت اعرف بأني ساحاكم على قانون تامير.

واستمر التحقيق بنفس الشكل في اليومين الثالث والرابع.

وكان يتغير المحققين لحين والاخر، لكن كلهم كانوا يستخدموا نفس الكلام.

وفي اليوم الخامس جاءوا مع محققين وجلس احدهم على الطاولة وهذا ما كان يدعي بانه الصديق وهو لا يضرب والباقين اخذوا بالضرب والسؤال في نفس الوقت مع بعضهم البعض .

فقلت لهم لا اجاوب الا على سؤال واحد.

وكانوا يضربون ويسألون ولكن لا اجاوب على عكس سؤال واحد.

وكانت أسئلتهم في البداية عن الاصدقاء والمعارف.

وكانت اجاباتهم لا اعرف احدا.

وبعد ذلك اخذوا يسألوا عن التنظيم وعن المسؤولين وسألوني عن اسماء.

فقلت لهم لا أعرفهم.

وبعد ذلك بعدة ايام والتي كانت على نفس الوتيرة جاءوا لي ببعض الصور وكانت صورتي من بينهم.

فقلت لهم لا أعرفهم .

فقالوا هذه صورتك.

فقلت لهم انها ليست صورتي.

وبعد ذلك اخذ التنازلات منهم تنوالى يوما بعد يوم.

فبعد ان كانوا يطلبوا قصة تنظيم وتنقلات....الخ.

اصبحوا يطلبوا ان اكتب ما اريد

وبعد ذلك طلبوا ان اقر على ما هو موجود في الافادة .

وكانت اجاباتي كما هي وقلت لهم بأنني لازم اروح بعد ١٨ يوما.

وكانوا في هذه الفترة يدخلونني للزنازين في الليل ويحضروا عصفورا فكنت اتحدث له عن العصافير وعرف العصافير وعن ماكنة الكذب وغيرها من اساليب المخابرات.

واستمر هذا الوضع حتى اليوم ١٧، عندما جاءوا بأحد الجبناء فقلت لهم انه كذاب ولا اعرفه.

وفي اليوم الثامن عشر ذهبت للمحكمة وجاءني المحامي فسألني فقلت له لا يوجد عندي شيء ففرح كثيرا.

وسألني عن من ضربني واجبته عن الاسماء لكي يرفع عليهم قضية. وبعد التمديد ارجعوني الى الزنازين.

وبعد ذلك احضروا لي شخص استمر وجوده معي لمدة اسبوع كمحاولة اخيرة منهم ولكن بالطبع فشلوا.

وبعد ذلك اصبحت اختلط بالسجناء في الزنازين وكنت احرص على عدم الاعتراف ومواجهة المحققين خاصة لمن لم يعترفوا .

واستمر ذلك حتى اليوم ٤٤ وبعد ذلك نزلت الى السجن منتصرا ومرفوع الرأس وحافظا لشرف الانتماء واستقبلت بالترحاب من الرفاق الذين كانوا ينتظرونني واخذت اتحدث معهم حول معركة التحقيق وهزيمة المحققين وانه بامكان اي مناضل ان يصمد ويهزم المحققين اذا امتلك ارادة الصمود والتحدي للفاشيين.

لا استطيع ان اصف لكم مشاعري عند نزولي للسجن وكذلك عند استقبالي للمحامي في جلسة المحكمة وكذلك كانت فرحتي عظيمة في الزيارة الاولى عندما زارتني خطيبتي واهلي ولقد كانت معنوياتي عالية جدا عندما سمعت كلمات والدتي: «لقد رفعت رأسي، خليك رجل والسجن للرجال». وفي النهاية لا بد من القول بأنه بالاضافة لقرار الصمود والتحدي ومواجهة المحققين وتبني الموقف الشيوعي من الاعتراف فالأبي للمناضل من تحشيد نفسه يوميا بنماذج الصامدين من ثورتنا ومن الثورات العالمية فلقد كنت باستمرار اتذكر هؤلاء

واتذكر كلمات فوتشيك واتذكر موقف الرفاق التشيكيين، الذين اعدموا واتذكر كل ما كنت اقول للاصدقاء والاهل حول الصمود ومواجهة المحققين ولقد كان ذلك زادي اليومي والذي كان يزيدني اصرارا على هزيمة هؤلاء الفاشيين.